

دِراساتٌ

في عِلمِ العَقِيدَةِ

الجزءُ الأوَّل

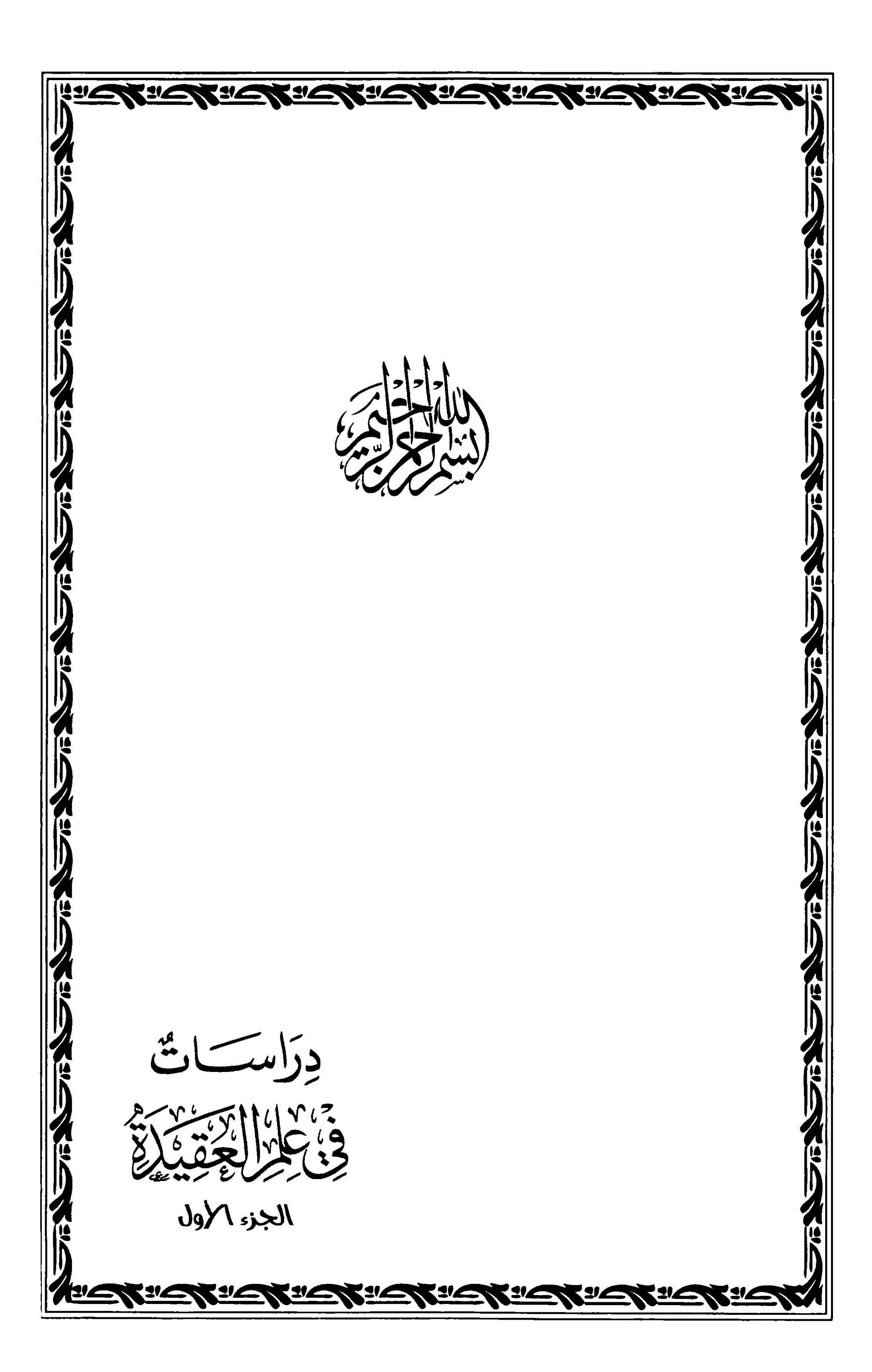
مُقدِّمات في عِلمِ العَقِيدَة، توحيد الرُّبُوبيَّة، توحيد الأسماء والصِّفات

تأليف

أ.د. ناصِر بن عبد الله القِفارِي

جامعة القصيم كليّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة




بسم الله الرحمن الرحيم
دراسات
في علم العقيدة
الجزء الأول



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القفاري، ناصر بن عبد الله.

دراسات في علم العقيدة/ ناصر بن عبد الله القفاري - الرياض، ١٤٤٢هـ.

٤ مج.

ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

١- العقيدة الإسلامية. أ- العنوان.

ديوي: ٢٤٠ ١٤٤٢/٦٩٦٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٦٩٦٩ ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَةٌ

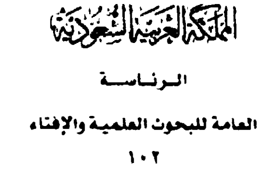
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م



دار العقيدة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

هاتف 0503310067



الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم : ....

التاريخ : ....

المشفوعات : ....

الموضوع : ....

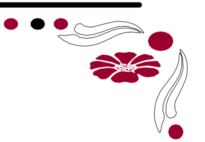
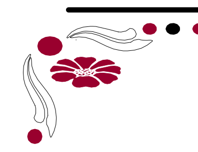
الحمد لله . والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد : فقد اطلعت على كتاب (دراسات في علم العقيدة) بأجزائه الأربعة لفضيلة الدكتور : ناصر بن عبدالله القفاري الأستاذ بجامعة القصيم . فوجدته كتابا جيدا مفيدا في موضوعه يجدر بكل طالب علم الاطلاع عليه . فجزاه الله خير الجزاء ونفع بعلمه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

٢/٦/١٤٤١هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذا هو الجزء الأول من سلسلة **(دراسات في علم العقيدة)**[(١)]، وُضِعَ وَفْق الخطة الدراسية لتخُّصص الشريعة والدراسات الإسلامية، الموافقة للمعايير الأكاديمية لمحتوى برامج الشريعة في مؤسسات التعليم العالي المعتمد في الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي.

❐ **يتناول الموضوعات التالية:**

■ **الفصل الأول:** مقدمات في علم العقيدة.

■ **الفصل الثاني:** توحيد الربوبية.

■ **الفصل الثالث:** توحيد الأسماء والصفات.

وفي مقدمة كلِّ فصل أهدافُه، وفي خاتمته ملخَّصٌ لأهم مسائله، مع أسئلة تطبيقية.

وتعتمد مادة هذا الكتاب في نصوصها - أولًا - على الكتاب والسنة؛ لأن الاعتقاد لا يُؤْخذ إلا عن الله ورسوله، ثم الرجوع إلى ما قرره سلف الأمة

---

(١) طبع هذا الكتاب - أولًا - ضمن كتاب «التوحيد ونواقضه» - طبعة دار العقيدة ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م - ثم طبع بعد تحرير وزيادة ضمن كتاب «التوحيد حقيقته وأنواعه» - طبعة دار العقيدة ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م - ثم تم تقسيمه على قسمين وَفْق المنهج الجديد بعد استكمال جميع مسائل المنهج، وتسميته مع بقية الأجزاء الأربعة الشاملة لجميع المنهج باسم «دراسات في علم العقيدة»، وهو هذه الطبعة.

وأئمتها؛ لأن علمهم قبسٌ من مشكاة النبوة، وقد عمدت إلى نقل نصوصهم بحروفها؛ ليتعوَّد الطالب على فهم كلامهم؛ ولأن كلام السابقين - وإن كان قليل اللفظ - فهو كثير البركة.

واللهَ تعالى أسأل أن يجعله لوجهه خالصًا، ولسنة نبيه ﷺ موافقًا، ولعباده نافعًا.

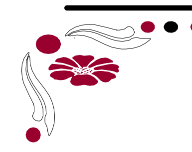
وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري
n0380@hotmail.com



الفصل الأول

مقدمات في علم العقيدة




الفصل الأول

۞ **ويشتمل على ما يلي:**

١- بيان معنى العقيدة؛ لغة واصطلاحًا.
٢- التعريف بعلم العقيدة وموضوعه وأسمائه وعلاقته بالعلوم الأخرى.
٣- بيان وَحْدة دين الرسل وتنوُّع شرائعهم.
٤- حكم تعلُّم علم العقيدة وفضله وثمرته.
٥- تاريخ تدوين علم العقيدة ومراحله والأسباب الداعية للتدوين.
٦- منهج السلف في تدوين علم العقيدة وأهم الكتب المؤلَّفة فيه.
٧- المراد بأهل السنة والجماعة وألقابهم وخصائصهم.
٨- منهج القرآن الكريم في الدعوة للعقيدة.
٩- خصائص منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد.
١٠- مصادر تلقِّي العقيدة الأصلية والفرعية.
١١- مصادر التلقي عند المخالفين إجمالًا وموقف أهل السنة منها.
١٢- مناقشة دعوى عدم الاستدلال بأخبار الآحاد في العقيدة إجمالًا.
١٣- مناقشة دعوى تعارض العقل مع النقل.
١٤- أركان الإيمان تعريفها وأهميتها والأدلة عليها إجمالًا.
١٥- التوحيد؛ المراد به وأقسامه مع الأدلة.





المبحث الأول

معنى العقيدة لغة واصطلاحًا

۞ أولًا: معنى العقيدة لغة:

العقيدة لغة: مشتقة من عقد، يقال: عقد قلبه على الشيء: لزمه فلا ينزع عنه، والعقد: ربط الشيء بالشيء مع شَدٍّ وإحكام، والعقيدة: ما يدين به الإنسان، ويعقد عليه قلبه[(١)].

۞ ثانيًا: معنى العقيدة اصطلاحًا:

العقيدة في الاصطلاح تطلق بإطلاقين:

الأول: عامٌّ، وهو ما يعتقده المرء، ويدين به؛ سواءٌ كان حقًّا أو باطلًا؛ فالاعتقاد الحق كوحدانية الله جلَّ وعلا، والاعتقاد الباطل كاعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة!!

قال ابن حزم: «الاعتقاد هو استقرار حكم بشيء ما في النفس... ويكون إما حقًّا أو باطلًا»[(٢)].

والثاني: خاصٌّ، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ٨٦)، لسان العرب (٤/ ٣٠٣٢)، المطلع على ألفاظ المقنع (ص٤٩٩)، المصباح المنير (٢/ ٤٢١).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٣٩).

والقدر خيره وشره؛ لأن الاعتقاد بالمعنى الخاص يرادف معنى الإيمان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»: «اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره»[(١)]، وقال الحافظ ابن رجب: «أما الإيمان، فقد فسره النبي ﷺ في هذا الحديث بالاعتقادات الباطنة، فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(٢)].

ولفظ (العقيدة) وإن لم يرد -بهذه الصيغة- في الكتاب ولا في السنة، لكن معناه حق، قال الشيخ بكر أبو زيد: «انتشر لفظ (العقيدة) على (التوحيد) ولا وجود لهذا الإطلاق (العقيدة) على هذا المعنى في نصوص الوحيين، لكن لا نزاع في تسويغه»[(٣)]، لكن أصل الكلمة ورد في السنة، ففي حديث زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يعتقد قلب مسلم على ثلاث خصال، إلا دخل الجنة**» قال: قلت: ما هن؟ قال: «**إخلاص العمل، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط مَنْ وراءهم**»[(٤)].

وقد شاع عند العلماء تسمية مصنفاتهم بهذا الاسم (عقيدة، اعتقاد)، مثل: «اعتقاد أئمة الحديث» للإسماعيلي (ت٣٧١هـ)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة»، للالكائي (ت٤١٨هـ)، و«عقيدة السلف وأصحاب الحديث»، للصابوني (ت٤٤٩هـ)، و«الاعتقاد» للبيهقي (ت٤٥٨هـ)، و«لمعة الاعتقاد»، لابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، و«الدرة المضيَّة في عَقْدِ الفرقة المرضيَّة»، للسفاريني (ت١١٨٨هـ)، وغيرها كثير.



(١) العقيدة الواسطية (ص٥٤).
(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٢).
(٣) معجم المناهي اللفظية (ص٦٦٠).
(٤) أخرجه الدارمي في سننه (ح٢٣٦).



المبحث الثاني

التعريف بعلم العقيدة وموضوعه وأسمائه وعلاقته بالعلوم الأخرى

۞ أولًا: التعريف بعلم العقيدة:

هو علم يُعْنى ببيان أصول الاعتقاد ومسائله ودلائله، والرد على المخالفين.

۞ ثانيًا: موضوع علم العقيدة:

موضوع علم العقيدة؛ هو أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، ويتبع ذلك العقيدة في الصحابة وآل البيت والإمامة، ونحو ذلك من الأصول التي خالف فيها بعض أهل البدع.

ويبين الإمام ابن أبي العز الحنفي موضوع علم العقيدة، وطريقة ترتيب مباحثه، فيقول: «وأحسن ما يرتَّب عليه كتاب أصول الدين، ترتيب جواب النبي ﷺ لجبريل عليه السلام، حين سأله عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر**» الحديث[1]، فيبدأ بالكلام على التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك، ثم بالكلام على الملائكة، ثم، وثم إلى آخره»[2].

(١) أخرجه البخاري (ح٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (ح٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٨٩).

۞ ثالثًا: أسماء علم العقيدة:

من أهم هذه الأسماء التي أطلقت على علم العقيدة:

١- السنة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «خلق كثير صنَّفوا في هذه الأبواب [يعني أبواب الاعتقاد]، وسموا ذلك: كتب السنة؛ ليميزوا بين عقيدة أهل السنة، وعقيدة أهل البدعة»[(١)].

وقال الحافظ ابن رجب: «السنة: طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات، ثم صار معنى السنة في عرف كثير من العلماء المتأخرين[(٢)] من أهل الحديث وغيرهم: عبارة عما سَلِم من الشبهات في الاعتقادات - خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر - وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا العلم تصانيفَ وسمَّوها كتب السنة، وإنما خصُّوا هذا العلم باسم السنة؛ لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا هلكة»[(٣)].

ومن المصنفات بهذا الاسم: «أصول السنة» للإمام أحمد (ت٢٤١هـ)، و«السنة» لابن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ)، و«السنة» لعبد الله بن أحمد (ت٢٩٠هـ)، و«أصول السنة» لابن أبي زَمَنين (ت٣٩٩هـ)، وغيرها.

٢- الإيمان:

وأصل هذه التسمية حديث جبريل المشهور المتقدم، وفيه: «**الإيمان أن**

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٧).

(٢) يلاحظ أن تخصيص مفهوم السنَّة بأصول الاعتقاد بدأ في عصر متقدم؛ فالإمام ابن أبي عاصم (المتوفى سنة ٢٨٧هـ) يعرف السنة بمسائل العقيدة، انظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٦٤٥-٦٤٧).

(٣) كشف الكربة (ص١١-١٢).

تؤمن بالله...» الحديث[١]. ووجه تسميته: بذلك أن النبي ﷺ فسَّر الإيمان في هذا الحديث بالاعتقادات الباطنة[٢].

ومن المصنفات بهذا الاسم: «الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته»، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، و«الإيمان» لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، و«الإيمان» لابن أبي عمر العدني (ت٢٤٣هـ)، و«الإيمان» لابن منده (ت٣٩٥هـ)، و«الإيمان» لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، و«أصول الإيمان» للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ).

٣- أصول الدين:

الأصل في اللغة: هو ما يقوم عليه غيره، ويسمى هذا العلم بذلك؛ لأن فروع الدين تنبني عليه.

ومن الكتب المصنفة بهذا الاسم: «الإبانة عن أصول الديانة» لأبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ)، و«الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة» لابن بطة العكبري (ت٣٨٧هـ)، و«الوصول إلى معرفة الأصول»، لأبي عمر الطلمنكي (ت ٤٢٩هـ)[٣]، و«الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوي البدع والفضول»، لأبي الحسن الكَرْجي الشافعي (ت٥٣٢هـ)[٤].

٤- التوحيد:

وسمي هذا العلم بذلك؛ تسمية له بأشرف أجزائه، وهو التوحيد المتضمن

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٢).
(٣) وهو غير مطبوع، ونقل منه نصوصًا كثيرة الإمامُ الذهبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم. انظر: العلو للعلي الغفار (ص٢٤٦)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٨٦)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٨٤).
(٤) الكتاب مفقود، ونقل منه شيخ الإسلام ابن تيمية نصوصًا كثيرة. انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٥)، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٩٥). وقد جمع هذه النصوص المتفرقة وألَّف بينها أ.د/ صالح سندي في كتاب أسماه: القطوف المجموعة من كتاب الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول.

للإقرار بوحدانية الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وسائر مباحث العقيدة - كالإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر والإمامة والصحابة - تعتمد عليه، فهو أساسها وجوهرها.

ومن الكتب المصنفة بهذا الاسم: «التوحيد» لابن خزيمة (ت٣١١هـ)، و«التوحيد» لابن منده (ت٣٩٥هـ)، و«التوحيد» لعبد الغني المقدسي (ت٦٠٠هـ)، و«التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ).

٥- الفقه الأكبر:

وسمي بالفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أبي حنيفة أنه قال: «الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم، ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه، خير من أن يجمع العلم الكثير»[(١)].

وقال ابن أبي العز: «هو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع؛ ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة -رحمة الله عليه- ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين: (الفقه الأكبر)»[(٢)].

ومن المصنفات بهذا الاسم: «الفقه الأكبر» المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة (ت١٥٠هـ)، و«الفقه الأكبر» المنسوب إلى الإمام الشافعي (٢٠٤هـ).

٦- الشريعة:

الشريعة في الأصل تشمل جميع ما شرعه الله تعالى، ثم خُصَّت بمسائل الاعتقاد عند طائفة من العلماء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اسم الشريعة والشرع والشِّرْعة، فإنه ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال. وقد صنف الشيخ أبو بكر الآجري «كتاب الشريعة»، وصنف الشيخ أبو عبد الله ابن بطة «كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» وغير ذلك. وإنما مقصود هؤلاء الأئمة في السنة باسم الشريعة: العقائد التي يعتقدها أهل السنة من

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص٣٢٠). (٢) شرح الطحاوية (١/ ٥).

الإيمان، مثل: اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل، وأن الله موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله خالق كل شيء، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كل شيء قدير، وأنهم لا يكفِّرون أهل القبلة بمجرد الذنوب، ويؤمنون بالشفاعة لأهل الكبائر، ونحو ذلك من عقود أهل السنة، فسموا أصول اعتقادهم شريعتَهم، وفرقوا بين شريعتهم وشريعة غيرهم، وهذه العقائد التي يسميها هؤلاء: الشريعة، هي التي يسمي غيرهم عامتَها العقليات وعلم الكلام، أو يسميها الجميع أصول الدين، ويسميها بعضهم الفقه الأكبر، وهذا نظير تسمية سائر المصنفين في هذا الباب كتاب السنة»[(١)].

ومن الكتب المصنفة بهذا الاسم (بالمعنى الخاص، وهو الاعتقاد): «الشريعة»، لأبي بكر الآجري (ت٣٦٠هـ)، و«الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية»، لابن بطة العكبري (ت٣٨٧هـ)، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

علم الكلام:

يسمي بعضهم هذا العلم باسم (علم الكلام)، قال الآمدي: «العلم الملقَّب بعلم الكلام، الباحث في ذات واجب الوجود، وصفاته، وأفعاله، ومتعلَّقاته»[(٢)]، وقال العضد الإيجي: «علم يُقْتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه»[(٣)]، وقال الغزالي: «مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة، وحراستها عن تشويش أهل البدعة»[(٤)].

وتسمية علم التوحيد علمَ الكلام خطأ؛ لأن الفرق بين علم التوحيد وعلم

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٦-٣٠٧).

(٢) أبكار الأفكار في أصول الدين (١/ ٦٨)، وانظر: مقدمة ابن خلدون (٢/ ١٨٥)، شرح المقاصد في علم الكلام (١/ ٦).

(٣) المواقف (ص٣١).

(٤) المنقذ من الضلال (ص١١٨).

الكلام كالفرق بين الثرى والثريا، فعلم الكلام مصدره عقول البشر وفلسفات الهند واليونان، وأما علم التوحيد فمصدره الوحي، وعلم الكلام قد ذمه السلف وحذروا من الاشتغال به، قال الإمام أحمد بن حنبل: «لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل»[١].

وأما علم التوحيد فهو أول واجب على المكلف، وأصل دعوة الرسل، وعلم الكلام يؤدي بصاحبه إلى الحيرة والشك، كما اعترف بذلك كبارهم، حتى قال الرازي: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن»[٢]. وأما علم التوحيد فيؤدي إلى الإيمان واليقين؛ ولهذا قال ابن أبي العز: «وإنما سمي هؤلاء (أهل الكلام)؛ لأنهم لم يفيدوا علمًا لم يكن معروفًا، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد»[٣]، بل قد يضر، أو لأنهم تكلموا حيث سكت السلف، قال مالك بن أنس: «إياكم والبدعَ، قيل: يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان»[٤].

۞ رابعًا: علاقة علم العقيدة بالعلوم الأخرى:

علاقة علم العقيدة بعلم التفسير:

يتجلى ذلك من خلال ما قرره أهل العلم من أن القرآن كله في التوحيد، قال ابن القيم: «إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، **فإن القرآن:**

١- إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري.

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٢)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ١٧-١٨).
(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٤٤).
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٤٢).
(٤) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٧).

٢- وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

٣- وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته.

٤- وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

٥- وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[(١)].

كما أن القرآن الكريم قد تناول بقية أركان الإيمان بالبيان والإيضاح، وهذه الآيات تناولها علماء التفسير بالشرح والبيان.

علاقة علم العقيدة بعلم الحديث:

السنة مبينة للقرآن، والقرآن كله في التوحيد كما مر، فالسنة مبينة لفصول الاعتقاد التي تضمنها القرآن، فـ«النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا»[(٢)]، قال السيوطي: «وقد صرح ابن تيمية... وغيره بأن النبي ﷺ بين لأصحابه تفسير جميع القرآن أو غالبه»[(٣)]، وقال الإمام ابن القيم: «فكما بلغ الرسول ألفاظ القرآن للأمة بلغهم معانيه، بل كانت عنايته بتبليغ معانيه أعظم من مجرد تبليغ ألفاظه، ولهذا وصل العلم بمعانيه إلى من لم يصل إليه حفظ

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤١٧-٤١٨)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ٤٢-٤٣)، تيسير العزيز الحميد (ص٢٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣١).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢٩٩).

ألفاظه»[(١)]، و«الصحابة بلغوا عن النبي ﷺ لفظ القرآن ومعانيه جميعًا، كما ثبت ذلك عنهم»[(٢)].

فقد تضمنت السنة النبوية كثيرًا من الأحاديث العقدية التي تبين أصول الاعتقاد وأركان الإيمان، وقد أفرد كثير من أئمة السنة تراجمَ مخصوصةً بأبواب الاعتقاد، وصنفوا الكتب المسندة في بيان اعتقاد أهل السنة مستدلين عليها بالأحاديث النبوية والآثار السلفية.



(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٦٣٦).
(٢) بغية المرتاد (ص٣٣٠).



المبحث الثالث

بيان وحدة دين الرسل وتنوع شرائعهم

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، قال أهل التفسير: شرع لكم ولمن قبلكم دينًا واحدًا[١].

وهذا الدين هو دين الإسلام، «الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد دينًا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو دين الأنبياء وأتباعهم، كما أخبر الله تعالى بذلك عن نوح ومن بعده إلى الحواريين، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧١ - ٧٢]، وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢]، وقال تعالى عن يوسف الصِّدِّيق: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ٤٦)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٦٠٧).

ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال تعالى عن موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وأخبر تعالى عن السحرة، أنهم قالوا لفرعون: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وقال تعالى عن بلقيس ملكة اليمن: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال تعالى عن أنبياء بني إسرائيل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى عن المسيح: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١]، فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم هو دين الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وعبادته تعالى في كل زمان ومكان، بطاعة رسله عليهم السلام»(١).

والإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وفي الحديث الصحيح: «**الأنبياء إخوة لعلّات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»(٢)، أي: كأبناء أمهات شتى من رجل واحد، والمقصود: أن الأنبياء بعثوا متفقين في أصول التوحيد، مختلفين في فروع الشرع.

وأعظم أصول التوحيد التي اتفق عليها الرسل -عليهم الصلاة والسلام- الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وكذلك يتفق الرسل في أصول التشريعات ومقاصدها العامة؛ كحفظ

---

(١) الجواب الصحيح (١/ ٨١-٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٤٤٣).

الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل، وكذلك أصول المحرمات وأمهاتها؛ كالإشراك بالله، والزنا، وقتل النفس بغير حق، وأكل مال الغير، وشهادة الزور، وغيرها، وأصول الأخلاق؛ مثل: الصدق، والعدل، والإحسان، والعفاف، والبر، والرحمة، وغيرها.

وأما الاختلاف بينهم ففي الشرائع، والمناهج، والأحكام الفرعية، كما قال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «دين الأنبياء واحد، وملتهم واحدة وهي الأمة، وإنما تنوعت شرائعهم ومناهجهم»[١].



(١) الرد على الإخنائي (ص٤٧٣).



المبحث الرابع

حكم تعلُّم علم العقيدة وفضله وثمرته

۞ أولًا: حكم تعلم علم العقيدة:

لا خلاف أن تعلم علم العقيدة فرض، لكن هل هو فرض عين أم فرض كفاية؟ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «طلب العلم الشرعي فرض على الكفاية إلا فيما يتعين؛ مثل طلب كل واحد علم ما أمره الله به وما نهاه عنه؛ فإن هذا فرض على الأعيان»(١).

فتعلم أصول علم العقيدة على سبيل الإجمال فرض عين على كل مسلم، وأما تعلم العقيدة تفصيلًا بأدلتها ففرض كفاية إن قام به من تحصل بهم الكفاية من المسلمين سقط الإثم عن الباقين، وإلا أثموا جميعًا؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢]. قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «لا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانًا عامًّا مجملًا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله ﷺ، وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه، وعلم الكتاب والحكمة، وحفظ

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٨٠).

الذِّكْر، والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم»[(١)].

وأما ما يجب على كل أحد بعينه فهو يختلف باختلاف قدراتهم وحاجاتهم وعلومهم ووظائفهم؛ فإن الوجوب في الإسلام معلق على الاستطاعة، كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فيجب على من كان في دار علم وإيمان غير ما يجب على من كان في دار جهل وضلال، ويجب على من لديه شبهة تؤثر على إيمانه ما لا يجب على من ليس كذلك، ويجب على المفتي والقاضي ما لا يجب على عامة الناس، قال ابن أبي العز الحنفي: «وأما ما يجب على أعيانهم: فهذا يتنوع بتنوع قدرهم، وحاجتهم ومعرفتهم، وما أمر به أعيانهم، ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك، ويجب على من سمع النصوص، وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدث والحاكم ما لا يجب على من ليس كذلك»[(٢)].

۞ ثانيًا: فضل علم العقيدة:

علم العقيدة هو أشرف العلوم منزلة وأعلاها مكانة وأوجبها مطلبًا، ويتبين ذلك من خلال وجوه كثيرة، **منها:**

١- أنه يتعلق بأشرف معلوم، وهو الله جل جلاله[(٣)]، قال الإمام ابن رجب: «أفضل العلم العلم بالله، وهو العلم بأسمائه وصفاته، وأفعاله التي

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٧-٨).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٧-٨)، وانظر: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (١/ ٥٦-٥٨)، مسائل في طلب العلم وأقسامه، للذهبي (ص٢١٣-٢١٤)، ضمن ست رسائل للحافظ الذهبي، تحقيق: جاسم سليمان الدوسري.

(٣) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٥)، أحكام القرآن (٢/ ٣٣٨).

توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته، والتبتل إليه والتوكل عليه، والرضا عنه، والاشتغال به دون خلقه، ويتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتفاصيل ذلك»(١)، وقال الإمام ابن القيم: «أفضل العلم والعمل والحال العلمُ بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعمل بمرضاته، وانجذاب القلب إليه بالحب والخوف والرجاء، فهذا أشرف ما في الدنيا، وجزاؤه أشرف ما في الآخرة»(٢).

٢- أن «حاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه»(٣).

٣- أنه أول دعوة الرسل جميعًا، «فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته، من أولهم إلى آخرهم»(٤)، وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]»(٥)، فـ«جعل الله مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٤١).
(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص١١٤).
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٥-٦).
(٤) مدارج السالكين (١/ ١٢١).
(٥) شرح الطحاوية (١/ ٢١).

سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها»[(١)].

٤- أنه أول ما يؤمر به العبد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: «**إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى...**»[(٢)].

٥- أن القرآن كله في التوحيد والدعوة إليه والتحذير مما يضاد أصله وكماله[(٣)]، كما مر.

٦- أن العلم به وتعلمَه أفضل الأعمال عند الله تعالى: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه...**»[(٤)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «**إيمان بالله ورسوله**»[(٥)].

٧- أن قبول الأعمال متوقف على التوحيد، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، قال ابن الجوزي: «﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً﴾؛ لأن العمل لا يتقبل مع الشرك»[(٦)]، وعن عائشة رضي الله عنها قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لا ينفعه؛ إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[(٧)].

٨- أنه سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وعن عثمان رضي الله عنه، قال:

(١) شرح الطحاوية (١/ ٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٧-٤١٨).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١٢/ ٤٨٢)، وصححه محققوه.

(٥) أخرجه البخاري (ح٢٦)، ومسلم (ح٨٣).

(٦) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٣١٧).

(٧) أخرجه مسلم (ح٢١٤).

قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»(١)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار**»(٢).

۞ ثالثًا: ثمرة علم العقيدة:

تعلم العقيدة الصحيحة وتحقيقها في القلب له ثمرات عديدة، منها:

١- نزول البركات وحصول الحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال جل جلاله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَٰخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩].

٢- اجتماع الأمة ووحدتها، قال جل وعلا: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٣- الأمن والنجاة في الآخرة، قال جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

٤- طمأنينة القلب وانشراح الصدر، قال سبحانه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح٤٤٩٧).

«إن ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم أهل السنة والجماعة من المعرفة واليقين والطمأنينة والجزم الحق والقول الثابت والقطع بما هم عليه أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين»[(١)]، ولهذا «تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالًا من قول إلى قول، وجزمًا بالقول في موضع، وجزمًا بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين»[(٢)].



(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٠).



المبحث الخامس

تاريخ تدوين علم العقيدة ومراحله والأسباب الداعية للتدوين

۞ أولًا: تاريخ تدوين علم العقيدة ومراحله:

المرحلة الأولى: بدأ التدوين في هذا العلم مختلطًا بعلم الحديث وكتب السنة الجامعة، حيث قام علماء الحديث بتدوين السنة النبوية والتي تتضمن أحاديث في موضوعات شتى، منها أحاديث تتعلق بمسائل العقيدة، كأبواب الإيمان والتوحيد والقدر والفتن والقيامة والجنة والنار[(١)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن كتب الصحاح والسنن والمسانيد هي المشتملة على أحاديث الصفات، بل قد بُوِّب فيها أبوابٌ، مثل: (كتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية) الذي هو آخر كتاب صحيح البخاري، ومثل: (كتاب الرد على الجهمية) في سنن أبي داود، وكتاب (النعوت) في سنن النسائي؛ فإن هذه مفردة لجمع أحاديث الصفات وكذلك قد تضمن (كتاب السنة) من سنن ابن ماجه ما تضمنه، وكذلك تضمن صحيح مسلم، وجامع الترمذي، وموطأ مالك، ومسند الشافعي، ومسند أحمد بن حنبل، ومسند موسى بن قرة الزبيدي، ومسند أبي داود الطيالسي، ومسند ابن وهب، ومسند أحمد بن

(١) للتفصيل والاستزادة انظر: منهج أهل السنة في تدوين العقيدة، د. ناصر الحنيني (ص٨١) وما بعدها.

منيع، ومسند مسدد، ومسند إسحاق بن راهويه، ومسند محمد بن أبي عمر العدني، ومسند أبي بكر بن أبي شيبة، ومسند بقي بن مخلد، ومسند الحميدي، ومسند الدارمي، ومسند عبد بن حميد، ومسند أبي يعلى الموصلي، ومسند الحسن بن سفيان، ومسند أبي بكر البزار، ومعجم البغوي، والطبراني، وصحيح أبي حاتم بن حبان، وصحيح الحاكم، وصحيح الإسماعيلي، والبرقاني، وأبي نعيم، والجوزقي، وغير ذلك من المصنفات الأمهات التي لا يحصيها إلا الله»[١].

المرحلة الثانية: إفراد علم العقيدة، أو باب من أبوابه، أو مسألة من مسائله بالتصنيف، ولعل أول من سبق إلى ذلك الإمام حماد بن سلمة (ت١٦٧هـ)، قال الإمام أبو يعلى: «ذكر إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي في كتاب العظمة بإسناده، عن أبي عمرو البصري، واسمه سهل بن هارون، قال: كان أول من خرج هذه الأحاديث أحاديث الرؤية، وجمعها من البصريين حماد بن سلمة، فقال له بعض إخوانه: يا أبا سلمة، لقد سبقت إخوانك بجمع هذه الأحاديث في الوصف، قال: سمعت حماد بن سلمة، يقول: إنه والله ما دعتني نفسي إلى إخراج ذلك إلا أني رأيت العلم يخرج، رأيت العلم يخرج، رأيت العلم يخرج، يقولها ثلاثًا وهو ينفض كفه، فأحببت إحياءه وبثَّه في العامة؛ لئلا يطمع في خروجه أهل الأهواء»[٢].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أشهر الأئمة الذين اعتنوا بجمع أحاديث الاعتقاد مفردة، فقال: «وقد جمع طوائف من العلماء الأحاديث والآثار المروية في أبواب عقائد أهل السنة، مثل: حماد بن سلمة، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وعثمان بن سعيد الدارمي، وغيرهم في طبقتهم، ومثلها ما بوَّب عليه البخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم في كتبهم، ومثل مصنفات أبي بكر الأثرم، وعبد الله بن

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٣١-٣٣٢). (٢) إبطال التأويلات (ص٥٠).

أحمد، وأبي بكر الخلال، وأبي القاسم الطبراني، وأبي الشيخ الأصبهاني، وأبي بكر الآجري، وأبي الحسن الدارقطني، وأبي عبد الله بن منده، وأبي القاسم اللالكائي، وأبي عبد الله ابن بطة، وأبي عمر الطلمنكي، وأبي نعيم الأصبهاني، وأبي بكر البيهقي، وأبي ذر الهروي، وإن كان يقع في بعض هذه المصنفات من الأحاديث الضعيفة ما يعرفه أهل المعرفة»[١].

المرحلة الثالثة: في القرن السابع صار للمبتدعة من أهل التشيع والتصوف والفلسفة والكلام ظهور وانتشار، فقيض الله للأمة أعلامًا كان لهم قدم صدق في الذَّبِّ عن السنة ومواجهة البدعة، كشيخ الإسلام ابن تيمية، ومن مصنفاته: منهاج السنة النبوية، ودرء تعارض العقل والنقل، وبيان تلبيس الجهمية، والتدمرية، والواسطية، والحموية، وغيرها.

وتلميذه الإمام ابن القيم (ت٧٥١هـ)، ومن مصنفاته: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، واجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية، وغيرهما.

وابن رجب (ت٧٩٥هـ)، ومن مصنفاته: تحقيق كلمة الإخلاص، وفضل علم السلف على علم الخلف.

والذهبي (ت٧٤٨هـ)، ومن مصنفاته: العلو للعلي الغفار.

وابن أبي العز الحنفي (ت٧٩٢هـ)، ومن مصنفاته: شرح العقيدة الطحاوية.

ثم تلا ذلك ظهور الشيخ الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ) بدعوته الإصلاحية التجديدية، ومن مصنفاته: التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وأصول الإيمان، وثلاثة الأصول، وكشف الشبهات، وغيرها.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٩).

وتلاه أئمة الدعوة النجدية، مثل: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٣٣هـ)، وله كتاب: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد.

وعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٨٥هـ)، صاحب كتاب: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، وقرة عيون الموحدين.

وعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٩٣هـ)، صاحب كتاب: منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، ومصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام، وتحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس.

وتأثر بهذه الدعوة الإصلاحية عدد من العلماء في غير بلاد نجد، منهم:

❃ أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي (ت١٣٠٧هـ)، صاحب كتاب: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر.

❃ وأبو البركات نعمان بن محمود بن عبد الله الألوسي (ت١٣١٧هـ)، صاحب كتاب: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين.

❃ ومحمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي (ت١٣٢٦هـ)، صاحب كتاب: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان.

❃ وأبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت١٣٤٢هـ)، صاحب كتاب: غاية الأماني في الرد على النبهاني.

❃ وسار على دربهم علماء الأمة من المعاصرين، مثل الشيخ عبد الرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ)، ومحمد بن إبراهيم (ت١٣٨٩هـ)، ومحمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، وعبد العزيز بن باز (ت١٤٢٠هـ)، وابن عثيمين (ت١٤٢١هـ)، وصالح الفوزان، وعبد الرحمن البراك، وعبد العزيز الراجحي، وغيرهم كثير بحمد الله تعالى.

وكانوا -ولله الحمد- في تقرير العقيدة على منهج واحد، وعقيدة واحدة، قال الإمام أبو المظفر السمعاني: «ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد وفعلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيءٍ ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟!»[(١)].

ثم أنشئت الجامعات في العالم الإسلامي وتضمنت أقسامًا علمية متخصصة في علم العقيدة تخرج منها جملة من الأعلام الذين نفع الله بهم العباد والبلاد، وقام كثير منهم بتحقيق كثير من نفائس كتب التراث في هذا العلم، كما وضعوا كثيرًا من البحوث والدراسات التي عُنيت بتقرير اعتقاد أهل السنة، والذب عنه، والرد على مخالفيه.

وهكذا تتابع العلماء على التأليف في الاعتقاد، ونشر السنة، ومحاربة البدعة، وصدق فيهم قول الإمام أحمد: «يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحْيَوْه، وكم من ضال تائه قد هدَوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم»[(٢)].



(١) الانتصار لأصحاب الحديث (ص٤٥).
(٢) الرد على الجهمية والزنادقة (ص٥٥).

۞ ثانيًا: الأسباب الداعية لتدوين علم العقيدة:

من أهم الأسباب التي دعت أهل السنة إلى تدوين المصنفات في علم العقيدة ما يلي[١]:

١- أهمية تعليم الناس العقيدة الصحيحة، اقتداء بالنبي ﷺ، فعن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حَزَاوِرة[٢]، «فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا»[٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن سلف الأمة وأئمتها ما زالوا يتكلمون ويفتون ويحدثون العامة والخاصة بما في الكتاب والسنة من الصفات، وهذا في كتب التفسير والحديث والسنن أكثر من أن يحصيه إلا الله»[٤]، وقال أيضًا: «وقد أوجب الله تعالى تبليغ ما بعث به رسله وأمر ببيان العلم، وذلك يكون بالمخاطبة تارة وبالمكاتبة أخرى، فإذا كان المبتدعون قد وضعوا الإلحاد في كتب، فإن لم يكتب العلم الذي بعث الله به رسوله في كتب لم يظهر إلحاد ذلك، ولم يحصل تمام البيان والتبليغ، ولم يعلم كثير من الناس ما بعث الله به رسوله من العلم والإيمان المخالف لأقوال الملحدين المحرفين»[٥].

٢- ظهور البدع المخالفة للاعتقاد الصحيح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال [مالك]: جمعت هذا [يعني الموطأ] خوفًا من الجهمية أن يضلوا

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة، د. ناصر الحنيني (ص٤٩) وما بعدها، تدوين علم العقيدة عند أهل السنة، د. يوسف الطريف (ص١٥) وما بعدها، المدخل إلى دراسة العقيدة الإسلامية، د. أحمد القاضي (ص١١١) وما بعدها.

(٢) هو جمع حَزْوَر وحزَوَّر، وهو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع. (النهاية لابن الأثير ١/ ٣٨٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه (ح٦١)، قال البوصيري: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» (مصباح الزجاجة ١/ ١٢).

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٣٦).

(٥) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٦٢١).

الناس، لما ابتدعت الجهمية النفي والتعطيل»[١]، وقال أيضًا: «إن الذي أوجب لهم [يعني السلف] جمع هذه الأحاديث وتبويبها ما أحدثت الجهمية من التكذيب بموجبها وتعطيل صفات الرب المستلزمة لتعطيل ذاته، وتكذيب رسوله والسابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان، وما صنفوه في ذلك من الكتب، وبوبوه أبوابًا مبتدعة يردون بها ما أنزله الله على رسوله ويخالفون بها صرائح المعقول وصحائح المنقول»[٢].

٣- **الخوف من ضياع العلم بسبب انتشار الجهل وفقد العلماء**، قال الإمام البخاري: «(باب كيف يقبض العلم) وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر ابن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء»[٣]، وقال الإمام الدارمي في مقدمة كتابه (الرد على الجهمية) عن السبب الذي دعاه إلى كتابته: «وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه، وقد كانوا رزقوا العافية منهم [يعني أهل البدع]، وابتلينا بهم عند دروس الإسلام، وذهاب العلماء، فلم نجد بدًّا من أن نرد ما أتوا به من الباطل بالحق»[٤].

٤- **طلب الناس من العلماء الكتابة لهم في مسائل العقيدة**، ومن أمثلة ذلك قول الإمام اللالكائي عن سبب تأليف كتابه: (أصول اعتقاد أهل السنة): «وقد كان تكررت مسألة أهل العلم إياي عودًا وبدءًا في (شرح اعتقاد مذاهب أهل الحديث) قدس الله أرواحهم، وجعل ذكرنا لهم رحمة ومغفرة، فأجبتهم إلى مسألتهم لما رأيت فيه من الفائدة الحاصلة، والمنفعة السنية التامة، وخاصة في هذه الأزمنة التي تناسى علماؤها رسوم مذاهب أهل السنة، واشتغلوا عنها بما أحدثوا من العلوم الحديثة، حتى ضاعت الأصول القديمة التي أسست

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٣٦).
(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٦٢٠-٦٢١).
(٣) صحيح البخاري (١/ ٣١).
(٤) الرد على الجهمية للدارمي (ص٢٣).

عليها الشريعة، وكان علماء السلف إليها يدعون، وإلى طريقها يهدون، وعليها يعولون، فجددت هذه الطريقة لتعرف معانيها وحججها، ولا يقتصر على سماع اسمها دون رسمها»[(١)].

٥- طلب الخلفاء والولاة من العلماء الكتابة في مسائل الاعتقاد، وقد سبق أمر عمر بن عبد العزيز للزهري بكتابة العلم وجمع الحديث، وقال الإمام ابن كثير: «وقد كتب الخليفة [يعني المتوكل] إلى الإمام أحمد يسأله عن القول في القرآن؛ سؤال استرشاد واستفادة لا سؤال تعنت ولا امتحان ولا عناد، فكتب إليه أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة حسنة، فيها آثار عن الصحابة وغيرهم، وأحاديث مرفوعة، وقد أوردها ابنه صالح في المحنة التي ساقها، وهي مروية عنه، وقد نقلها غير واحد من الحفاظ»[(٢)].



(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٨).

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٤٢٠).



المبحث السادس

منهج السلف في تدوين علم العقيدة وأهم الكتب المؤلفة فيه

۞ أولًا: منهج السلف في تدوين علم العقيدة:

من أهم ما يميز منهج السلف في تدوين علم العقيدة ما يلي[(١)]:

١- الاعتماد في جميع مسائل العقيدة على نصوص الكتاب والسنة؛ لأنهما سبيل الهدى، فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوضَ**»[(٢)].

٢- الاهتمام بجمع آثار الصحابة والتابعين من القرون الفاضلة المشهود لهم بالخيرية، فعن صالح بن كيسان، قال: اجتمعت أنا والزهري، ونحن نطلب العلم، فقلنا: نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم قال: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة، فقلت أنا: ليس بسنة فلا نكتبه، قال:

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة (ص٧١) وما بعدها، المدخل إلى دراسة العقيدة الإسلامية، د. أحمد القاضي (ص١١٦) وما بعدها.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٧٢)، والدارقطني في السنن (٥/ ٤٤٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٩٣٧).

فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت[(١)].

٣- اتفاقهم في تقرير مسائل الاعتقاد على قول واحد، فلا تجد في كتبهم اختلافًا أو اضطرابًا أو تناقضًا، قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني: «وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة، وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلما يختلف، وإن اختلف في لفظ أو كلمة، فذلك اختلاف لا يضر الدين، ولا يقدح فيه، وأما دلائل العقل فقلما تتفق، بل عقل كل واحد يُري صاحبَه غير ما يَرَى الآخر، وهذا بيِّنٌ والحمد لله»[(٢)].

٤- التعبير عن الله تعالى بالألفاظ الشرعية، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة. والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات، ولا يتدبرون معانيها، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده، وأما أهل الحق والسنة والإيمان فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده، والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضًا جميلًا، أو يبينوا حاله تفصيلًا، ويحكم عليه بالكتاب والسنة، لا يحكم به على الكتاب والسنة»[(٣)].



(١) تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص١٠٦-١٠٧).
(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٤١).
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٧٠-٧١).

۞ ثانيًا: أهم الكتب المؤلفة في علم العقيدة:

١- منهج العرض، وأهم الكتب المؤلفة فيه:

والمراد به: عرض اعتقاد أهل السنة مجملًا أو مفصلًا بأدلته في جميع أبواب الاعتقاد أو أكثرها، **ومن الكتب المؤلفة في ذلك ما يلي:**

❊ أصول السنة، للإمام أبي بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي، صاحب المسند، توفي سنة ٢١٩هـ، وهي رسالة مختصرة عرض فيها الإمام الحميدي عقيدة أهل السنة بعبارات مختصرة موجزة في أهم أصول الاعتقاد التي خالف فيها المبتدعة كالقدر والإيمان والصفات وخاصة صفة الكلام، والقول في القرآن، ورؤية المؤمنين ربهم، والقول في الصحابة رضي الله عنهم.

❊ السنة، للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل، الحافظ الحجة، توفي سنة ٢٩٠هـ، وموضوعه سياق الأحاديث والآثار المسندة عن السلف الصالح في بيان مذهب أهل السنة في القرآن وأنه غير مخلوق، وإثبات رؤية الرب يوم القيامة، والكلام على بعض الصفات التي أنكرها الجهمية، والكلام في الإيمان والرد على بدع المرجئة والوعيدية، وإثبات صحة إمامة وخلافة الخلفاء الثلاثة، وفتنة القبر، والكلام على الخوارج.

❊ السنة، لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون المشهور بـ«الخلَّال»، توفي سنة ٣١١هـ، وقد صرف المُصَنِّف هِمَّته في هذا الكتاب إلى جمع مسائل الإمام أحمد رحمه الله، ولم يقتصر على جمعها فحسب، بل كانت له زيادات من طريقه هو، وعضد ذلك بذكر أقوال أئمة السلف كإسحاق بن راهويه وسفيان ومالك، فصار الكتاب بذلك أصلًا مهمًّا في بيان معتقد السلف والرد على الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجهمية.

❊ شرح السنة، للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، الفقيه القدوة كان قوَّالًا بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم،

توفي سنة ٣٢٩هـ، وقد ضمَّن فيه المُصَنِّف جملة كبيرة من اعتقاد أهل السنة بصورة مختصرة موجزة، مع ذكر بعض الأدلة أحيانًا، وأضاف إلى ذلك التحذير من أصحاب الأهواء والبدع.

❃ العظمة (عظمة الله ومخلوقاته)، للإمام أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، حافظ أصبهان وإمامها والمحدث الثقة، والمفسر المشهور، توفي سنة ٣٦٩هـ، وموضوع الكتاب في بيان عظمة الله تعالى من خلال ما اتصف به من صفات الكمال، وكذلك من خلال بعض المخلوقات العظيمة كالملائكة والسماوات والشمس والقمر، وقسَّم المُصَنِّف الكتاب إلى مباحثَ وأبواب، وجعل لكل منها عنوانًا، وأورد تحت كل ترجمة ما يناسبها من آيات قرآنية وأحاديث وآثار، ويؤخذ على المصنف إيراده للأحاديث الموضوعة والواهية، وذكره للإسرائيليات.

❃ الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، توفي سنة ٣٦٠هـ، يتناول الكتاب العديد من أبواب العقيدة، كالأمر بلزوم الجماعة ورؤية الله في الآخرة والإيمان، وهو يعد من أكبر المؤلفات في هذا الموضوع، وقسم الآجري الكتاب إلى أبواب، وجعل لكل باب عنوانًا وأورد تحت كل عنوان جملة من الآيات والأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة تتعلق بالموضوع الذي هو بصدده، وعلَّق المُصَنِّف على كثير من النصوص التي أوردها بالشرح والبيان، والرد على المخالفين ودحض شبههم والتحذير من بدعتهم.

❃ اعتقاد أئمة الحديث، للإمام أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني، توفي سنة ٣٧١هـ، وقد بين فيه اعتقاد أهل السنة بعبارات وجيزة مختصرة في مسائل الأسماء والصفات والقضاء والقدر، وحقيقة الإيمان، والشفاعة والحوض والحساب، وعذاب القبر، والصحابة، ولزوم الجماعة، وغيرها.

❋ الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد العكبري، المعروف بـ«ابن بطة»، توفي سنة ٣٨٧هـ، وقد قسَّم المُؤلِّف الكتاب إلى أربعة أقسام رئيسية؛ أما القسم الأول فجعله في مسألة الإيمان وبيان قول أهل السنة فيه، والرد على الفرق المخالفة لأهل السنة كالمرجئة وغيرهم. وأما القسم الثاني فهو في بيان معتقد أهل السنة في القدر والرد على القدرية الذين نفوا القدر. وأما القسم الثالث فجعله في الرد على الجهمية وعقائدهم. والقسم الرابع في فضائل الصحابة، وهذا الموجود فقط من الكتاب ولعله قدر نصف الكتاب فقط، والباقي مفقود، ويعد الكتاب ثروة علمية قَيِّمة؛ إذ إنه حافل بجملة كبيرة من أقوال أئمة السنة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، وفي الرد على الفرق المبتدعة.

❋ أصول السنة، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري، المعروف بـ«ابن أبي زَمَنِين المالكي»، توفي سنة ٣٩٩هـ، وقد عرض فيه عقيدة أهل السنة مع الاستدلال عليها بالأدلة، ويسوق في ذلك الأحاديث والآثار بأسانيده، مع التعليق عليها أحيانًا.

❋ شرح أصول اعتقاد أهل السنة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، الإمام الحافظ الفقيه، ومحدث بغداد، توفي سنة ٤١٨هـ، وقد عرض فيه المصنف اعتقاد أئمة السلف بأسانيده المتصلة إليهم، وتناول فيه الحديث عن توحيد الله وأسمائه وصفاته، والوحي والمعجزات، وحقيقة الإيمان، والشفاعة لأهل الكبائر، والإيمان بالجنة والنار والبعث وأهوال القيامة، وفضائل الصحابة رضي الله عنهم، وهو في كل ذلك يورد الأحاديث والآثار مسندة.

❋ عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، توفي سنة ٤٤٩هـ، وسبب تأليفه هو طلب بعض إخوانه أن يجمع لهم فصولًا في أصول الدين التي أجمع عليها السلف، وهذا

الكتاب يحتوي على عرض لجملة من أصول اعتقاد أهل السنة بطريقة مختصرة، وقد يستشهد في بعض المسائل بالأحاديث والآثار المسندة وكلام بعض الأئمة[١].

❋ الحجة في بيان المحجة، للإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، الملقب بـ«قِوَام السُّنَّة»، توفي سنة ٥٣٥هـ، وقد عرض فيه اعتقاد أهل السنة في جملة كبيرة من أصول الاعتقاد، كالتوحيد والصفات وفضائل الصحابة، والتمسك بالسنة والتحذير من البدع والأهواء، وقد سرد في كل مسألة الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف بأسانيده، والاستشهاد بأقوال بعض الأئمة، مع الرد على الفرق المخالفة أحيانًا.

❋ الاقتصاد في الاعتقاد، للإمام عبد الغني بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي، توفي سنة ٦٠٠هـ، وقد تناول فيه المصنف بيان عقيدة أهل السنة بأدلتها بصورة موجزة مختصرة، ومن أهم المسائل التي ذكرها إثبات الصفات، والقضاء والقدر، وحقيقة الإيمان، وفضائل الصحابة، وغيرها.

❋ لمعة الاعتقاد، للإمام أبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، توفي سنة ٦٢٠هـ، وهو متن عقدي مختصر ذكر فيه عقيدة أهل السنة باختصار وإيجاز، مع ذكر الأدلة.

٢- منهج الرد، وأهم الكتب المؤلفة فيه:

والمراد به: إفراد طائفة من أهل البدع بالرد على مقالاتهم كالجهمية والقدرية، أو إفراد مسألة من مسائل العقيدة بالتصنيف وبيان الفرق المخالفة فيها والرد عليهم كالصفات والإمامة، **ومن أهم الكتب المؤلفة في ذلك ما يلي:**

---

(١) انظر: مقدمة المحقق د. ناصر الجديع (ص٥٤-٥٥).

❃ الرد على الجهمية والزنادقة، لإمام أهل السنة أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، كان من أوعية السنة وحفاظها، إمامًا في الزهد والورع والصدع بالحق، صبر في المحنة، فصار إمام أهل السنة، توفي سنة ٢٤١هـ، وهو من أجلِّ كتب الإمام أحمد في الاعتقاد، ويتضمن الرد على شبهات الجهمية والجواب عن بعض الآيات القرآنية التي تعلق بها أهل البدع فحرفوها وفق أهوائهم.

❃ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، للإمام المحدِّث عبد الله بن مسلم بن قتيبة، خطيب أهل السنة وأديبهم، توفي سنة ٢٧٦هـ، ويتضمن الرد على نفاة القدر وأهل الجبر، ونفاة الصفات، والقائلين بخلق القرآن، والمشبهة، والرد على النواصب والروافض.

❃ الرد على الجهمية، والرد على بشر المريسي، لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، الحافظ محدث هراة وأحد الأعلام الثقات، توفي سنة ٢٨٠هـ، وموضوعهما الرد على ما أحدثه الجهمية من مقالات في باب الأسماء والصفات، قال ابن القيم: «وكتاباه من أجلِّ الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمهما جدًّا، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما»(١).

❃ الإمامة والرد على الرافضة، للإمام أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، الحافظ الكبير، محدث العصر، توفي سنة ٤٣٠هـ، وقد أفرده للحديث عن فضائل الصحابة، وإثبات إمامة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وأراد بذلك الرد على الرافضة في إنكارهم خلافة الخلفاء الثلاثة، وقد ساق في هذا الكتاب كثيرًا من الأحاديث والآثار بإسناده، وقد

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٣١).

يتبعها بالتعليق أحيانًا.

❊ رسالة إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للإمام أبي نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي البكري، توفي سنة ٤٤٤هـ، وموضوع الكتاب هو -كما يفهم من اسمه- إثبات أن كلام الله ﷻ بحرف وصوت والرد على من أنكر ذلك، وقد تعرض لمسائل أخرى هامة من مسائل العقيدة؛ كالاستواء، والنزول، وإثبات اليدين وغير ذلك من صفات الباري جل وعلا[(١)].

❊ الرد على المبتدعة، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الله، المعروف بـ«ابن البنَّاء»، توفي سنة ٤٧١هـ، وموضوعه بيان عقيدة أهل السنة والرد على من خالفها، وهو كتاب مسند على طريقة السلف الأوائل، عرض فيه أصول أهل السنة في القدر والقرآن ورؤية المؤمنين ربهم، ومسائل الإيمان، وعذاب القبر والصراط والميزان وفضائل الصحابة وغير ذلك، وفي كل مسألة يورد الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف، مع الرد على المخالفين[(٢)].

❊ الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة، لأبي القاسم عبد الوهاب بن عبد الواحد المعروف بـ«ابن الحنبلي»، توفي سنة ٥٣٦هـ، وموضوعه الأصلي الرد على الأشاعرة في مسألة الكلام، وإثبات أن كلام الله تعالى بحرف وصوت، والكلام على الصفات الفعلية والقدر ورؤية الله بالأبصار في الآخرة، ومسائل الإيمان، وغيرها، والرد على عقيدة الأشاعرة في هذه المسائل.

❊ الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، توفي سنة ٥٥٨هـ، وموضوع

(١) انظر: مقدمة المحقق محمد با كريم با عبد الله (ص٨١-٨٢).
(٢) انظر: مقدمة المحقق عادل آل حمدان (ص٣-٤).

الكتاب هو الانتصار لعقيدة السلف وإثباتها، ومن أهم المسائل التي تعرض لها تفصيلا إثبات القدر، والرد على القدرية، وقد شغل إثبات القدر جزءًا كبيرًا من الكتاب، كما تعرض لإثبات الصفات والرد على الجهمية والمعتزلة، وإثبات رؤية الله في الآخرة، ثم ذكر مذهب السلف في الإيمان ومرتكبي الكبائر والشفاعة ورد على المرجئة والخوارج والمعتزلة، ثم ذكر الميزان والصراط والحوض والجنة والنار والدجال، والإمامة والرد على بدع الرافضة[1].

٣- منهج التأليف في موضوعات مفردة، وأهم الكتب المؤلفة فيه:

والمراد به: إفراد مسألة من مسائل الاعتقاد بالتصنيف ببيان اعتقاد أهل السنة فيها، وجمع الأدلة عليها من الكتاب والسنة وآثار السلف، وقد يتضمن الرد على المخالفين في هذه المسألة وتفنيد شبهاتهم وإبطال مذهبهم، **ومن الكتب المؤلفة في ذلك ما يلي:**

❋ كتاب القدر، للإمام عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري المصري، كان عالمًا صالحًا فقيهًا كثير العلم، تتلمذ عليه أئمة كبار، صنف مائة وعشرين ألف حديث، في كتب كثيرة، جليلة القدر، توفي سنة ١٩٧هـ. وقد «سار فيه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ على طريقة السلف في تصانيفهم ذاك الزمان، فساق الأحاديث النبوية، والآثار السلفية المثبتة للقضاء والقدر الإلهي من غير تعليق أو تبويب»[2].

❋ الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته، للإمام أبي عُبيد القاسم بن سلَّام بن عبد الله الهروي البغدادي، توفي سنة ٢٢٤هـ، وقد تناول فيه المصنف بيان عقيدة أهل السنة في مسائل الإيمان، كحقيقته، والاستثناء في الإيمان، وزيادة الإيمان ونقصانه، ودخول العمل في مسمى الإيمان، والرد

(١) انظر: مقدمة الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، د. سعود الخلف (١/ ٤٢).
(٢) مقدمة تحقيق كتاب القدر، عمر بن سليمان الحفيان (ص٥).

على المخالفين في ذلك من المرجئة والخوارج، وفي كل هذه المسائل يسوق الأحاديث بأسانيده.

* الفتن، للإمام أبي عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، توفي سنة ٢٢٨هـ، وموضوعه الأحاديث التي وردت في فتن آخر الزمان يسوقها المصنف بأسانيده، وفيها كثير من الأحاديث الضعيفة، قال الإمام الذهبي: «أتى فيه بعجائبَ ومناكيرَ»(١).

* الإيمان، للإمام أبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، توفي سنة ٢٣٥هـ، وقد أورد فيه الأحاديث المسندة المتعلقة بالإيمان، فقسم الكتاب إلى أبواب، وتحت كل باب الأحاديث المتعلقة بترجمة الباب دون تعليق أو شرح.

* خلق أفعال العباد، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي المعروف بالبخاري إمام أهل الحديث، وصاحب الصحيح، اعتنى بالحديث وبرع فيه، حتى صار من أئمته ونقاده، توفي سنة ٢٥٦هـ، ويتضمن الكتاب ذكر عقيدة السلف في القرآن وحكم من قال: القرآن مخلوق، وذكر معتقدات الجهمية والمعتزلة، والكلام على خلق أفعال العباد، وهل القراءة والتلاوة مخلوقتان أم لا؟

* القدر، للإمام أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفَاض الفِرْيابِي، توفي سنة ٣٠١هـ، ويحتوي الكتاب على جملة كبيرة من الأحاديث والآثار المتعلقة بالقدر، والتي تتضمن الرد على بدع القدرية وغيرهم من الطوائف المخالفة في هذا الباب.

* التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، الحافظ الحجة الفقيه الشافعي، إمام الأئمة، توفي سنة ٣١١هـ، وموضوع الكتاب هو إثبات الصفات للرب جل وعلا، وقد

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٠٩).

قسم المصنف الكتاب إلى أبواب، وأورد تحت كل باب الأدلة من الكتاب والسنة على صفة من صفات الله تعالى، ويذكر الأحاديث بإسناده إلى رسول الله ﷺ، ويعقب على الأدلة التي يوردها بالشرح والبيان والتعليق، كما تعرَّض إلى مناقشة المخالفين وقام بالرد عليهم ودحض شبههم.

❋ كتاب النزول، للإمام أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، الإمام شيخ الإسلام والحافظ الشهير صاحب السنن، توفي سنة ٣٨٥هـ، وقد تناول الدارقطني في هذا الكتاب الكلام على صفة نزول الرب جل جلاله في ثلث الليل الأخير نزولًا يليق به، وقد أورد فيه الدارقطني مرويات أحاديث النزول عمن رويت عنهم من الصحابة بأسانيده المتصلة إليهم.

❋ كتاب التوحيد، لأبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبدالله محمد بن أبي زكريا يحيى بن منده الأصفهاني، الذي تلقى العلم من ١٧٠٠ شيخ في أقطار العالم الإسلامي، توفي سنة ٣٩٥هـ، وقد عرض فيه المصنف معتقد أهل السنة في توحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته، وسلك المؤلف في تأليف الكتاب مسلك المحدثين في سوق الأسانيد إلى متونها مقتديًا في ذلك بعلماء السلف الذين سبقوه في هذا الميدان، ولم يلتزم المؤلف الصحة فيما يورده من نصوص؛ اعتمادًا منه على ما تقرر عند العلماء: من أسند لك فقد أحالك.

❋ اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمن، للإمام أبي عبد الله ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، توفي سنة ٦٤٣هـ، وموضوع الكتاب إثبات صفة الكلام، وأن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.





المبحث السابع

المراد بأهل السنة والجماعة وألقابهم وخصائصهم

۞ أولًا: المراد بأهل السنة:

سئل الإمام مالك عن أهل السنة، فقال: «أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي»[(١)]. يعني أن أهل السنة ليس لهم اسم ينتسبون إليه سوى السنة، خلافًا لأهل البدع؛ فإنهم تارة ينسبون إلى مقالتهم المبتدعة كالقدرية والمرجئة، وتارة إلى القائل كالجهمية والنجارية، وتارة إلى الفعل كالروافض والخوارج.

وأهل السنة بريئون من هذه النسب كلها، وإنما نسبتهم إلى الحديث والسنة[(٢)]، قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة، فإنهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين -رحمة الله عليهم- ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلًا فجيلًا إلى يومنا هذا، أو من اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض

(١) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص٣٥).

(٢) انظر: التنبيهات السنية على الواسطية (ص١٩)، وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٥-١٧٦)، الاعتصام للشاطبي (١/ ٧٧)، مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٦).

وغربها -رحمة الله عليهم-»[١].

فأهل السنة هم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، وهم المتبعون للكتاب والسنة، واعتقادهم هو ما دل عليه الكتاب والسنة من أصول الدين، «وإنما سموا أهل السنة (بهذا الاسم) لاتباعهم سنته ﷺ»[٢].

المعنى العام والخاص لأهل السنة:

لفظ (السنة) يطلق بإطلاقين:

١- **عام:** ويراد به جميع الطوائف والفرق الإسلامية إلا الرافضة.

٢- **خاص:** ويراد به أهل السنة المحضة الخالصة من أي بدعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير هذا المعنى: «لفظ (أهل السنة) يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة»[٣].

۞ ثانيًا: ألقاب أهل السنة:

لأهل السنة ألقاب كثيرة، منها:

١- **أهل السنة:** وقد سبق بيانه.

٢- **الجماعة:** يطلق على أهل السنة لقب (الجماعة)، كما في حديث حذيفة ابن اليمان، أنه ﷺ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»[٤]، قال الإمام

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٩٠).

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال، للذهبي (ص١٨٩)، وانظر: التبصير في الدين، لأبي المظفر الإسفراييني (ص١٨٥).

(٣) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٢١).

(٤) أخرجه البخاري (ح٣٦٠٦)، ومسلم (ح١٨٤٧).

ابن أبي العز: «والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين»[(١)].

وسموا بهذا الاسم لاجتماعهم وعدم تفرقهم؛ لأن الجماعة في اللغة هي الاجتماع، وضدها الفرقة[(٢)]؛ ومن أصول أهل السنة الاعتصام بحبل الله جميعًا، وعدم التفرق والتنازع، وفي المعنى روى البخاري عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة»[(٣)].

قال ابن حجر: «قوله: «فإني أكره الاختلاف» أي: الذي يؤدي إلى النزاع. قال ابن التين: يعني مخالفة أبي بكر وعمر، وقال غيره: المراد المخالفة التي تؤدي إلى النزاع والفتنة، ويؤيده قوله بعد ذلك: حتى يكون الناس جماعة»[(٤)].

ولهذا المعنى سمي العام الذي تنازل فيه الحسن لمعاوية رضي الله عنهما (عام الجماعة)، قال ابن بطال: «سلم الحسن لمعاوية الأمر وبايعه على إقامة كتاب الله وسنة نبيه ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس، فسميت سنة الجماعة لاجتماع الناس وانقطاع الحرب»[(٥)].

ولأن من أصولهم: الاجتماع على طاعة من ولّاه الله أمرهم بالمعروف[(٦)].

ولأنهم سلموا من تكفير بعضهم بعضًا فـ«أهل السنة لا يكفر بعضهم بعضًا، وليس بينهم خلاف يوجب التبرؤ والتكفير، فهم إذًا أهل الجماعة القائمون بالحق، والله تعالى يحفظ الحق وأهله، فلا يقعون في تنابذ وتناقض، وليس

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٤٤)، وانظر: فتح الباري (١٣/ ٣٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (ح٣٧٠٧).

(٤) فتح الباري (٧/ ٧٣).

(٥) فتح الباري (١٣/ ٦٣)، وانظر: تاريخ خليفة بن خياط (ص٢٠٣)، معالم السنن (٤/ ٣١١).

(٦) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٤٤٧).

فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض وتبرؤ بعضهم من بعض كالخوارج والروافض والقدرية؛ حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضًا»[(١)].

وكل هذه المعاني حق، ويتضمنها لفظ (الجماعة)[(٢)] كما يتضمنها لفظ (السنة)، وقد يقال: (السنة والجماعة) لفظان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

فإذا اجتمعا وقيل: (السنة والجماعة)، فيراد بالسنة: طريقة الرسول ﷺ، وبالجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان.

وإذا افترقا بأن ذكر أحدهما فقط دخل فيه الآخر، وصار معناهما واحدًا.

٣- السلف الصالح: ومفهوم السلف يطلق بإطلاقين:

الأول: تاريخي، ويراد به أهل القرون الثلاثة المفضلة المشار إليهم في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[(٣)]، فيختص بالصحابة والتابعين وأتباع التابعين، من أهل القرون الثلاثة الوارد ذكرهم في الحديث.

والثاني: موضوعي، ويراد به كل من قال بما في الكتاب والسنة والإجماع، وقد سبق قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «من قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة»[(٤)]، فيدخل فيهم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان[(٥)].

وكلا الإطلاقين صحيح.

---

(١) الفرق بين الفرق (ص٣٦١).

(٢) وسيأتي الحديث عن الجماعة مفصلًا في الجزء الرابع.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (ح٤٦٢٩)، ومسلم (ح٢٥٣٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٦).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٥).

٤- **أهل الحديث والأثر:** ولا يقصد بهذا اللقب أهل رواية الحديث والمشتغلون به، بل يقصد به هنا عموم المتبعين لسنة رسول الله ﷺ، يقول ابن تيمية: «ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته، بل نعني بهم: كل من كان أحقَّ بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهرًا وباطنًا، واتباعه باطنًا وظاهرًا، وكذلك أهل القرآن»(١).

٥- **الفرقة الناجية:** وهو مأخوذ أيضًا من مفهوم حديث الافتراق المشهور، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه وغيره، قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»(٢). وفي رواية: «**كلها في النار، إلا واحدة وهي: الجماعة**»(٣)(٤). وفي رواية: قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**الجماعة**»(٥). وفي رواية: قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٦).

وهذا يقتضي بمفهومه أن أهل السنة والجماعة المتبعين للنبي ﷺ وأصحابه هم الفرقة الناجية دون من سواهم، قال ابن تيمية: «ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم، وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء»(٧). وقال

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود (ح٤٥٩٦)، والترمذي (ح٢٦٤٠)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد في المسند (ح٨٣٩٦)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، والحاكم (١/ ١٢٨) وصححه ووافقه الذهبي، والآجري في الشريعة (ص١٨).

(٣) أخرجها ابن ماجه (ح٣٩٩٣).

(٤) انظر: أبو داود (ح٤٥٧٣)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والحاكم (١/ ١٢٨)، والآجري في الشريعة (ص١٨)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ١/ ١٢٨).

(٥) أخرجها ابن ماجه (ح٣٩٩٢).

(٦) أخرجها الترمذي (ح٢٦٤١).

(٧) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٥-٣٤٦).

أيضًا: «أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة؛ الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ»[(١)].

وإذا قيل: الفرقة الناجية فلا يلزم منه أن كل من خالفها فهو هالك؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا، فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيًا، وقد لا يكون ناجيًا، كما يقال: من صمت نجا»[(٢)].

٦- **الطائفة المنصورة:** أهل السنة هم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[(٣)].

وستبقى هذه الطائفة «ظاهرة بالحجة والبيان واليد والسنان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين»[(٤)]، وهم داخلون في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]؛ فهم منصورون، والعاقبة لهم.

۞ ثالثًا: خصائص أهل السنة:

تميز أهل السنة عن سائر أهل البدع بخصائص كثيرة انفردوا بها، منها:

١- أنهم يعتمدون على الكتاب والسنة والإجماع، ويزنون أقوال الناس بهذه الأصول الثلاثة، كما سبق بيانه.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٧). (٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٧٩).
(٣) أخرجه مسلم (ح١٩٢٠) عن ثوبان رضي الله عنه. (٤) الجواب الصحيح (٥/ ٩٢).

٢- أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره على ما جاء عن الله، وعلى ما جاء على لسان رسول الله ﷺ.

٣- أنهم «يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، على ما توجبه الشريعة»(١) بلا غلو ولا تقصير(٢).

٤- أنهم «وسط في فرق الأمة؛ كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية؛ وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج»(٣).

٥- تمسكهم بالجماعة، فهم يعتقدون أن الجماعة حق وصواب، والفرقة شر وعذاب، تمسكًا بقول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٥]، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٥٩].

٦- ومن خصائصهم العدل مع كل الطوائف المخالفة، «فإنه تعالى أمر بالقسط مع أعدائنا الكفار فقال: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨]، فكيف بإخواننا المسلمين، والمسلمون إخوة؟!»(٤).

وبالجملة فقد تميز أهل السنة والجماعة في مصادر التلقي، وكذلك في

(١) العقيدة الواسطية (ص١٢٩).

(٢) انظر: الاستقامة (٢/ ٢٣٣).

(٣) العقيدة الواسطية (ص٨٢).

(٤) الإخنائية (ص٢٤٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ١٦٦)، منهاج السنة النبوية (٥/ ١٢٦).

أصول الاعتقاد، وكانوا بهذا وسطًا بين الفرق، كما تميزوا في سلوكهم وأخلاقهم وطريقهم، وكانوا بذلك درة في جبين الدهر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثم هم مع هذه الأصول [يعني أصول الاعتقاد] يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا، ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**» وشبك بين أصابعه ﷺ[1]، وقوله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[2]، ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»[3]، ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفسافها، وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة»[4].



(١) أخرجه البخاري (ح٤٨١)، ومسلم (ح٢٥٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٥٨٦).

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٣٣٧).

(٤) العقيدة الواسطية (ص١٢٩-١٣١).



المبحث الثامن

منهج القرآن الكريم في الدعوة للعقيدة

يتبين منهج القرآن في الدعوة إلى العقيدة الإسلامية وتقرير مسائلها بما يلي:

۞ أولًا: الاستدلال بالدلائل العقلية:

بين القرآن الكريم الأدلة العقلية على أصول الاعتقاد وأركان الإيمان أوفى بيان، ولذلك وصفه الله جل وعلا بأنه هدى وبينات، وأنه يهدي للتي هي أقوم، قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن كثيرًا مما دل عليه السمع يعلم بالعقل أيضًا، والقرآن يبين ما يستدل به العقل، ويرشد إليه، وينبه عليه، كما ذكر الله ذلك في غير موضع؛ فإنه ﷻ بين من الآيات الدالة عليه، وعلى وحدانيته، وقدرته، وعلمه وغير ذلك، ما أرشد العباد إليه ودلهم عليه، كما بين أيضًا ما دل على نبوة أنبيائه، وما دل على المعاد وإمكانه، فهذه المطالب هي شرعية من جهتين: من جهة أن الشارع أخبر بها، ومن جهة أنه بين الأدلة العقلية التي يستدل بها عليها»[١].

❊ ❊ ❊

---

(١) التدمرية (ص١٤٦-١٤٧).

۞ ثانيًا: الطلب من المخالفين إقامة البرهان على عقائدهم لإظهار عجزهم:

يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١]، ويقول جلَّ وعلا: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣] أخبر سبحانه أن الكفار لا يأتونه بقياس عقلي لباطلهم إلا جاءه الله بالحق، وجاءه من البيان والدليل وضرب المثل بما هو أحسن تفسيرًا وكشفًا وإيضاحًا للحق من قياسهم»(١)، وهذا منهج فاضح لأهل الضلالة، وكاشف لباطلهم، ومظهر لعجزهم وعدم صدقهم؛ لأن «كل من ادعى دعوى لا بد أن يقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا فلو قلبت عليه دعواه، وادعى مدعٍ عكس ما ادعى بلا برهان، لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها»(٢).

۞ ثالثًا: استعمال الطرق العقلية الجلية القريبة من الأفهام:

يقول الإمام ابن القيم: «الله سبحانه حاجَّ عباده على ألسن رسله وأنبيائه فيما أراد تقريرهم به وإلزامهم إياه، بأقرب الطرق إلى العقل وأسهلها تناولًا وأقلها تكلفًا وأعظمها غناء ونفعًا وأجلِّها ثمرة وفائدة، فحُجَجُه سبحانه العقلية التي بينها في كتابه جمعت بين كونها عقلية سمعية ظاهرة واضحة قليلة المقدمات سهلة الفهم قريبة التناول قاطعة للشكوك والشبه ملزمة للمعاند والجاحد؛ ولهذا كانت المعارف التي استنبطت منها في القلوب أرسخ ولعموم الخلق أنفع، وإذا تتبع المتتبع ما في كتاب الله مما حاجَّ به عباده في إقامة التوحيد وإثبات الصفات وإثبات الرسالة والنبوة وإثبات المعاد وحشر

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٦).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٦٢-٦٣).

الأجساد وطرق إثبات علمه بكل خفي وظاهر، وعموم قدرته ومشيئته وتفرده بالملك والتدبير؛ وأنه لا يستحق العبادة سواه؛ وجد الأمر في ذلك على ما ذكرناه من تصرف المخاطبة منه سبحانه في ذلك على أجلِّ وجوه الحجاج وأسبقها إلى القلوب وأعظمها ملاءمة للعقول وأبعدها من الشكوك والشبه في أوجز لفظ وأبينه وأعذبه وأحسنه وأرشقه وأدله على المراد»[(١)].

۞ رابعًا: استعمال القرآن لجميع البراهين العقلية التي تغني عن أدلة المتكلمين والفلاسفة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اشتمل القرآن على خلاصة الطرق الصحيحة التي توجد في كلام جميع العقلاء من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم، ونزه الله عما يوجد في كلامهم، من الطرق الفاسدة، ويوجد فيه من الطرق الصحيحة ما لا يوجد في كلام البشر بحال»[(٢)].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وإذا تأمل الفاضل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية، وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأفصح عبارة وأوجزها، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما لا يوجد عندهم مثله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]»[(٣)].

وبالجملة فالقرآن منهج كامل؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وهذا شامل للمسائل والدلائل، فقد أكمل الله لنا الدين ببيان أصوله ودلائله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القرآن قد اشتمل على بيان المطالب الإلهية بأنواع من الطرق،

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٧)، وانظر: إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير (ص١١).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٧٦-٧٧)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٦-٣٧)، الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٠)، مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ١٤٥).

وأكمل الطرق»[١]، وقال السيوطي: «قال العلماء: قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به»[٢]، «فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات، والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الألفاظ، موجزة المقاصد، رام المتحذلقون بعدُ أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها»[٣].

۞ خامسًا: الاهتمام بتقرير توحيد العبادة بأنواع من الأساليب المبينة لمكانته وأهميته، ومن ذلك:

١- أمره سبحانه بعبادته وترك عبادة ما سواه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

٢- **ومنها**: إخباره سبحانه أنه خلق الخلق لعبادته؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

٣- **ومنها**: إخباره أنه أرسل جميع الرسل بالدعوة إلى عبادته والنهي عن عبادة ما سواه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

٤- **ومنها**: الاستدلال على توحيد الإلهية بانفراده بالربوبية والخلق والتدبير؛ كما في قوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، وقوله: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧]، وقوله: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾ [النحل: ١٧].

٥- **ومنها**: الاستدلال على وجوب عبادته سبحانه بانفراده بصفات الكمال

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٣٣). (٢) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٦٠).
(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٢٧٧).

وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله عن خليله إبراهيم: أنه قال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢]، وقوله: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ [فاطر: ١٤]، وقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ [الأعراف: ١٤٨][(١)].

۞ سادسًا: أن الله تعالى ضرب في القرآن أمثلة كثيرة يتبين بها بطلان الشرك:

من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج: ٣١]، شبه سبحانه التوحيد في علوه وارتفاعه وسعته وشرفه بالسماء، وشبه تارك التوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين؛ لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر، وشبه الشياطين التي تقلقه بالطير التي تمزق أعضاءه، وشبه هواه الذي يبعده عن الحق بالريح التي ترمي به في مكان بعيد، هذا مثال واحد من أمثلة كثيرة في القرآن ذكرها الله سبحانه لبيان بطلان الشرك وخسارة المشرك في الدنيا والآخرة[(٢)].



(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للشيخ صالح الفوزان (ص٣٩-٤٠).
(٢) انظر: المصدر السابق (ص٤٢).



المبحث التاسع

خصائص منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد

يقوم منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد والاستدلال عليها على القواعد التالية:

١- يعتمد أهل السنة في الاستدلال على الكتاب والسنة؛ وذلك لأن العقيدة توقيفية؛ فلا تثبت إلا بدليل من الشارع، ولا مجال فيها للرأي والاجتهاد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني، بل يؤخذ عن الله ورسوله وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة، مثل: صحيح البخاري ومسلم»[(١)]، وقال الإمام ابن أبي العز: «الواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولًا، أو يحمله شبهة أو شكًّا، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحَّد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦١).

متابعة الرسول»[١].

٢- يعتمدون على الإجماع، ويعدونه «الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين»[٢].

٣- يعملون بجميع نصوص الكتاب والسنة، فلا يأخذون ببعض الوحي ويردون بعضه كشأن المرجئة الذين أخذوا بنصوص الوعد دون نصوص الوعيد، وكحال الخوارج الذين أخذوا بنصوص الوعيد دون نصوص الوعد، وأمثالهم[٣].

٤- اعتمادهم على تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم ما أجمع عليه التابعون، ويعتمدون معاني لغة العرب؛ لأنها لغة القرآن والسنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له... وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة؛ الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، مثل: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه... ومنهم الحبر البحر عبد الله ابن عباس رضي الله عنه»[٤]، ثم قال: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر؛ فإنه كان آية في التفسير... وكسعيد بن جبير، وعكرمة

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٢٨). (٢) العقيدة الواسطية (ص١٢٨).
(٣) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢٠٩-٢١٠).
(٤) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٣-٣٦٥).

مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين، وتابعيهم، ومن بعدهم»(١).

٥- الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ، فقد وصف رسول الله ﷺ الطائفة الناجية بقوله: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٢)، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»(٣)، وقال الإمام ابن أبي حاتم: «فأما أصحاب رسول الله ﷺ فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلامًا وقدوة، فحفظوا عنه ﷺ ما بلغهم عن الله عز وجل، وما سن وشرع وحكم وقضى وندب، وأمر ونهى وحظر وأدب، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا في الدين وعلموا أمر الله ونهيه ومراده بمعاينة رسول الله ﷺ، ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله وتلقفهم منه واستنباطهم عنه، فشرفهم الله عز وجل بما منَّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشك والكذب والغلط والريبة والغمز وسماهم عدول الأمة، فقال عز ذكره في محكم كتابه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾... [البقرة: ١٤٣] فكانوا عدول الأمة وأئمة الهدى وحجج الدِّين ونقلة الكتاب والسنة، وندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم، والجري على منهاجهم، والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم»(٤).

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٨-٣٦٩).
(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٦٤١).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٧).
(٤) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (١/ ٧).

وقال الإمام الشاطبي: «**يترجح الاعتماد عليهم [يعني: الصحابة ﵃] في البيان من وجهين:**

أحدهما: معرفتهم باللسان العربي؛ فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان؛ صح اعتماده من هذه الجهة.

والثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة؛ فهم أقعد في فهم القرائن الحالية وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب»(١).

وأهل السنة مع ذلك لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة، بل يقولون: كل يؤخذ من قوله ويترك سوى رسول الله ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقاعدة الكلية في هذا ألا نعتقد أن أحدًا معصوم بعد النبي ﷺ، بل الخلفاء وغير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ، والذنوب التي تقع منهم، قد يتوبون منها، وقد تكفر عنهم بحسناتهم الكثيرة، وقد يبتلون أيضًا بمصائب يكفر الله عنهم بها، وقد يكفَّر عنهم بغير ذلك»(٢).

٦- التسليم بكل ما جاء عن الله ورسوله، قال الإمام الشافعي: «آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله»(٣)، وما اشتبه عليهم علمه، أو علم كيفيته (كبعض نصوص الغيبيات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله ﷻ ولا يخوضون فيه، قال الإمام الطحاوي: «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه

(١) الموافقات (٤/ ١٢٨).

(٢) منهاج السنة النبوية (٦/ ١٩٦-١٩٧).

(٣) لمعة الاعتقاد (ص٧).

مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما أخبر به الرسول عن ربه ﷻ فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أو لم نعرف؛ لأنه الصادق المصدوق، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه، وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها، مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصًا في الكتاب والسنة، متفقًا عليه بين سلف الأمة.

وما تنازع فيه المتأخرون، نفيًا وإثباتًا، فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقًّا قُبل، وإن أراد باطلًا رُدَّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقبل مطلقًا ولم يُرد جميع معناه، بل يُوقف اللفظ ويُفسّر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك»[٢].

٧- التعبير عن حقائق الإيمان بالألفاظ الشرعية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من التعبير عنها بغيرها؛ فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حكيم حميد، والأمة متفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحكم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه، والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع»[٣].

٨- الرجوع عند التنازع إلى الله ورسوله، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩]، «قال العلماء: الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول بعد موته هو الرد إلى سنته»[٤].

---

(١) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص٤٣).

(٢) التدمرية (ص٦٥- ٦٦).

(٣) النبوات لابن تيمية (٢/ ٨٧٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٦).

قال الحافظ ابن كثير: «هذا أمر من الله ﷻ، بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة»[(١)].

وقال الإمام الشوكاني: «اتفق المسلمون؛ سلفهم وخلفهم من عصر الصحابة إلى عصرنا هذا -وهو القرن الثالث عشر منذ البعثة المحمدية- أن الواجب عند الاختلاف في أي أمر من أمور الدين بين الأئمة المجتهدين هو الرد إلى كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ»[(٢)].



(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٥).
(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص٣).



المبحث العاشر

مصادر تلقي العقيدة

۞ أولًا: المصادر الأصلية:

قال الإمام البيهقي: «فأما أهل السنَّة فمعوَّلهم فيما يعتقدون الكتاب والسنَّة»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فدِينُ المسلمين مبنيٌّ على اتباع كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة»(٢).

وبيانها فيما يلي:

المصدر الأول: القرآن، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وأحسن الطرق في تفسيره وفهمه: تفسير القرآن بالقرآن، وإلا فبالسنَّة، وإلا فبالصحيح من أقوال الصحابة، وإلا فبما أجمع التابعون عليه(٣).

المصدر الثاني: السُّنَّة، وهي المبيِّنة للكتاب؛ قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]؛ إذ هي سنة

(١) مناقب الشافعي (ص٤٦٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤).

(٣) راجع في هذا الموضوع: مقدمة التفسير لابن تيمية، (١٣/ ٣٦٣) وما بعدها، ضمن مجموع الفتاوى.

المعصوم رسول الله ﷺ، وليس لأحد عصمة بعده ﷺ، وقد تلقى الصحابة - رضوان الله عليهم- ما جاء به ﷺ ونقلوه إلى الأمة.

ويتمثل وجود السنَّة في دواوين الإسلام المعروفة والمشهورة مثل: صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنن كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وسنن الدارمي، وموطأ مالك، ومثل: المسانيد المعروفة كمسند الإمام أحمد وغيره، إلى غير ذلك من مدونات الحديث النبوي، والتي هي أشهر من أن يعرف بها، وهناك مدونات خاصة بالعقيدة اقتصر جامعو أحاديثها على مسائل الاعتقاد، كما سبق ذكر جملة منها.

وقد أقام الله سبحانه من يحفظ سنَّة نبيه ﷺ، ويُعنى بتمييز صحيحها من غيره، ويضع المقاييس والضوابط لذلك، وقامت دراسات دقيقة ومحكمة لمتون الأحاديث وأسانيدها حتى تحققت معرفة الأحاديث الصحيحة من غيرها، واطمأن المسلمون على سنة نبيهم ﷺ، وهذا تحقيق وعد الله بحفظ كتابه؛ لأن السنة هي المبينة للكتاب، وتحقيق لوعد رسول الله ﷺ بأنه: «**لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة على أمر الله**»(١)؛ لأنه لا بقاء لها على الحق إلا بحفظ الله لمصادر التلقي لها.

ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها وأسانيدها بحيث لو رُوِي حديث بغير سنده وطريقه لعرفوا أنه قد حرف عن موضعه، كما وقع مثل ذلك للإمام محمد بن إسماعيل البخاري حين ورد إلى بغداد وقصد المحدثون امتحانه، فسألوه عن أحاديث قلبوا أسانيدها، فقال: لا أعرف هذه، ولكن حدثني فلان، ثم أتى بجميع تلك الأحاديث على الوضع الصحيح، وردَّ كل متن إلى سنده(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: هدي الساري (ص٤٨٦)، مقدمة ابن خلدون (٣/ ٩-١٠)، قال الصنعاني في توضيح الأفكار عن قصة البخاري مع علماء الحديث في بغداد: «وهي مشهورة أخرجها ابن عدي =

المصدر الثالث: الإجماع، وهو الأصل الثالث عندهم في تلقي الاعتقاد، والمقصود: إجماع السلف؛ لأنه بعدهم كثر الاختلاف وتفرق الناس؛ ولهذا قال الإمام أحمد: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم»[(١)].

والأمة لا تُجْمع على ضلالة، وقد يخطئ بعض الأئمة؛ إذ لا عصمة إلا لرسل الله، وكلٌّ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب الوحي، ولكن لا يجمعون على خطأ - بحمد الله.

فأهل السنة والجماعة «يزِنون بهذه الأصول الثلاثة (الكتاب والسنة والإجماع) جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة، مما له تعلق بالدين»[(٢)].

۞ ثانيًا: المصادر الفرعية:

المصادر الفرعية لتلقي العقيدة ثلاثة، وهي: (١) العقل **(٢)** الفطرة **(٣)** الحس.

ومعنى كونها فرعية: أنها ليست مصادر مستقلة للتلقي، بل هي تابعة وعاضدة للكتاب والسنة والإجماع ومؤيدة لها.

المصدر الأول: العقل السليم:

يراد بالعقل السليم: السالم من تأثير الشهوات والشبهات، ويقال له: العقل الصريح أيضًا.

ويطلق العقل على الغريزة المدركة التي ميز الله بها الإنسان عن سائر

= عن مشايخ البخاري، وأخرجها أبو بكر الخطيب في التاريخ في غير موضع، وساقها الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح بإسناده» (توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ص: ١٠٣-١٠٤).

(١) أصول السنة لأحمد بن حنبل (ص١٤).

(٢) العقيدة الواسطية (ص١٢٨).

الحيوان، وهذا هو المعنى الحقيقي للعقل، كما يرى الحارث المحاسبي[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز، ويقصد المنافع دون المضار... وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء؛ كما أن في العين قوة بها يبصر، وفي اللسان قوة بها يذوق، وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء»[(٢)]، وهذا هو العقل الغريزي، **أما العقل المكتسب فيراد به أمران:**

الأول: العلوم الضرورية، كمعرفة أن الجزء أصغر من الكل، وأن الضدين لا يجتمعان، وأن المحدَث لا بد له من محدِث.

الثاني: العمل بموجِب هذا العلم الضروري، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية، ومنهم من يقول: العقل هو العمل بموجب تلك العلوم، والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا»[(٣)].

فالعقل إذن قسمان: **(١)** عقل غريزي، وهو الأصل، **(٢)** وعقل مكتسب.

يقول الإمام ابن القيم: «العقل عقلان: عقل غريزة وهو أبو العلم ومربيه ومثمره، وعقل مكتسب مستفاد وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته، فإذا اجتمعا في العبد، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، واستقام له أمره، وأقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب»[(٤)]، «واعلم أن العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي؛ لأنه نتيجة منه، وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل

---

(١) انظر: ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه، الحارث المحاسبي (ص٢٠١-٢١٠)، تحقيق: حسين القوتلي، ويراجع: الانتصار لأصحاب الحديث، السمعاني (ص٨١).

(٢) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٧)، وانظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ص٢٦٠).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٢٣-٣٢٤)، وانظر: المسوَّدة في أصول الفقه (ص٥٥٨)، إحياء علوم الدين، الغزالي (١/ ٨٥-٨٦).

المكتسب، فيكون صاحبه مسلوب الفضائل، موفور الرذائل»[(١)].

أما وجه كون العقل مصدرًا فرعيًّا للتلقي فإنه -كما يقول ابن الجوزي- «الآلة في معرفة الإله سبحانه، والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد، بعثت الرسل وأنزلت الكتب»[(٢)].

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اعلم أن عامة مسائل أصول الدين الكبار؛ مثل: الإقرار بوجود الخالق وبوحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته وعظمته والإقرار بالثواب وبرسالة محمد ﷺ وغير ذلك مما يعلم بالعقل، قد دل الشارع على أدلته العقلية»[(٣)].

والعقل عند أهل السنة ليس مصدرًا مستقلًّا للمعرفة، بل هو تابع للوحي، بخلاف المتكلمين الذين يجعلون العقل أصلًا والوحي تابعًا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلًّا بذلك، بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورًا حيوانية، قد يكون فيها محبة ووَجْدٌ وذوق كما قد يحصل للبهيمة، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، لم تأتِ بما يعلم بالعقل امتناعه»[(٤)]، فـ«العقل ليس أصلًا لثبوت الشرع في نفسه، ولا معطيًا له صفة لم تكن له، ولا مفيدًا له صفة كمال»[(٥)].

فالعقول لا تستقل بمعرفة أصول الدين على سبيل التفصيل لعجزها

(١) أدب الدنيا والدين (ص٢٦).
(٢) تلبيس إبليس (ص٣).
(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٣٠).
(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٨-٣٣٩).
(٥) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٨٨).

وقصورها، ولو كانت تستقل لما أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «من المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل، فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين»[(١)]، وقال السفاريني: «العقول لو كانت مستقلة بمعرفة الحق وأحكامه، لكانت الحجة قائمة على الناس قبل بعث الرسل وإنزال الكتب، واللازم باطل بالنص، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: ١٣٤]، فكذا الملزوم»[(٢)].

ولذلك يتعين على العبد أن يجعل عمدته في التلقي: الوحي، يقول ابن خلدون: «فاتهم إدراكك ومدركاتِك في الحصر، واتبع ما أمرك الشارع به في اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك، وأعلم بما ينفعك؛ لأنه من طورٍ فوق إدراكك، ومن نطاقٍ أوسعَ من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال»[(٣)].

ومهما بلغ كمال عقل المرء فهو محتاج إلى الوحي، يقول ابن القيم: «إن عقل رسول الله ﷺ أكمل عقول أهل الأرض على الإطلاق، فلو وزن عقله بعقولهم لرجح بها كلها، وقد أخبر سبحانه أنه قبل الوحي لم يكن يدري الإيمان كما لم يكن يدري الكتاب. فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ

(١) شرح الطحاوية (١/ ٦). (٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٠٥).
(٣) مقدمة ابن خلدون (٢/ ٢٣٢)، تحقيق: إبراهيم شبوح.

﴿يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٦-٧]، وتفسير هذه الآية بالآية التي في آخر الشورى، فإذا كان أعقل خلق الله على الإطلاق إنما حصل له الهدى بالوحي، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ﴾ [سبأ: ٥٠] فكيف يحصل لسفهاء العقول وأخفاء الأحلام وفراش الألباب الاهتداء إلى حقائق الإيمان بمجرد عقولهم دون نصوص الأنبياء: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾ [مريم: ٨٩ - ٩٠]»[١].

والخلاصة: لا يمكن أن يستقل العقل البشري بمعرفة أصول الدين على سبيل التفصيل، أما على سبيل الإجمال، فإن عامة أصول الدين الكبار مما يعرف بالعقل.

المصدر الثاني: الفطرة السليمة:

الفطرة لغة: الخِلْقة التي خلق الإنسان عليها[٢]، وشرعًا: ما خلق عليه الإنسان من القوة العلمية والعملية التي تقتضي بذاتها الإسلام إذا لم يمنعها من ذلك مانع[٣].

والمراد بالسليمة: التي لم تتأثر بمؤثرات تغيرها.

ووجه كون الفطرة مصدرًا فرعيًّا: هو أن جميع بني آدم مفطورون على «المعارف اليقينية والبراهين العقلية، وما جاءت به الرسل من الأخبار الإلهية عن الله تعالى واليوم الآخر»[٤]، «فإن الله تعالى نصب على الحق الأدلة والأعلام الفارقة بين الحق والنور وبين الباطل والظلام، وجعل فطر عباده مستعدة لإدراك الحقائق ومعرفتها، ولولا ما في القلوب من الاستعداد لمعرفة الحقائق، لم يكن النظر والاستدلال ولا الخطاب والكلام، كما أنه سبحانه

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٧٣٤-٧٣٥).
(٢) انظر: لسان العرب (٥/ ٥٦). (٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٧).
(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٧).

جعل الأبدان مستعدة للاغتذاء بالطعام والشراب، ولولا ذلك لما أمكن تغذيتها وتربيتها، وكما أن في الأبدان قوةً تفرق بين الغذاء الملائم والمنافي، ففي القلوب قوة تفرق بين الحق والباطل أعظم من ذلك»[(١)].

المصدر الثالث: الحس:

المراد بالحس: «هو القوة المدركة النفسانية... والحواس هي: المشاعر الخمس، وهي: البصر، والسمع، والذوق، والشم، واللمس»[(٢)]، ووجه كون الحس مصدرًا فرعيًّا: أنه وسيلة الإدراك المباشر، لكنه لا يعد مصدرًا مستقلًّا كما يتوهمه أصحاب المذهب الحسي؛ لأن طرق العلم ثلاثة: (١) النقل (الوحي)، (٢) العقل، (٣) الحس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «طرق العلم ثلاثة: الحس، والعقل، والمركب منهما كالخبر»[(٣)]، بمعنى أن الخبر لا بد أن يستند إلى إحدى الحواس كالسمع والبصر، فإذا تواتر المسموع أو المرئي حكم العقل بصدقه.

ومما يدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [فصلت: ٥٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأخبر أنه سيريهم الآيات الأفقية والنفسية المبينة؛ لأن القرآن الذي أخبر به عباده حق، فتتطابق الدلالة البرهانية القرآنية، والبرهانية العيانية، ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول»[(٤)]، «فالله تعالى يُري عبادَه من آياته المشاهدة المعاينة الفعلية، ما يبين صدق آياته المنزلة المسموعة القولية»[(٥)].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٦٢).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي (١/ ٦٦٢).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٧٨). (٤) منهاج السنة النبوية (١/ ٣٠١).

(٥) الجواب الصحيح (٣/ ٢٠٧).

وقال ابن أبي العز: «طريقة الجمهور: الاستدلال بالآيات المشاهدة؛ لأنها أسهل تناولًا»[(١)].

وقال أيضًا: «وقد يكون الذي يخبر به الرسول ما لم يدركوا مثله الموافق له في الحقيقة من كل وجه، لكن في مفرداته ما يشبه مفرداتهم من بعض الوجوه، كما إذا أخبرهم عن الأمور الغيبية المتعلقة بالله واليوم الآخر، فلا بد أن يعلموا معنًى مشتركًا وشبهًا بين مفردات تلك الألفاظ وبين مفردات ما علموه في الدنيا بحسهم وعقلهم، فإذا كان ذلك المعنى الذي في الدنيا لم يشهدوه بعد، ويريد أن يجعلهم يشهدونه مشاهدة كاملة ليفهموا به القدر المشترك بينه وبين المعنى الغائب، أشهدهم إياه، وأشار لهم إليه، وفعل قولًا يكون حكاية له وشبهًا به، يعلم المستمعون أن معرفتهم بالحقائق المشهودة هي الطريق التي يعرفون بها الأمور الغائبة»[(٢)].



(١) شرح الطحاوية (١/ ٥٣).
(٢) شرح الطحاوية (١/ ٦٧).



المبحث الحادي عشر

مصادر التلقي عند المخالفين إجمالًا ومو قف أهل السنة منها

۞ أولًا: مصدر التلقي عند أهل الكلام:

المصدر الأول لتلقي العقيدة عند أهل الكلام هو العقل، يقول أبو علي الجبائي المعتزلي: «إن سائر ما ورد به القرآن من التوحيد والعدل ورد مؤكِّدًا لما في العقول، فأما أن يكون دليلًا بنفسه يمكن الاستدلال به ابتداء فمحال»[(١)]، ثم تأثر أكثر الأشاعرة بهذا المنهج[(٢)]، وهذا غلو في تقديس العقل.

الرد عليهم من وجهين:

الوجه الأول: أن منشأ اعتماد المتكلمين على العقل وتقديمه على النقل هو ظنهم أن النقل مجرد خبر يجب التصديق به، والحقيقة أن القرآن قد أقام الأدلة

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار (٤/ ١٧٤-١٧٥)، وانظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (ص١٣٩)، شرح الأصول الخمسة (ص٨٨)، المعتمد في أصول الفقه (٢/ ٦٩٤).

(٢) انظر: التقريب والإرشاد، الباقلاني (١/ ٢٢٨)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، الجويني (ص٣٥٨)، معالم أصول الدين، الرازي (ص٢٥)، قانون التأويل، الرازي (ص٤٦٢).

العقلية على جميع أصول الاعتقاد، مما هو أقوى وأشرف وأسلم من أدلة المتكلمين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن كان يَظُنُّ طوائف من المتكلمين والمتفلسفة أن الشرع إنما يدل بطريق الخبر الصادق... فقد غلطوا في ذلك غلطًا عظيمًا، بل ضلوا ضلالًا مبينًا، في ظنهم أن دلالة الكتاب والسنة إنما هي بطريق الخبر المجرد، بل الأمر ما عليه سلف الأمة، أهل العلم والإيمان، من أن الله ﷻ بين من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم بذلك ما لا يُقدِّر أحد من هؤلاء قدره، ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه»[(١)].

ويقول أيضًا: «قد ذكرنا في غير موضع أن أصول الدين الذي بعث الله به رسوله محمدًا ﷺ قد بينها في القرآن أحسن بيان، وبين دلائل الربوبية والوحدانية، ودلائل أسماء الرب وصفاته، وبين دلائل نبوة أنبيائه، وبين المعاد؛ بين إمكانه وقدرته عليه في غير موضع، وبين وقوعه بالأدلة السمعية والعقلية... وأهل البدع الذين ابتدعوا أصول دين يخالف ذلك، ليس فيما ابتدعوه لا هدى ولا دين حق؛ فابتدعوا ما زعموا أنه أدلة وبراهين على إثبات الصانع، وصدق الرسول، وإمكان المعاد أو وقوعه، وفيما ابتدعوه ما خالفوا به الشرع، وكل ما خالفوه من الشرع، فقد خالفوا فيه العقل أيضًا؛ فإن الذي بعث الله به محمدًا ﷺ وغيره من الأنبياء هو حق وصدق، وتدل عليه الأدلة العقلية، فهو ثابت بالسمع، وبالعقل»[(٢)].

الوجه الثاني: هذه الدعوى مبنية على فرضية لا حقيقة لها البتة؛ وهي دعوى تعارض العقل مع النقل، وهي دعوى باطلة، سيأتي بيان بطلانها في مبحث مستقل.



(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٨).
(٢) النبوات (٢/ ٦١٣).

ثانيًا: مصدر التلقي لدى الصوفية:

لما غالى المتكلمون في الاعتماد في التلقي على العقل قابلهم كثير من الصوفية، فعطلوا العقل وذموه، واعتقدوا أن الولاية لا تنال إلا بفقده، ومدحوا البله والمجانين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيبونه، ويرون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب به صريح العقل، ويمدحون السُّكْر[١] والجنون والوَلَه وأمورًا من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز»[٢].

وقد اعتمدوا على مصادر وهمية تتبين فيما يلي:

أولًا: الكشف والشهود:

يحصر ابن عربي مصادر العلم عندهم[٣] فيما يسمونه بالكشف والشهود، فيقول: «لا علم إلا ما كان عن كشف وشهود»[٤]، «ومن لا كشف له، لا علم له»[٥]، وحقيقة الكشف عندهم، يبينها الغزالي بقوله: «فنعني بعلم المكاشفة:

---

(١) السكر في اصطلاح الصوفية «هو: اسم لقوة الطرب الذي لا يدفعه الصبر. وهذا المعنى لم يعبر عنه في القرآن، ولا في السنة، ولا العارفون من السلف بالسكر أصلًا، وإنما ذلك من اصطلاح المتأخرين، وهو بئس الاصطلاح» (مدارج السالكين ٣/ ٢٨٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٨).

(٣) هؤلاء هم الغلاة من المنتسبين إلى التصوف؛ لأن التصوف درجات كما يقول المحققون (انظر: مقالات الفرق، ص: ٣٩٥)، وأما أوائل الصوفية فهم في الجملة يعتمدون في التلقي على الكتاب والسنة، قال الجنيد: «من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة» (الرسالة القشيرية ١/ ٧٩)، وقال أبو الحسن الشاذلي: «إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة، ودعِ الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنْها لي في جانب الكشف ولا الإلهام، ولا المشاهدة» (طبقات الشعراني ص: ٢٩١).

(٤) الطبقات الكبرى، الشعراني (ص١١).

(٥) الفتوحات المكية (٣/ ٣٣٥)، وانظر: رسائل ابن عربي (ص٥٣٥)، المنقذ من الضلال، =

أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحًا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه»[(١)].

والشهود عندهم هو: مشاهدة الملائكة والأنبياء في اليقظة والتلقي عنهم، يقول الغزالي: «إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون أصواتًا، ويقتبسون منهم فوائد»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان بطلان ذلك: «إن ابن عربي وهؤلاء يعظمون طريق الكشف والمشاهدة والرياضة والعبادة، ويذمون طريق النظر والقياس، وما يدعونه من الكشف والمشاهدة عامته خيالات في أنفسهم، ويسمونها حقيقة؛ ولهذا يقول: باب أرض الحقيقة، وهي أرض الخيال، وقد ادعى أن الفتوحات المكية ألقاها إليه روح بمكة، وإذا كان صادقًا فقد ألقاها إليه شيطان من الشياطين، كما كان مسيلمة الكذاب يلقي إليه شيطان، وكذلك الأسود العنسي، وكذلك غيرهما من المتنبئين الكذابين»[(٣)].

ثانيًا: ومما يعتمدون عليه أيضًا في التلقي: ما يسمونه الإلهام:

حتى إنهم يعدونه بمثابة الوحي من الله تعالى، يقول الغزالي: «ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك، بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم؛ فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة»[(٤)]، وقال ابن عربي: «فمن كان يأخذ عن الله لا عن نفسه، كيف ينتهي كلامه أبدًا؟! فشتان بين مؤلِّف

= لأبي حامد الغزالي (ص١٧٨)، الرسالة القشيرية (ص٧٥-٧٦)، التعرف لمذهب التصوف (ص٩٧).

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٠)، وانظر: تعريف القشيري للمكاشفة في: الرسالة القشيرية (ص٧٥).

(٢) المنقذ من الضلال، لأبي حامد الغزالي (ص١٧٨)، وانظر: رسائل ابن عربي (ص٥٣٥)، الرسالة القشيرية (ص٧٥-٧٦)، التعرف لمذهب التصوف (ص٩٧).

(٣) الرد على المنطقيين (ص٤٨٨-٤٨٩)، وانظر: مدارج السالكين (٣/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ١٩).

يقول: حدثني فلان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن فلان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبين من يقول: حدثني قلبي عن ربي، وإن كان هذا الأخير رفيع القدر، فشتان بينه وبين من يقول: حدثني ربي عن ربي؛ أي: حدثني ربي عن نفسه»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: حدثني قلبي عن ربي، فصحيح أن قلبه حدثه، ولكن عمَّن؟ عن شيطانه؟ أو عن ربه؟ فإذا قال: حدثني قلبي عن ربي. كان مسند الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به، وذلك كذب. ومُحدَّث الأمة لم يكن يقول ذلك، ولا تفوه به يومًا من الدهر، وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك؛ بل كتب كاتبه يومًا: هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فقال: لا، امحه، واكتب: هذا ما رأى عمر بن الخطاب، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمن عمر، والله ورسوله منه بريء، وقال في الكلالة: أقول فيها برأيي فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان»[٢].

ثالثًا: ويدعون أنهم يتلقون عن الرسول ﷺ في اليقظة:

يقول الشعراني: «سمعت عليًّا الخواص رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: لا يكمل عبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة»[٣].

وهذا كله من تلبيس الشياطين، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن «الشياطين كثيرًا ما يتصورون بصورة الإنس في اليقظة والمنام[٤]، وقد تأتي لمن لا يعرف فتقول: أنا الشيخ فلان أو العالم فلان... وربما أتى في اليقظة

(١) الفتوحات المكية (١/ ٢٥٧).

(٢) نقله عنه ابن القيم في: مدارج السالكين (١/ ٦٤)، وانظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١١٢).

(٣) لواقح الأنوار القدسية (ص١٦).

(٤) وعلامة أنه شيطان أن يقرأ بصدق وإيمان آية الكرسي، فإن الشيطان لا يقربه، كما في الحديث: «**إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي؛ لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح**». رواه البخاري في صحيحه (ح٣١٠١) من حديث أبي هريرة.

دون المنام، وقال: أنا المسيح؛ أنا موسى؛ أنا محمد؛ وقد جرى مثل ذلك أنواع أعرفها، وثم من يصدق بأن الأنبياء يأتون في اليقظة في صورهم، وثم شيوخ لهم زهد وعلم وورع ودين يصدقون بمثل هذا! ومن هؤلاء من يظن أنه حين يأتي إلى قبر نبي أن النبي يخرج من قبره في صورته فيكلمه»(١).

وقال ابن عبد البر لمن ظن أنه حين يأتي إلى قبر النبي ﷺ يخرج من قبره في صورته فيكلمه، وظن هذا من كراماته!: «ويحك، أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؟! فهل في هؤلاء من سأل النبي ﷺ بعد الموت وأجابه؟ وقد تنازع الصحابة في أشياء، فهلا سألوا النبي ﷺ فأجابهم؟! وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثه فهلا سألته فأجابها؟!»(٢).

۞ ثالثًا: مصدر التلقي لدى الرافضة:

العمدة في التلقي عندهم: قول الإمام؛ ولذا يسمى الإسماعيلية بالتعليمية؛ لاعتمادهم على ما يسمونه تعاليم المعصوم، قال الغزالي: «وأما التعليمية فإنهم لُقِّبوا بها؛ لأن مبدأ مذاهبهم إبطال الرأي، وإبطال تصرف العقول، ودعوة الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم، وأنه لا مدرك للعلوم إلا التعليم»(٣).

أما الإثنا عشرية فالمصدر عندهم أيضًا هو قول الإمام الذي يدَّعون عصمته، حتى إنهم يزعمون أن قوله كقول الله ورسوله، فقالوا: «إن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله ﷻ، ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى»(٤)، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقالوا: يجوز لمن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٠٦- ٤٠٧)، وانظر: الجواب الصحيح (٣/ ١٥)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٦٨).

(٢) عن: مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٠٧).

(٣) فضائح الباطنية (ص١٧).

(٤) شرح جامع على الكافي (٢/ ٢٧١- ٢٧٢).

سمع حديثًا عن أبي عبد الله (جعفر الصادق) أن يرويه عن أبيه، أو عن أحد من أجداده، بل يجوز أن يقول قال الله تعالى»(١)؛ ولهذا نصوا في دستورهم على أن السنة هي «سنة المعصومين»(٢)، لا سُنَّة رسول الله ﷺ المعصوم وحده؛ ذلك «أن الإمامة استمرار للنبوة»(٣) عندهم، فالنص النبوي استمر -بزعمهم- إلى ما يسمونه الغيبة الكبرى سنة ٣٣٠هـ تقريبًا، ثم إنهم جمعوا كثيرًا مما نقله الوضاعون، ونسبوها لبعض أئمة أهل البيت، وسموها صحاح الإمامية، وانفصلوا عن عموم المسلمين في مصدر التلقي(٤)، فلا يرجعون إلى دواوين السنة التي يرجع إليها عموم المسلمين.

وهذا الاعتقاد عند هذه الطوائف المنتسبة للتشيع - وهو الاعتماد على قول الإمام في التلقي - اعتقاد باطل بنص القرآن، قال جل وعلا: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] ولم يقل: وإلى الإمام، وقال تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولم يقل: والأئمة، وهذه الأدلة صريحة في إبطال قولهم؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن هذا «يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسل حاجة عامة كالأئمة»(٥).



(١) المصدر السابق.

(٢) الدستور الإسلامي لجمهورية إيران (ص٢٠)، وانظر: تاريخ الإمامية، عبد الله فياض (ص١٤٠).

(٣) عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر (ص٦٦).

(٤) للمزيد من التفصيل يراجع: أصول مذهب الشيعة، ناصر القفاري (٢/ ٧٧٥).

(٥) مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٦).



المبحث الثاني عشر

مناقشة دعوى عدم الاستدلال بأخبار الآحاد[(١)] في العقيدة إجمالًا

يرى المتكلمون أنه لا يقبل في الاعتقاد «إلَّا الأخبار المتواترة التي لا يحتاج فيها إلى أسانيد، ولا إلى فلان عن فلان»[(٢)].

قال الرازي: «أخبار الآحاد مظنونة، فلم يجز التمسك بها في معرفة الله تعالى وصفاته»[(٣)].

---

(١) حديث الآحاد هو كل ما سوى المتواتر، والمتواتر هو: **ما اجتمع فيه أربعة شروط:**

١- عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم أو توافقهم على الكذب.

٢- روَوْا ذلك عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء.

٣- وكان مستند انتهائهم الحس.

٤- وانضاف إلى ذلك أن يصحب خبرَهم إفادةُ العلم لسامعه.

فكل ما لم تجتمع فيه شروط التواتر فهو خبر آحاد، **ويدخل فيه:** (١) **المشهور وهو:** ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين، (٢) **والعزيز وهو:** ألا يرويه أقل من اثنين عن اثنين، (٣) **والغريب وهو:** ما يتفرد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرد به من السند. انظر: نزهة النظر لابن حجر (ص٤٠-٥٤)، تحقيق: د. عبد الله الرحيلي.

(٢) قبول الأخبار ومعرفة الرجال، البلخي (١/ ١٧)، وانظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار (ص٧٧٠)، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للباقلاني (ص٤٤١-٤٤٢).

(٣) أساس التقديس (ص١٢٧).

وقال التفتازاني: «خبر الواحد -على تقدير اشتماله على جميع الشرائط- لا يفيد إلا الظنَّ، ولا يعتبر إلا في العمليات دون الاعتقادات»(١).

وهذا غير صحيح لما يلي:

أولًا: أنه يجب قبول كل ما صح عن الرسول ﷺ والاحتجاج به، سواء أكان متواترًا أم آحادًا، وسواء كان في العقائد أو في الأحكام؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قال الإمام الشافعي: «إذا حدث الثقة عن الثقة حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ فهو ثابت عن رسول الله ﷺ، ولا نترك لرسول الله حديثًا أبدًا»(٢).

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملًا به وتصديقًا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع»(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «وقد شاع فاشيًا عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد من غير نكير، فاقتضى الاتفاق منهم على القبول»(٤).

ثانيًا: أن القول بعدم حجية حديث الآحاد في العقائد قول مبتدع محدث، أول من ابتدعه هم المعتزلة، وكان قصدهم رد الأحاديث الصحيحة؛ لأنها حجة عليهم، وأول من نقل عنه إنكار حجية الخبر المتواتر هو إمام المعتزلة: واصل بن عطاء(٥)؛ ولهذا كان ميل المعتزلة إلى ردها وإنكار حجيتها أكثر من ميلهم إلى تأويلها، قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «كان شيوخنا -رحمهم

(١) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ١٩٨).
(٢) الأم للشافعي (٧/ ٢٠١). (٣) شرح الطحاوية (٢/ ٥٠١).
(٤) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٣٤).
(٥) انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، للقاضي عبد الجبار (ص٢٣٤).

الله- لا يسوغون التعسف في تأويل أخبار الآحاد، ويردون ما هذا حاله من الأخبار إذا قل احتماله للصواب»(١).

ثالثًا: أنه لا دليل معتبر على ما ذهبوا إليه، بل الدليل من الكتاب والسنة، والإجماع على خلافه.

أما الكتاب:

١- فقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، ولفظ (الطائفة) يتناول الواحد فأكثر؛ مما يدل على الاحتجاج بخبره، قال الإمام البخاري: «ويسمى الرجل: طائفة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ [الحجرات: ٩]، فلو اقتتل رجلان دخل في معنى الآية»(٢)، وقال الخطيب البغدادي: «ذكر الله تعالى الطائفة في هذه الآية، واسم الطائفة يقع على القليل وعلى الكثير، فوجب أن يثبت الحكم بمن وقع عليه هذا الاسم»(٣).

٢- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦]، قال الخطيب البغدادي: «وفي ذلك دلالة واضحة على إمضاء خبر العدل، والفرق بينه وبين خبر الفاسق، ولو كانا سِيَّيْنِ في التثبت لبينه ﷻ»(٤)، وقال الإمام ابن القيم: «وهذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد، وأنه لا يحتاج إلى التثبت، ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم»(٥).

٣- وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار (٤/ ٢٣٣).
(٢) صحيح البخاري (٩/ ٨٦).
(٣) الفقيه والمتفقه (١/ ٢٨٠).
(٤) الفقيه والمتفقه (١/ ٢٨١).
(٥) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٥٧٧).

إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٣]، «فأمر مَن لم يعلم أن يسأل أهل الذكر، وهم أولو الكتاب والعلم، ولولا أن أخبارهم تفيد العلم؛ لم يأمر بسؤال من لا يفيد خبره علمًا»(١).

وأما الأدلة من السنة فكثيرة جدًّا، منها:

١- حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»(٢)، فعلق بلاغ الدين على خبر رجل واحد، وقام بخبره الحجة على من بلغهم.

٢- وحديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: بينا الناس بقباء في صلاة الصبح؛ إذ جاءهم آتٍ، فقال: «إن رسول الله ﷺ قد أُنْزِل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبِلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة»(٣)، «فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد لم يتركوا المقطوع به المعلوم لخبر لا يفيد العلم»(٤).

٣- وحديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم،**

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٥٧٨).
(٢) أخرجه البخاري (ح١٤٩٦)، ومسلم (ح١٩).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٠٣).
(٤) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٥٧٧).

فإن الدعوة تحيط من ورائهم»[١]. قال الإمام الشافعي: «فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرأً -والامرُؤُ واحد- دل على أنه لا يأمر أن يؤدَّى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدَّى إليه؛ لأنه إنما يؤدَّى عنه حلال وحرام يجتنب، وحَدٌّ يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا»[٢].

٤- ومنها كتبه ﷺ التي كتبها إلى الملوك ليدعوهم إلى الإسلام، كما بعث دحية الكلبي إلى هرقل[٣]، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى[٤].

وأما الإجماع فقد نقله غير واحد من العلماء، قال الإمام ابن عبد البر: «أجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع شرذمة لا تعد خلافًا»[٥].

وقال الإمام الخطيب البغدادي: «وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين، في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا، ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار لذلك ولا اعتراض عليه، فثبت أن من دين جميعهم وجوبَه؛ إذ لو كان فيهم من كان لا يرى العمل به لنقل إلينا الخبر عنه بمذهبه فيه»[٦].

وقال الإمام السمعاني: «الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ، ورواه الثقات

---

(١) أخرجه الترمذي (ح٢٦٥٨)، وابن ماجه (ح٢٣٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع رقم٦٧٦٥).

(٢) الرسالة للشافعي (ص٤٠٢-٤٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح٧)، ومسلم (ح١٧٧٣).

(٤) أخرجه البخاري (ح٤٤٢٤).

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ٢).

(٦) الكفاية في علم الرواية (ص٣١).

والأئمة، وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ، وتلقته الأمة بالقبول؛ فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم، هذا قول عامة أهل الحديث، والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به، شيء اخترعته القدرية والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول، ولو أنصفت الفرق من الأمة لأقروا بأن خبر الواحد يوجب العلم، فإنك تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد»[(١)].

وقال الإمام ابن القيم في تقريره لاتفاق الصحابة على حجية خبر الواحد إذا صح عن النبي ﷺ: «ومن هذا: إخبار الصحابة بعضهم بعضًا؛ فإنهم كانوا يجزمون بما يحدث به أحدهم عن رسول الله ﷺ، ولم يقل أحد منهم لمن حدثه عن رسول الله ﷺ: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر»[(٢)].



(١) الانتصار لأصحاب الحديث (ص٣٤-٣٥)، وانظر: الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي (١/ ٢٨١).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٥٥٢).



المبحث الثالث عشر

مناقشة دعوى تعارض[١] العقل مع النقل

۞ أولًا: دعوى تعارض العقل مع النقل:

تقوم هذه الدعوى عند جمهور المتكلمين على أنه إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل؛ لأنه لولا العقل لما عرف صحة النقل، فالعقل أصل للنقل، والنقل فرع عنه وتابع له، وأدلة النقل ما هي إلا مؤكدة لدلائل العقول؛ ولذلك جعلوا العقل في ترتيب الأدلة مقدمًا على الكتاب والسنة، وعند التعارض يجب تأويل النقل ليتفق مع العقل، أو تفويض العلم بمعناه إلى الله تعالى[٢].

وممن غلا في القول بتقديم العقل على النقل: الفخر الرازي في كتابه (أساس التقديس)[٣]، وقد تصدى لنقضه والرد عليه: شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) معنى التعارض: التناقض والتضاد والتنافي. انظر: المعتمد لأبي الحسين البصري (١/ ٣٥٩)، المستصفى للغزالي (٢/ ٢٣٢)، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٤/ ٢٣٩)، والمراد بتعارض العقل والنقل: «هو تقابلهما على وجه يمنع كل واحد منهما مقتضى صاحبه» (نهاية السول شرح منهاج الوصول للإسنوي، ص٢٥٤).

(٢) انظر: المغني، للقاضي عبد الجبار (١٢/ ١٧٧)، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للباقلاني (ص١٣)، تحقيق مكارثي، الإرشاد، للجويني (ص٣٥٩-٣٦٠).

(٣) انظر: أساس التقديس في علم الكلام، للرازي (ص١٣٠).

ومما ينبغي أن يعلم أن الرازي قد رجع عن منهجه الكلامي وذلك قبيل وفاته بسنة، بعد أن =

في كتاب مستقل سماه: «درء تعارض العقل والنقل»[١] لم يؤلف مثله في بابه، وقال: «بينا في هذا الكتاب فساد القانون الفاسد الذي صدوا به الناس عن سبيل الله، وعن فهم مراد الرسول ﷺ وتصديقه فيما أخبر؛ إذ كان أي دليل أقيم على بيان مراد الرسول ﷺ لا ينفع إذا قدر أن المعارض العقلي القاطع ناقضه، بل يصير ذلك قدحًا في الرسول، وقدحًا فيمن استدل بكلامه»[٢].

۞ ثانيًا: مناقشة دعوى تعارض العقل مع النقل:

بيان بطلان هذه الدعوى يظهر من وجوه كثيرة، من أهمها ما يلي:

الوجه الأول: عدم التسليم بوجود التعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، بل يصدق أحدهما الآخر ويشهد أحدهما بصحة الآخر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه»[٣]، فإذا وجد ما ظاهره التعارض فلا بد من كون النقل غير قطعي الثبوت أو غير قطعي الدلالة، أو أن العقل غير صريح الدلالة، وإلا فلا يمكن بحال التعارض بين نقل قطعي الثبوت والدلالة وعقل مقطوع بصحته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومتى تعارض في ظن الظانِّ الكتاب والميزان، النص والقياس الشرعي أو العقلي فأحد الأمرين لازم، إما فساد دلالة ما احتج به من النص، إما بألا يكون ثابتًا عن المعصوم، أو لا يكون دالًّا على ما ظنه، أو فساد دلالة ما احتج به من القياس سواء كان شرعيًّا أو عقليًّا، بفساد بعض مقدماته، أو كلها؛ لما يقع في الأقيسة من الألفاظ المجملة المشتبهة»[٤].

= أدرك أن عاقبته الحيرة والقلق والاضطراب. انظر: ذم لذات الدنيا، للرازي (ص٢٦٢-٢٦٥).

(١) وسماه أيضًا: «رد تعارض العقل والنقل» (مجموع الفتاوى ١١/ ٢٢٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠). (٣) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٦٤).

(٤) الرد على المنطقيين (ص٣٧٣).

وقال ابن القيم:

فإذا تعارض نص لفظ وراد والعقل حتى ليس يلتقيان

فالعقل إما فاسد ويظنه الرائي صحيحًا وهو ذو بطلان

أو أن ذاك النص ليس بثابت ما قاله المعصوم بالبرهان[١]

الوجه الثاني: قلب الدليل على المخالف، فيقال: «إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل؛ لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع؛ لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضًا للنقل؛ لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجبًا عدمَ تقديمه، فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح، فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم ألا يكون العقل دليلًا صحيحًا، وإذا لم يكن دليلًا صحيحًا لم يجز أن يتبع بحال، فضلًا عن أن يقدَّم، فصار تقديم العقل على النقل قدحًا في العقل»[٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع؛ لأن العقل مصدِّق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل»[٣].

الوجه الثالث: أن العقول مختلفة، وأهل الكلام متنازعون فيما يسمونه عقليات، فكل منهم يدعي أنه يعلم بضرورة العقل ما يدعي الآخر أنه يعلم بضرورة العقل نقيضه، فأي عقل يتبع ويقدم على النقل؟! قال شيخ الإسلام

---

(١) نونية ابن القيم (ص١٥٤).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٢٧-٢٢٨).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٣٨).

ابن تيمية: «تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض، وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف، فوجب الثاني دون الأول؛ وذلك لأن كون الشيء معلومًا بالعقل، أو غير معلوم بالعقل ليس هو صفة لازمة لشيء من الأشياء، بل هو من الأمور النسبية الإضافية؛ فإن زيدًا قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله، وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجهله في وقت آخر، والمسائل التي يقال: إنه قد تعارض فيها العقل والشرع جميعها مما اضطرب فيه العقلاء، ولم يتفقوا فيها على أن موجب العقل كذا، بل كل من العقلاء يقول: إن العقل أثبت أو أوجب أو سوغ ما يقول الآخر: إن العقل نفاه أو أحاله أو منع منه، بل قد آل الأمر بينهم إلى التنازع فيما يقولون: إنه من العلوم الضرورية، فيقول هذا: نحن نعلم بالضرورة العقلية ما يقول الآخر: إنه غير معلوم بالضرورة العقلية»[(١)]، قال الإمام ابن القيم: «إن المعقولات ليس لها ضابط، ولا هي محصورة في نوع معين، فإنه ما من أمة من الأمم إلا ولهم عقليات يختصمون إليها ويختصون بها، فللفرس عقليات، وللهند عقليات، وللمجوس عقليات، وللصابئة عقليات، وكل طائفة من هذه الطوائف ليسوا متفقين على العقليات، بل فيها من الاختلاف ما هو معروف عند المعتنين به»[(٢)].

الوجه الخامس: «أن ما خالف العقل الصريح فهو باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلًا، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة»[(٣)].

الوجه السادس: «ليس في المعقول الصريح ما يمكن أن يكون مقدمًا على ما جاءت به الرسل؛ وذلك لأن الآيات والبراهين دالة على صدق الرسل، وأنهم لا يقولون على الله إلا الحق، وأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله من الخبر

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٤٤-١٤٥).

(٢) مختصر الصواعق (ص١٧٣).　　(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٩٠).

والطلب، لا يجوز أن يستقر في خبرهم عن الله شيء من الخطأ، كما اتفق على ذلك جميع المقرين بالرسل من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم، فوجب أن جميع ما يخبر به الرسول عن الله صدق وحق، لا يجوز أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي»[١].

الوجه السابع: «أن ما علم بصريح العقل الذي لا يختلف فيه العقلاء لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة، ومن تأمل ذلك فيما تنازع العقلاء فيه من المسائل الكبار وجد ما خَلْفَ النصوص الصريحة شبهاتٍ فاسدةً يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها»[٢].

الوجه الثامن: «أن الله تعالى قد تمم الدين بنبيه ﷺ وكمله به، ولم يحوجه هو ولا أمته إلى عقل ولا نقل سواه ولا رأي ولا منام ولا كشف. قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وأنكر على من لم يكتفِ بالوحي فقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١] ذكر هذا جوابًا لطلبهم آية تدل على صدقه، فأخبر أنه يكفيهم من كل آية، فلو كان ما تضمنه من الإخبار عنه وعن صفاته وأفعاله واليوم الآخر يناقض العقل لم يكن دليلًا على صدقه فضلًا عن أن يكون كافيًا»[٣].

الوجه التاسع: «أن الله سبحانه نهى المؤمنين أن يتقدموا بين يدي رسوله، وأن يرفعوا أصواتهم فوق صوته، وأن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض، وحذرهم من حبوط أعمالهم بذلك، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ١، ٢]، فإذا كان سبحانه قد نهى عن التقديم بين يديه،

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٧٢).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص١١٦).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (ص١١٥).

فأي تقدم أبلغ من تقديم عقله على ما جاء به، قال غير واحد من السلف: (لا تقولوا حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر)، ومعلوم قطعًا أن من قدم عقله أو عقل غيره على ما جاء به فهو أعصى الناس لهذا النبي وأشدهم تقدمًا بين يديه، وإذا كان سبحانه قد نهاهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته، فكيف برفع معقولاتهم فوق كلامه وما جاء به»[١].

الوجه العاشر: يترتب على القول بتقديم العقل على النقل لوازم خطيرة، منها:

١- عدم الثقة بكلام الله ورسوله ﷺ لاحتمال وجود معارض عقلي؛ لأن ما يستخرجه الناس بعقولهم لا نهاية له.

٢- تعليق الإيمان بالشرع على عدم وجود معارض عقلي، وهذا ضلال مبين؛ إذ يجعل ما أمر الله به من الإيمان موقوفًا على ما تمليه عقول البشر.

وصدق الشاعر أحمد الصافي النجفي حين قال:

يعترض العقل على خالقٍ ... من بعض مخلوقاته العقلُ



(١) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٩٦-٩٩٧).



المبحث الرابع عشر

أركان الإيمان

تعريفها وأهميتها والأدلة عليها إجمالًا

۞ أولًا: تعريفها:

هي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

۞ ثانيًا: أهميتها:

تظهر أهمية أركان الإيمان من خلال ما يلي:

١- أن الرسل -عليهم الصلاة والسلام- اتفقوا على الدعوة إليها وتقريرها، قال ابن أبي العز الحنفي: «هذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل -صلوات الله عليهم وسلامه- ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل»(١).

٢- أن مدار الإيمان على وجود هذه الأركان الستة، ومدار الضلال على الكفر بها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، قال ابن أبي العز: «جعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٠٢).

الكافرين من كفر بهذه الجملة»[(١)].

٣- أن الإيمان سبب دخول الجنة والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة: ٨٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «جعل أهل الجنة هم أهل الإيمان، وأهل النار هم أهل الكفر فيما شاء الله من الآيات، حتى صار ذلك معلومًا علمًا شائعًا متواترًا اضطراريًّا من دين الرسول ﷺ عند كل من بلغته رسالته»[(٢)].

٤- أن الإيمان سبب لمغفرة الذنوب وتعظيم الأجور، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [المائدة: ٩].

٥- أن الإيمان سبب التمكين والاستخلاف في الأرض، قال جل وعلا: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

٦- أن الإيمان سبب لحصول الهداية والفلاح، قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢، ٣] الآية، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ١-٣]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٥، ٦]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فحكم على النوع كله، والأمة الإنسانية جميعها بالخسارة والسفول إلى الغاية، إلا المؤمنين الصالحين»[(٣)].

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٠١).
(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٥).
(٣) المصدر السابق.

٧- أن الله تعالى «ربط السعادة مع إصلاح العمل به [أي: الإيمان]، في مثل قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩]»[1].

٨- أن الله جل وعلا «أحبط الأعمال الصالحة بزواله في مثل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ [النور: ٣٩]، وقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]»[2].

۞ ثالثًا: أدلتها:

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال جل وعلا: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

وفي حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان، قال ﷺ: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[3].



---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه مسلم (ح٨).



المبحث الخامس عشر

التوحيد

المراد به وأقسامه مع الأدلة

۞ أولًا: التوحيد لغة:

التوحيد مصدر وحَّد يوحِّد؛ أي: جعله واحدًا، والوحدة بمعنى: الانفراد، والواحد: المنفرد، فمادة وحد تدور حول انفراد الشيء بذاته وصفاته وأفعاله[(١)]، قال الراغب: «الوحدة: الانفراد»[(٢)].

۞ ثانيًا: مفهوم التوحيد عند أهل السنة:

التوحيد عند أهل السنة شرعًا: إفراد الله تعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته[(٣)].

ويقال: إفراد الله تعالى بأفعاله وأسمائه وصفاته وحقوقه.

فالأول: (إفراد الله بأفعاله) توحيد الربوبية، **والثاني:** توحيد الأسماء والصفات، **والثالث:** (وحقوقه) توحيد العبادة.

---

(١) انظر: القاموس المحيط (١/ ٣٤٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص٥١٤).

(٣) انظر هذا المعنى في: لوامع الأنوار (١/ ٥٧)، تيسير العزيز الحميد (ص٣٢- ٣٣)، القول المفيد (١/ ١١).

وعرف الإمام محمد بن عبد الوهاب التوحيد بقوله: «إفراد الله بالعبادة»[١]، فاقتصر على ذكر توحيد العبادة، وذلك باعتبار أن توحيد العبادة يتضمن توحيد الربوبية، ويستلزم توحيد الأسماء والصفات، ولأنه أعظم وأهم أنواع التوحيد، وهو الذي وقع الخلاف فيه بين الرسل وأممهم.

۞ ثالثًا: مفهوم التوحيد عند المخالفين:

أما مفهوم التوحيد عند المخالفين فإن طوائف البدع -كما يقول ابن القيم[٢]- «تقسمت التوحيد، وسمت كل طائفة باطلهم توحيدًا».

١- **فتوحيد الفلاسفة كابن سينا وأرسطو وأتباعهما، هو:** إثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة، بل هو وجود مطلق، لا يعرض لشيء من الماهيات، ولا يقوم به وصف، ولا يتخصص بنعت، بل صفاته كلها سلوب وإضافات، فتوحيد هؤلاء: هو غاية الإلحاد والجحد والكفر[٣].

٢- **وتوحيد الاتحادية هو:** أن الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود، وحقيقته وماهيته[٤].

٣- **وتوحيد الجهمية هو:** المبالغة في إنكار التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه؛ ولهذا أنكروا علو الله على خلقه بذاته، واستواءه على عرشه، وسمعه وبصره، وقوته وحياته، وكلامه وصفاته وأفعاله ومحبته، ومحبة العباد له... إلخ صفاته تعالى[٥].

٤- **وتوحيد القدرية هو:** إنكار قدر الله، وعموم مشيئته للكائنات، وقدرته عليها. قال ابن القيم: «ومتأخروهم ضموا إلى ذلك: توحيد الجهمية، فصار حقيقة التوحيد عندهم: إنكار القدر، وإنكار حقائق الأسماء الحسنى والصفات العلا، وربما سموا إنكار القدر، والكفر بقضاء الرب وقدره:

---

(١) الدرر السنية (١/ ١٢٦)، وانظر: (٢/ ٣٢٤).
(٢) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٥).
(٣) انظر: المصدر السابق.
(٤) انظر: المصدر السابق.
(٥) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٦).

عدلًا، وقالوا: نحن أهل العدل والتوحيد»[١].

٥- **وتوحيد الجبرية هو:** تفرد الرب تعالى بالخلق والفعل، وأن العباد غير فاعلين على الحقيقة، ولا محدثين لأفعالهم، ولا قادرين عليها[٢].

٦- **وتوحيد الرافضة المسماة في عصرنا بالشيعة، أعني الشيعة الإثني عشرية هو:** إفراد أئمتهم الإثني عشر بالإمامة، ومن أشرك معهم غيرهم أو لم يثبت إمامة واحد منهم فهو مشرك عندهم شركًا أكبر، قال شيخهم أبو الحسن العاملي: «إن الأخبار متضافرة في تأويل الشرك بالله والشرك بعبادته بالشرك في الولاية والإمامة؛ أي: يشرك مع الإمام من ليس من أهل الإمامة، وأن يتخذ مع ولاية آل محمد رضي الله عنهم (أي: الأئمة الإثني عشر) ولاية غيرهم»[٣].

۞ رابعًا: أقسام التوحيد عند أهل السنة:

من أهل العلم من يقسم التوحيد إلى قسمين، ومنهم من يقسمه إلى ثلاثة أقسام، وكلها حق، والاختلاف في التقسيم هو من باب اختلاف التنوع.

١- **فمنهم من قال: التوحيد نوعان: الأول:** توحيد في المعرفة والإثبات، **والثاني:** توحيد في الطلب والقصد[٤].

٢- **ومن أهل العلم من يقول: التوحيد ثلاثة أنواع:** توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات[٥].

ولا منافاة بينهما، فمن جعله قسمين فباعتبار ما يجب على المكلف

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤١٦).
(٢) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٧).
(٣) مرآة الأنوار (ص٢٠٢)، انظر: أصول الكافي (١/ ٤٢٧)، تفسير القمي (٢/ ٢٥١)، البرهان (٤/ ٨٣)، تفسير الصافي (٤/ ٣٢٨)، ولمزيد من التفصيل، انظر: أصول مذهب الشيعة (١/ ١٨٦) وما بعدها.
(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٧-٤١٨)، شرح الطحاوية (١/ ٤٢-٤٣).
(٥) انظر: الإبانة الكبرى، ابن بطة (٦/ ١٧٢)، شرح الطحاوية (١/ ٢٤)، مجموع فتاوى ابن باز (٢/ ٣٤-٣٧).

اعتقاده، ومن جعله ثلاثة أقسام فباعتبار متعلَّقه[(١)].

ومنهم من أضاف نوعًا آخر وهو توحيد الحاكمية؛ وذلك لما ظهر الإعراض عن تحكيم شرع الله، والاحتكام إلى القوانين الوضعية في العصور المتأخرة، والحق أن هذا النوع من التوحيد (الحاكمية) لا يحتاج إلى إضافته كنوع مستقل؛ لأنه داخل ضمن توحيد الربوبية باعتبار أن الله جل وعلا هو الحكَم، وداخل أيضًا ضمن توحيد الألوهية باعتبار وجوب إفراده تعالى بالحكم والطاعة.

وزاد بعضهم نوعًا آخر أيضًا وهو توحيد المتابعة؛ «يعني: وجوب اتباع الرسول والتمسك بالشريعة، فليس هناك متبَع آخر غير الرسول فهو الإمام الأعظم وهو المتبَع، فلا يجوز الخروج عن شريعته فهي شريعة واحدة إمامها واحد وهو نبينا -عليه الصلاة والسلام»[(٢)]، والحق أننا لا نحتاج إلى زيادة توحيد المتابعة على أقسام التوحيد الثلاثة؛ لأن توحيد المتابعة يتعلق بإفراد الرسول ﷺ بالاتباع، وهو مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله، وضد الاتباع: الابتداع، وتوحيد الألوهية يتعلق بالله جل وعلا، ووجوب إفراده بالعبادة، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وضده الشرك، وتقسيم التوحيد يتعلق بالثاني لا بالأول.

۞ خامسًا: أدلة أنواع التوحيد:

الأدلة في هذا الباب كثيرة في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، والقرآن كله في تقرير هذا الأصل العظيم؛ فإن «من تدبر القرآن الكريم وجد فيه آيات تأمر بإخلاص العبادة لله وحده، وهذا هو توحيد الألوهية، ووجد آيات تدل على أن الله هو الخلاق وأنه الرزاق وأنه مدبر الأمور، وهذا هو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون ولم يدخلهم في الإسلام، كما يجد آيات أخرى تدل

(١) انظر: المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع (ص٨٨).
(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٩/ ٦٦-٦٧).

على أن له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأنه لا شبيه له ولا كفؤ له، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات الذي أنكره المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والمشبهة، ومن سلك سبيلهم»[١].

ونشير هنا إلى أمثلة من دلالة القرآن على كل نوع من أنواع التوحيد:

١- توحيد الربوبية: معناه: توحيد الله بأفعاله، وهو إفراد الله سبحانه بالمُلك والخلق والتدبير، فمن أدلة أن الله سبحانه هو الخالق المدبر قوله سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]، ومن أدلة أنه المالك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [النور: ٤٢][٢].

٢- توحيد الألوهية: ويسمى توحيد العبادة، ومعناه: إفراد الله تعالى بالعبادة وذلك بإخلاص العبادة له، وعدم صرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره؛ لأنه سبحانه المستحق أن يُعبد وحده لا شريك له[٣]، والأدلة على وجوب إفراده سبحانه بالعبادة كثيرة، كقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله جل وعلا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] قال الإمام القرطبي: «﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: ليوحِّدوه»[٤]، وغيرها من الآيات.

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٢١٥).

(٢) انظر في معنى توحيد الربوبية: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣)، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٤)، تجريد التوحيد، للمقريزي (ص٨١) (ضمن مجموع: عقيدة الفرقة الناجية)، لوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٨-١٢٩)، تيسير العزيز الحميد (ص٣٣).

(٣) انظر في تعريف توحيد الألوهية: شرح الطحاوية (١/ ٢٤)، لوامع الأنوار (١/ ٢٩)، تيسير العزيز الحميد (ص٣٦) وغيرها.

(٤) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٤٤).

٣- توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله ﷻ بأسمائه وصفاته، وهو يتضمن أصلين:

الأول: إثبات جميع ما جاء عن الله ورسوله من أسماء الله وصفاته على ما يليق بجلاله، ويختص بعظمته. قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]؛ يعني: الوصف الأكمل.

الثاني: نفي المماثلة: أي لا نجعل لله مثيلًا في أسمائه وصفاته، قال سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، ويدل على هذين الأصلين قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد اجتمعت أدلة أنواع التوحيد الثلاثة في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، فقوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يدل على توحيد الربوبية، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ يدل على توحيد العبادة، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ يدل على توحيد الأسماء والصفات.

الدليل على تقسيم التوحيد:

دليل ذلك هو الاستقراء للنصوص الواردة في الكتاب والسنة، قال العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله حينما سُئِل عن الدليل على تقسيم التوحيد، فأجاب بقوله: «هذا مأخوذ من الاستقراء؛ لأن العلماء لما استقرؤوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظهر لهم هذا»[(١)].

وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده وابن جرير الطبري[(٢)] وغيرهما، وقرره شيخا

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٢١٥).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٧٠)، (٥/ ٥٤٩).

الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في «تاج العروس»[(١)]، وشيخنا الشنقيطي في «أضواء البيان»[(٢)] في آخرين -رحم الله الجميع-، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، وهو مطَّرد لدى أهل كل فنٍّ، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تَفُهْ بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء»[(٣)].

۞ سادسًا: العلاقة بين أنواع التوحيد:

توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية؛ لأن من عبد الله وحده لا بد أن يكون قد اعتقد أنه الرب المالك الخالق المدبر المستحق للعبادة، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ويدل عليه ويوجبه؛ ولهذا أقام الله الحجة على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية، كما أن توحيد الأسماء والصفات يتضمن الربوبية؛ لأن الرب من أسماء الله جل وعلا، ولا يسمى به سواه عند الإطلاق، حتى قيل: إنه الاسم الأعظم[(٤)]، ويتضمن أيضًا الألوهية[(٥)].

وكذلك توحيد الربوبية والألوهية مستلزمان لتوحيد الأسماء والصفات؛ لأن من آمن بانفراد الله بالخلق والملك والتدبير لزمه أن يفرده بالعبادة، ومن أفرد الله بالعبادة لزمه اعتقاد اتصاف الرب المعبود بصفات الجلال ونعوت الكمال[(٦)].

والربوبية والألوهية تارة يذكران معًا فيفترقان في المعنى، ويكون أحدهما قسيمًا للآخر، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١-٣]، فيكون معنى الرب: المالك المتصرف

---

(١) انظر: تاج العروس (٩/ ٢٧٦).
(٢) انظر: أضواء البيان (٣/ ١٧-١٩).
(٣) التحذير من مختصرات الصابوني (ص٣٣١) في الحاشية، ضمن كتاب (الردود).
(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١/ ٢٢٥).
(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٦).
(٦) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٤١).

في الخلق، ويكون معنى الإله: المعبود بحق، المستحق للعبادة وحده، وتارة يذكر أحدهما مفردًا عن الآخر، فيجتمعان في المعنى، كما في قول الملكين للميت في القبر: من ربك؟ ومعناه: من إلهك وخالقك؟ وكما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ [الحج: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف: ١٣][١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإلهية تتضمن الربوبية؛ والربوبية تستلزم الإلهية، فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران، كما في قوله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١-٣]، وفي قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] فجمع بين الاسمين: اسم الإله واسم الرب؛ فإن (الإله) هو المعبود الذي يستحق أن يعبد، و(الرب) هو الذي يربي عبده فيدبره»[٢].

۞ سابعًا: أقسام التوحيد عند أهل الكلام:

الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، وهي: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، **ويعبرون عنها بقولهم:**

١- واحد في ذاته لا قسيم له.

٢- واحد في صفاته لا شبيه له.

٣- واحد في أفعاله لا شريك له.

قال الشهرستاني: «الباري تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له»[٣].

---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٠٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٣-٢٨٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٧٧)، منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام (ص٥٦)، وانظر: شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني =

نقد هذا التقسيم:

أولًا: «قولهم: هو واحد لا قسيم له في ذاته، أو لا جزء له، أو لا بعض له لفظ مجمل؛ فإن الله سبحانه وتعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فيمتنع أن يتفرق، أو يتجزأ، أو يكون قد رُكِّب من أجزاء، لكنهم يدرجون في هذا اللفظ نفي علوه على عرشه، ومباينته لخلقه، وامتيازه عنهم، ونحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه وتعطيله، ويجعلون ذلك من التوحيد، فقد تبين أن ما يسمونه توحيدًا فيه ما هو حق، وفيه ما هو باطل»(١).

ثانيًا: قولهم: واحد في صفاته لا شبيه له، الأولى أن يقال: لا مثيل له؛ لأنه اللفظ الذي جاء بنفيه القرآن في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١](٢).

وأيضًا لأن نفي التشبيه مطلقًا يتضمن التعطيل؛ لأنه قد علم أن كل موجودَين قائمَين بأنفسهما فلا بد بينهما من قدر مشترك، كاتفاقهما في مسمى الوجود والقيام بالنفس والذات ونحو ذلك، فنفي ذلك يقتضي التعطيل المحض؛ أي: نفي الوجود أصلًا(٣).

ثالثًا: قولهم: واحد في أفعاله لا شريك له، هذا أشهر الأنواع الثلاثة عندهم، وهو توحيد الله بأفعاله؛ أي: توحيد الربوبية، والخطأ عندهم أنهم جعلوه الغاية في التوحيد، وأنه هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، حتى قالوا: معنى الإلهية: القدرة على الاختراع(٤)، **وهذا خطأ من وجوه:**

١- أن هذا النوع من التوحيد قد أقر به المشركون فلم يجعلوا لله شريكًا في أفعاله، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١].

= (٢/ ٥٧)، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للبيجوري (ص١١٤).

(١) التدمرية (ص١٨٤-١٨٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٩٩).

(٤) انظر: التدمرية (ص١٧٩).

وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، فلم يدخلهم هذا الإقرار في الإسلام، ولم يكونوا موحدين، بل هم مشركون لإنكارهم توحيد الألوهية، وقولهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]، فكيف يغفل هؤلاء المتكلمون هذا الأصل ولا يذكرونه، ويجعلون الإقرار بتوحيد الربوبية هو الغاية في التوحيد؟!

٢- أن هذا التوحيد (الربوبية) أمر قد فطر عليه البشر، ولم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، فلا توجد طائفة من بني آدم تعتقد بوجود خالقَين متماثلين في الصفات والأفعال، مع أن المتكلمين أجهدوا أنفسهم في إثباته واحتجوا عليه بما يذكرونه من دلالة التمانع، كما سيأتي.

٣- أنهم أغفلوا توحيد الألوهية، مع أنه هو الغاية في التوحيد؛ لأن عبادة الله وحده لا شريك له هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب[1]، وقد سبقت الأدلة على ذلك.

۞ ثامنًا: أقسام التوحيد عند الصوفية:

يقسم الصوفية[2] التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وهي:

١- **توحيد العامة:** وهو ما يصح بالشواهد (أي: بالأدلة والآيات

(١) انظر: التدمرية (ص١٧٩-١٨١)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٦-٢٢٨).

(٢) هذا التقسيم للإمام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري، صاحب كتاب (ذم الكلام) و(منازل السائرين)، المتوفى سنة ٤٨١هـ، لكنه يوافق في الظاهر ما عليه أهل التصوف الغالي؛ ولذلك قال الإمام الذهبي: «إن طائفة من صوفية الفلسفة والاتحاد يخضعون لكلامه في (منازل السائرين)، وينتحلونه، ويزعمون أنه موافقهم. كلا، بل هو رجل أثري، لَهِجٌ بإثبات نصوص الصفات، منافر للكلام وأهله جدًّا، وفي (منازله) إشارات إلى المحو والفناء، وإنما مراده بذلك: الفناء هو الغيبة عن شهود السوى، ولم يرد محو السوى في الخارج، ويا ليته لا صنَّف ذلك، فما أحلى تصوف الصحابة والتابعين! ما خاضوا في هذه الخطرات والوساوس، بل عبدوا الله، وذلوا له، وتوكلوا عليه، وهم من خشيته مشفقون، ولأعدائه مجاهدون، وفي الطاعة مسارعون، وعن اللغو معرضون، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم». (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥١٠).

والبراهين)، ويعني به: توحيد الألوهية!!

٢- توحيد الخاصة: وهو ما يثبت بالحقائق (يعني به: المكاشفات).

٣- توحيد خاصة الخاصة: وهو توحيد قائم بالقدم؛ يعني: القول بالاتحاد، فلا فرق بين القدم والحدث[١].

نقد هذا التقسيم:

١- هذا التقسيم لا أصل له من كتاب أو سنة أو إجماع، فهذا كلام الله المنزل على رسوله ﷺ، وهذه سنة الرسول ﷺ، وهذا كلام خير القرون بعد الرسول ﷺ. هل جاء هذا التقسيم عن أحد منهم؟! «فأين قال الرسول: هذا توحيد العامة، وهذا توحيد الخاصة، وهذا توحيد خاصة الخاصة؟! أو ما يقرب من هذا المعنى؟ أو أشار إليه؟!»[٢].

٢- «أن النوع الثاني والثالث من التوحيد الذي ادعوا أنه توحيد الخاصة وخاصة الخاصة، ينتهي إلى الفناء[٣] الذي يشمر إليه غالب الصوفية، وهو درب خطر يفضي إلى الاتحاد»[٤]؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقًا

(١) انظر: منازل السائرين (ص١٣٥)، وراجع تقسيمًا آخر للغزالي في: إحياء علوم الدين (٤/ ٢٤٦-٢٥٤).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٥٦).

(٣) **والفناء عند الصوفية ثلاث مراتب:**

الأولى: فناء عن إرادة السوى (أي: توحيد الألوهية).

الثانية: فناء عن شهود السوى (أي: وحدة الشهود)، بمعنى: أن يغيب عن مشاهدة كل موجود سوى الله، فيغيب «بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمعروفه عن معرفته» (التدمرية ص: ١٨٧).

الثالثة: فناء عن وجود السوى (أي: وحدة الوجود)، فلا يرى في الوجود سوى الله، ويعتقد أن وجود المخلوقات هي عين وجود الخالق - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا. انظر: العبودية، لابن تيمية (ص١٢٦-١٣٢).

(٤) شرح الطحاوية (١/ ٥٥).

على النوع الثالث الذي ذكره الهروي، وسماه: توحيد خاصة الخاصة: «هؤلاء هم الذين أنكر عليهم أئمة الطريق، كالجنيد وغيره، حيث لم يفرقوا بين القديم والمحدَث، وحقيقة قول هؤلاء: الاتحاد والحلول الخاص، من جنس قول النصارى في المسيح»[(١)].

٣- أن توحيد الألوهية الذي سموه: توحيد العامة، وجعلوه أدنى مراتب التوحيد هو أعلى المراتب؛ لأنه «التوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل»[(٢)]، و«لا ريب أن أهل التوحيد يتفاوتون في توحيدهم -علمًا ومعرفة وحالًا- تفاوتًا لا يحصيه إلا الله، فأكمل الناس توحيدًا الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكمل توحيدًا، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، ومحمد -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- وأكملهم توحيدًا: الخليلان محمد وإبراهيم -صلوات الله وسلامه عليهما»[(٣)].

٤- أن هذا التقسيم يشبه تقسيم التوحيد عند روافض عصرنا، إلا أن الرافضة زادوا قسمًا رابعًا سموه: (توحيد أخص الخواص)[(٤)]، والصلة بين

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٧٠). (٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٤٦).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٤٤٥-٤٤٦)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٤٣-٣٥٨)، التدمرية (ص٢٢١-٢٢٢)، وانظر نقد شيخ الإسلام ابن تيمية للفناء عند الصوفية في: مجموع الفتاوى (٣/ ١١٨-١١٩)، (١٠/ ٣٣٧-٣٤٣)، تقريب التدمرية، للشيخ محمد بن عثيمين (ص١٢٣) وما بعدها.

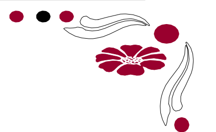
(٤) يقول شيخهم وآيتهم إبراهيم الزنجاني في كتابه عقائد الإمامية الإثني عشرية (ص٢٤) تحت عنوان (عقيدة الشيعة في التوحيد): «إن مراتب التوحيد أربع: توحيد العوام، وتوحيد الخواص، وتوحيد خاص الخواص، وتوحيد أخص الخواص، والأولى مدلول كلمة (لا إله إلا الله)...»، وذكر أن شيعته تمتاز عن المسلمين جميعًا بعقيدة توحيد خاص الخاص، وتوحيد أخص الخواص، والكتاب موثق من كبار شيوخهم كالخوئي، وحسن الموسوي، =

التصوف الغالي والرفض ظاهرة[1].

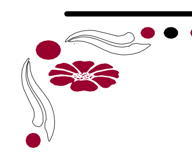


= ووصف الخوئي مؤلفه بأنه ركن الإسلام، وعماد العلماء، وانظر نقد هذا التقسيم في: أصول مذهب الشيعة (٣/ ١٠٧٩).

(١) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع، للباحث الشيعي العراقي د/ مصطفى كامل الشيبي، العلاقة بين التشيع والتصوف، للباحث فلاح بن إسماعيل مندكار، العلاقة بين الصوفية والإمامية، للباحث زياد بن عبد الله الحمام.



ملخص الفصل الأول



العقيدة في الاصطلاح تطلق بإطلاقين:

١- **عام**، وهو ما يعتقده المرء، ويدين به، سواء كان حقًّا أو باطلًا.

٢- **خاص**، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

علم العقيدة: هو علم يُعْنَى ببيان أصول الاعتقاد ومسائله ودلائله، والرد على المخالفين، وموضوعه: أركان الإيمان الستة، ومن أهم الأسماء التي أُطْلِقَتْ على علم العقيدة: (١) السنَّة، (٢) والإيمان، (٣) وأصول الدين، (٤) والتوحيد، (٥) والفقه الأكبر، (٦) والشريعة، (٧) ويسميه بعضهم علم الكلام، وهو خطأ.

❑ الدين الذي بعث الله به جميع الرسل هو الإسلام، وأعظم الأصول التي اتفق عليها الرسل -عليهم الصلاة والسلام- الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكذلك اتفقوا في أصول التشريعات ومقاصدها العامة، وأما الاختلاف بينهم، ففي الشرائع، والمناهج، والأحكام الفرعية.

❑ تعلم أصول علم العقيدة على سبيل الإجمال فرض عين على كل مسلم، وأما تعلم العقيدة تفصيلًا بأدلتها ففرض كفاية إن قام به من تحصل بهم الكفاية من المسلمين سقط الإثم عن الباقين، وإلا أثموا جميعًا، وأما ما يجب على كل أحد بعينه فهو يختلف باختلاف قدراتهم وحاجاتهم وعلومهم ووظائفهم.

علم العقيدة هو أشرف العلوم منزلة وأعلاها مكانة وأوجبها مطلبًا، ويتبين ذلك من خلال وجوه كثيرة، منها:

١- أنه يتعلق بأشرف معلوم، وهو الله جل جلاله.

٢- أن «حاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة.

٣- أنه أول دعوة الرسل جميعًا.

٤- أنه أول ما يؤمر به العبد.

٥- أن القرآن كله في التوحيد والدعوة إليه.

٦- أن العلم به وتعلمَه أفضل الأعمال عند الله تعالى.

٧- أن قبول الأعمال متوقف على التوحيد.

٨- أنه سبب لدخول الجنة والنجاة من النار.

تعلم العقيدة الصحيحة وتحقيقها في القلب له ثمرات عديدة، منها:

١- نزول البركات وحصول الحياة الطيبة.

٢- اجتماع الأمة ووحدتها.

٣- طمأنينة القلب وانشراح الصدر.

٤- الأمن والنجاة في الآخرة.

مر تدوين علم العقيدة بمراحل:

المرحلة الأولى: بدأ التدوين في هذا العلم مختلطًا بعلم الحديث، حيث قام علماء الحديث بتدوين السنة النبوية والتي تتضمن أحاديثَ في موضوعات شتى، منها أحاديث تتعلق بمسائل العقيدة، كأبواب الإيمان والتوحيد والقدر والفتن والقيامة والجنة والنار.

المرحلة الثانية: إفراد علم العقيدة، أو باب من أبوابه، أو مسألة من مسائله بالتصنيف، ولعل أول من سبق إلى ذلك الإمام حماد بن سلمة (ت١٦٧هـ).

المرحلة الثالثة: في القرن السابع صار للمبتدعة من أهل التشيع والتصوف والفلسفة والكلام ظهور وانتشار، فقيض الله للأمة أعلامًا كان لهم قدم صدق في الذَّبِّ عن السنة ومواجهة البدعة، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه

الإمام ابن القيم، وابن رجب، والذهبي، وابن أبي العز الحنفي، ثم تلا ذلك ظهور الشيخ الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦هـ) بدعوته الإصلاحية التجديدية، وتأثر بهذه الدعوة الإصلاحية عدد من العلماء في مختلف الأقطار.

من أهم الأسباب التي دعت أهل السنة إلى تدوين المصنفات في علم العقيدة ما يلي:

١- أهمية تعليم الناس العقيدة الصحيحة، اقتداء بالنبي ﷺ.

٢- ظهور البدع المخالفة للاعتقاد الصحيح.

٣- الخوف من ضياع العلم بسبب انتشار الجهل وفقد العلماء.

٤- طلب الناس من العلماء الكتابة لهم في مسائل العقيدة.

٥- طلب الخلفاء والولاة من العلماء الكتابة في مسائل الاعتقاد.

من أهم ما يميز منهج السلف في تدوين العقيدة ما يلي:

١- الاعتماد في جميع مسائل العقيدة على نصوص الكتاب والسنة.

٢- الاهتمام بجمع آثار الصحابة والتابعين من القرون الفاضلة المشهود لهم بالخيرية.

٣- اتفاقهم في تقرير مسائل الاعتقاد على قول واحد، فلا تجد في كتبهم اختلافًا أو اضطرابًا أو تناقضًا.

٤- التعبير عن الله تعالى بالألفاظ الشرعية.

سلك أهل السنة في تأليفهم في علم العقيدة عدة مناهج، منها:

١- **منهج العرض: والمراد به:** عرض اعتقاد أهل السنة مجملًا أو مفصلًا بأدلته في جميع أبواب الاعتقاد أو أكثرها، ومن أمثلة الكتب المؤلفة في ذلك: «أصول السنة»، للإمام أبي بكر الحميدي المكي، و«السنة»، للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل، و«السنة»، لأبي بكر الخلَّال، وغيرها.

٢- **منهج الرد: والمراد به:** إفراد طائفة من أهل البدع بالرد على مقالاتهم كالجهمية والقدرية، أو إفراد مسألة من مسائل العقيدة بالتصنيف وبيان الفِرَق المخالفة فيها والرد عليهم كالصفات والإمامة، ومن أهم الكتب المؤلفة في ذلك ما يلي: «الرد على الجهمية والزنادقة»، لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل، و«الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة»، للإمام المحدِّث عبد الله بن قتيبة، و«الرد على الجهمية»، و«الرد على بشر المريسي»، لأبي سعيد عثمان ابن سعيد الدارمي، وغيرها.

٣- **منهج التأليف في موضوعات مفردة:** والمراد به: إفراد مسألة من مسائل الاعتقاد بالتصنيف ببيان اعتقاد أهل السنة فيها، وجمع الأدلة عليها من الكتاب والسنة وآثار السلف، وقد يتضمن الرد على المخالفين في هذه المسألة وتفنيد شبهاتهم وإبطال مذهبهم، ومن الكتب المؤلفة في ذلك ما يلي: «كتاب القدر»، للإمام عبد الله بن وهب، و«الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته»، للإمام أبي عُبيد القاسم بن سلَّام، و«الفتن»، للإمام نعيم بن حماد، وغيرها.

❑ أهل السنة هم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، وهم المتبعون للكتاب والسنة، واعتقادهم هو ما دل عليه الكتاب والسنة من أصول الدين، وإنما سموا أهل السنة لاتباعهم سنته ﷺ.

❑ **لفظ (السنة) يطلق بإطلاقين:**

١- **عام:** ويراد به جميع الطوائف والفرق الإسلامية إلا الرافضة.

٢- **خاص:** ويراد به أهل السنة المحضة الخالصة من أي بدعة.

لأهل السنة ألقاب كثيرة، منها:

١- أهل السنة، ٢- الجماعة، ٣- السلف الصالح، ٤- أهل الحديث والأثر، ٥- الفرقة الناجية، ٦- الطائفة المنصورة.

لأهل السنة خصائص تميزوا بها عن سائر الفرق، منها:

١- أنهم يعتمدون على الكتاب والسنة والإجماع.

٢- أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره على ما جاء عن الله، وعلى ما جاء على لسان رسول الله ﷺ.

٣- أنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، على ما توجبه الشريعة.

٤- أنهم وسط في فرق الأمة؛ كما أن الأمة هي الوسط في الأمم.

٥- تمسكهم بالجماعة، فهم يعتقدون أن الجماعة حق وصواب، والفُرْقة شر وعذاب.

٦- العدل مع كل الطوائف المخالفة.

يعتمد منهج القرآن الكريم في الدعوة للعقيدة على الأمور التالية:

١- الاستدلال بالدلائل العقلية.

٢- الرد على المخالفين بالبرهان، بل وإظهار عجزهم بطلب البرهان على عقائدهم إن كانوا صادقين.

٣- استعمال الطرق العقلية الجلية القريبة من الأفهام.

٤- تضمن القرآن لجميع البراهين العقلية التي يحتاج إليها في الدين.

يقوم منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد والاستدلال عليها على القواعد التالية:

١- يعتمدون في الاستدلال على الكتاب والسنة.

٢- يعتمدون على الإجماع، ويعدونه الأصل الثالث.

٣- يؤمنون بجميع نصوص الكتاب والسنة، ولا يأخذون ببعض الوحي ويردون بعضه.

٤- يعتقدون بأن الرسول ﷺ بلغ الدين كله أصوله وفروعه.

٥- يعتمدون على تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم ما أجمع عليه التابعون.

٦- يقتدون بصحابة رسول الله ﷺ.

٧- يسلمون بكل ما جاء عن الله ورسوله.

٨- يعبرون عن حقائق الإيمان بالألفاظ الشرعية.

٩- يرجعون عند التنازع إلى الله ورسوله ﷺ.

مصادر تلقي العقيدة عند أهل السنة قسمان:

الأول: المصادر الأصلية: وهي: (١) القرآن، (٢) السُّنَّة، وهي المبينة للقرآن، (٣) الإجماع.

الثاني: المصادر الفرعية، وهي:

(١) **العقل السليم**، وهو ليس بمصدر مستقل للاعتقاد، بل هو تابع للوحي، بخلاف المتكلمين الذين يجعلون العقل أصلًا والوحي تابعًا، والعقول لا يمكن أن تستقل بمعرفة أصول الدين على سبيل التفصيل لعجزها وقصورها، أما على سبيل الإجمال فإن عامة أصول الدين الكبار مما يعرف بالعقل.

(٢) **الفطرة السليمة، وهي:** ما خلق عليه الإنسان من القوة العلمية والعملية التي تقتضي بذاتها الإسلام إذا لم يمنعها من ذلك مانع.

(٣) **الحس**، وهو من مصادر العلم عمومًا، ووجه كونه أحد مصادر الاعتقاد الفرعية دلالة الآيات الحسية المشاهَدة على الإيمان بالله والوحي واليوم الآخر.

المصدر الأول لتلقي العقيدة عند أهل الكلام هو العقل، ويرد عليهم من وجهين:

١- أن منشأ هذه الدعوى: ظنهم أن القرآن مجرد أخبار يجب التصديق بها، والحق أن القرآن قد اشتمل على الأدلة العقلية اليقينية على أصول الاعتقاد مما هو أسلم وأقوى مما ذكره المتكلمون.

٢- هذه الدعوى مبنية على فرضية لا حقيقة لها البتة؛ وهي دعوى تعارض العقل مع النقل، وهي دعوى باطلة.

❑ كثير من الصوفية على الضد من المتكلمين، عطلوا العقل وذموه،

واعتقدوا أن الولاية لا تنال إلا بفقده، وحصروا مصادر العلم عندهم فيما يسمونه بالكشف والشهود، كما اعتمدوا في التلقي على ما يسمونه الإلهام، حتى إنهم يعدونه بمثابة الوحي من الله تعالى، ويدعون أنهم يتلقون عن الرسول ﷺ في اليقظة، وهذا كله من تلبيس الشياطين عليهم وتلاعبه بهم.

❑ مصدر التلقي عند الرافضة من الإسماعيلية والإثني عشرية هو قول الإمام؛ لأنه إله عند بعضهم ومعصوم عند آخرين منهم، وقول الإمام عندهم كقول الله ورسوله، وهذا اعتقاد باطل بالشرع والعقل.

يرى المتكلمون أنه لا يقبل في الاعتقاد إلَّا الأخبار المتواترة؛ لأن أخبار الآحاد مظنونة، ويرد عليهم من وجوه:

١- الذي دل عليه الكتاب والسنة والإجماع أنه يجب قبول كل ما صح عن الرسول ﷺ والاحتجاج به، سواء أكان متواترًا أم آحادًا، وسواء كان في العقائد أو في الأحكام.

٢- أن القول بعدم حجية حديث الآحاد في العقائد قول مبتدع محدَث، وأول من ابتدعه هم المعتزلة، وكان قصدهم رد الأحاديث الصحيحة؛ لأنها حجة عليهم.

٣- أنه لا دليل معتبر على ما ذهبوا إليه، بل الدليل من الكتاب والسنة والإجماع على خلافه.

❑ يرى جمهور المتكلمين أنه إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل، أما النقل فيجب تأويله ليتفق مع النقل، أو يجب تفويض العلم بمعناه إلى الله تعالى، وبيان بطلان هذه الدعوى يظهر من وجوه كثيرة، **من أهمها:**

١- عدم التسليم بوجود التعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، بل يصدق أحدهما الآخر ويشهد أحدهما بصحة الآخر.

٢- أن العقول مختلفة، وأهل الكلام متنازعون فيما يسمونه عقليات، فكل منهم يدعي أنه يعلم بضرورة العقل ما يدعي الآخر أنه يعلم بضرورة العقل

نقيضه، فأي عقل يتبع ويقدم على النقل؟!

٣- أن ما علم بصريح العقل الذي لا يختلف فيه العقلاء لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة.

أركان الإيمان هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وتظهر أهميتها من خلال ما يلي:

١- أن الرسل -عليهم الصلاة والسلام- اتفقوا على الدعوة إليها وتقريرها.

٢- أن مدار الإيمان على وجود هذه الأركان الستة، ومدار الضلال على الكفر بها.

٣- أن الإيمان سبب دخول الجنة والنجاة من النار.

٤- أن الإيمان سبب لمغفرة الذنوب وتعظيم الأجور.

٥-أن الإيمان سبب التمكين والاستخلاف في الأرض.

٦-أن الإيمان سبب لحصول الهداية والفلاح.

٧-أن الله تعالى ربط السعادة مع إصلاح العمل بالإيمان.

٨- أن الله جل وعلا أحبط الأعمال الصالحة بزوال الإيمان.

التوحيد عند أهل السنة: إفراد الله تعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، **وعند الفلاسفة:** إثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة، **وعند الاتحادية هو:** أن الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود، وحقيقته وماهيته، **وعند الجهمية هو:** المبالغة في إنكار صفات الله وأفعاله، **وعند القدرية هو:** إنكار قدر الله وعموم مشيئته للكائنات، وقدرته عليها، **وعند الجبرية هو:** تفرد الرب تعالى بالخلق والفعل، وأن العباد غير فاعلين على الحقيقة، ولا محدثين لأفعالهم، ولا قادرين عليها، وعند الشيعة الإثني عشرية هو: إفراد أئمتهم الاثني عشر بالإمامة.

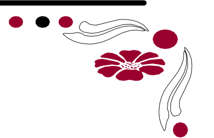
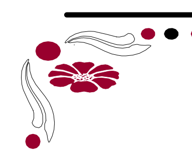
من أهل العلم من قسم التوحيد إلى نوعين: الأول: توحيد في المعرفة والإثبات، **والثاني:** توحيد في الطلب والقصد، **ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أنواع:**

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ولا منافاة بينهما، ودليل هذا التقسيم هو الاستقراء للنصوص الواردة في الكتاب والسنة، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ولا يتضمنه، وهما مستلزمان لتوحيد الأسماء والصفات.

التوحيد عند جمهور الكلام ثلاثة أقسام، وهي: ١- توحيد الذات، ٢- توحيد الصفات، ٣- توحيد الأفعال.

يقسم الصوفية التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وهي: ١- توحيد العامة، ٢- توحيد الخاصة، ٣- توحيد خاصة الخاصة.



أسئلة تطبيقية

س١- عرف علم العقيدة، وما هي أشهر أسمائه؟ وما حكم تعلمه؟

س٢- تكلم بإيجاز عن تاريخ تدوين علم العقيدة ومراحله؟

س٣- اذكر ثلاثة كتب لكل من منهج العرض ومنهج الرد في التدوين عند أهل السنة.

س٤- اذكر خمسًا من خصائص منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد.

س٥- اذكر مصادر أهل السنة في التلقي إجمالًا، ثم بين المراد بالعقل، وهل العقل مصدر مستقل للاعتقاد؟ وضح ذلك بإيجاز في ضوء ما درست.

س٦- تكلم بإيجاز عن مصدر التلقي عند غلاة الصوفية وعند الرافضة الإثني عشرية.

س٧- كيف ترد على دعوى المتكلمين عدم الاحتجاج بخبر الآحاد في العقيدة بدعوى أنها لا تفيد إلا الظن؟

س٨- كيف ترد على دعوى المتكلمين تعارض العقل مع النقل وتقديم العقل عند التعارض؟

س٩- ما هي أقسام التوحيد عند أهل السنة؟ وما الدليل على هذا التقسيم؟

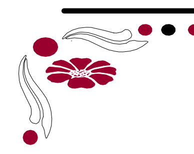
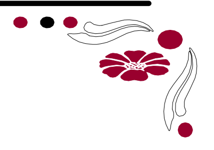
س١٠- ما هي أقسام التوحيد عند الصوفية؟ وما رأيك في هذا التقسيم؟





الفصل الثاني

توحيد الربوبية

الفصل الثاني

۞ **ويشتمل على ما يلي:**

١- التعريف بتوحيد الربوبية وأسمائه.

٢- الأدلة على توحيد الربوبية.

٣- مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية، والرد عليها إجمالًا.

٤- الإلحاد؛ المراد به، وصوره القديمة والمعاصرة، والرد عليها إجمالًا.

٥- المراد بالفطرة وأدلتها.

٦- المراد بأخذ الميثاق، وأدلته، والرد على من خالف في ذلك إجمالًا.

٧- ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية.





المبحث الأول

التعريف بتوحيد الربوبية وأسمائه

۞ أولًا: تعريف توحيد الربوبية:

الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيِّم، والمنعم؛ ولا يطلق غير مضاف إلا على الله ﷻ، وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: رب كذا[(١)].

وتوحيد الربوبية شرعًا هو: إفراد الله بأفعاله[(٢)].

أو هو: إفراد الله ﷻ بالخلق، والملك، والتدبير[(٣)].

أو يجمع بينهما، فيقال: إفراد الله بأفعاله كالخلق والملك والتدبير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «توحيد الربوبية: أنه لا خالق إلا الله، فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور، بل ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن»[(٤)].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٢٨)، النهاية (٢/ ١٧٩)، لسان العرب (١/ ٣٩٩)، تاج العروس (٢/ ٤٥٩).

(٢) انظر: فتاوى ابن باز (١/ ٣٦)، فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٥٤)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح آل الشيخ (١/ ٦).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٢).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣١)، وانظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٨-١٢٩)، تيسير العزيز =

۞ ثانيًا: أسماؤه:

من أسماء توحيد الربوبية، ويشترك معه في هذه الأسماء توحيد الأسماء والصفات:

١- التوحيد العلمي.

٢- التوحيد الخبري.

٣- التوحيد الاعتقادي.

٤- توحيد المعرفة والإثبات.



= الحميد (ص١٧).



المبحث الثاني

الأدلة على توحيد الربوبية

يتضمن الإيمان بربوبية الله تعالى الإيمان بأصلين عظيمين:

الأول: الإيمان بوجود الله جل وعلا.

الثاني: إفراد الله تعالى بأفعاله.

وسنذكر فيما يلي الأدلة على هذين الأصلين:

۞ الأدلة على الأصل الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

قال الإمام ابن القيم: «سمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟ وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليلِ

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفِطَر من وجود النهار، ومن لم يرَ ذلك في عقله وفطرته فليتَّهمْهما»[(١)].

ولذا لم يكثر السلف من إيراد الأدلة الدالة على وجود الله جل وعلا، واكتفوا في الغالب بدليل الفطرة المركوز في نفوس بني آدم، قال السدي: «ليس في الأرض أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله»[(٢)].

(١) مدارج السالكين (١/ ٨٢).

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٥٦١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل المعرفة والإقرار بالصانع لا يقف على النظر والاستدلال، بل يحصل بديهة وضرورة؛ ولهذا يقر بالصانع جميع الأمم مع عظيم شركهم وكفرهم»[١]، وقال أيضًا: «الذي عليه جمهور العلماء أن الإقرار بالصانع فطري ضروري مغروز في الجِبِلَّة؛ ولهذا كانت دعوة عامة الرسل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكان عامة الأمم مقرين بالصانع مع إشراكهم به بعبادة ما دونه»[٢].

فما هو وجه الحاجة إلى الاستدلال إذًا على من هو دليل على كل شيء؟

والجواب: أن هناك من بني آدم من تغيرت فطرته فيحتاج إلى تذكيره بهذه المعرفة الفطرية الكامنة في نفسه ورفع الران عنها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإقرار بالخالق وكماله يكون فطريًّا ضروريًّا في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها»[٣].

والأدلة على وجود الله تعالى كثيرة ومتنوعة، و«طرقه لا تحصى»[٤] كما ذكر ابن تيمية، ومنها:

الدليل الأول: الفطرة:

والمراد بدلالة الفطرة على وجود الله: هي أن كل إنسان خلق على الإقرار بأن له خالقًا خلقه، قال الراغب الأصفهاني: «وهي معرفة كل أحد أنه مفعول، وأن له فاعلًا فعله ونقله في الأحوال المختلفة»[٥]، **وأما وجوه الاستدلال بالفطرة على وجود الله تعالى، فمن أهمها ما يلي:**

أولًا: الإيمان بوجود الله تعالى والإقرار به مما اجتمع عليه الثقلان الإنس والجن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من المعروف عند السلف والخلف أن

(١) بيان تلبيس الجهمية (٤/ ٥٧١).
(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٧٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٧٣).
(٤) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٧٠).
(٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص١٥٣).

جميع الجن والإنس معترفون بالخالق مُقِرُّون به. . . فعلم أن أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقر في قلوب جميع الإنس والجن، وأنه من لوازم خلقهم، ضروري فيهم، وإن قدِّر أنه حصل بسببٍ، كما أن اغتذاءهم بالطعام والشراب هو من لوازم خلقهم، وذلك ضروري فيهم»[(١)]، وقال ابن أبي العز الحنفي: «القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]»[(٢)].

ويقول الشهرستاني -وهو من أعلم الناس بالمقالات والفِرَق: «أما تعطيل العالم عن الصانع العالِم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد، ولا أعرف عليه صاحب مقالة إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية. . . فما عددت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان، فإن الفِطَر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير»[(٣)]، ثم قال: «ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»[(٤)]؛ ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في التوحيد، ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ الآية [غافر: ١٢]، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥]، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]، ثم ذكر الشهرستاني أن ما ذكره المتكلمون والفلاسفة من أدلة على وجود الله «دون ما شهدت به الفطرة الإنسانية من احتياج في ذاته إلى مدبر هو منتهى الحاجات، فيرغب إليه، ولا يرغب عنه، ويستغنى به، ولا يستغنى عنه، ويتوجه إليه ولا يعرض عنه، ويفزع

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٢). (٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٥).
(٣) نهاية الأقدام في علم الكلام (ص٧٤).
(٤) أخرجه البخاري (ح٢٥)، ومسلم (ح٢٠).

إليه في الشدائد والمهمات»[(١)]، فـ«كل مولود فإنه يولد على محبته لفاطره، وإقراره له بربوبيته، وادعائه له بالعبودية، فلو خلي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة»[(٢)].

ثانيًا: تشهد الفطرة الإنسانية باحتياج كل إنسان في ذاته إلى مدبر هو منتهى الحاجات، يُرغَب إليه ولا يرغب عنه، ويُسْتغنى به ولا يستغنى عنه، ويتوجه إليه ولا يُعرَض عنه، ويُفزَع إليه في الشدائد والمهمات[(٣)]، ولذلك فإنه ما من أمة من الأمم إلا وقد اتخذت لنفسها معبودًا تقدسه وتعظمه، قد توجد قرية أو مدينة بلا مستشفى، ولكن لا توجد بغير معبد أو معبود بأي صورة من الصور، وبأي اسم من الأسماء. يقول المؤرخ الإغريقي بازماك: «قد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون ولا قصور ولا مدارس، ولكن لم توجد أمة بلا معابد»[(٤)]، ويقول هنري برجسون: «لقد وجدت جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة»[(٥)].

ثالثًا: من أظهر وجوه الاستدلال بالفطرة على وجود الله تعالى اللجوء إليه سبحانه عند الشدائد، حتى تراها تظهر لدى الملاحدة أنفسهم عند وقوع مصيبة، أو نزول محنة وشدة؛ كما قال تعالى عن فرعون وهو أعتى الملاحدة لما أدركه الغرق: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، قال الرازي: «الإنسان إذا وقع في محنة شديدة وبلية قوية لا يبقى في ظنه رجاء المعاونة من أحد، فكأنه بأصل خلقته ومقتضى جبلته يتضرع إلى من يخلصه منها ويخرجه عن علائقها

(١) نهاية الأقدام في علم الكلام (ص٧٥). (٢) شفاء العليل (ص٢٨٩).
(٣) انظر: نهاية الأقدام في علم الكلام (ص٧٥).
(٤) عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري (ص١٨).
(٥) الدين، د. عبد الله دراز (ص٨٣).

وحبائلها وما ذاك إلا شهادة الفطرة بالافتقار إلى الصانع المدبر»[(١)]، فالعبد مجبول على اللجوء إلى الله، ففي ساعة المحنة يختفي الإلحاد وتستيقظ الفطرة، وتتجه القلوب مدفوعة بفطرتها إلى دعاء الله؛ وما ذاك إلا «لأن الشعور بوجود الله تعالى، والإذعان بخالق قادر مفطور عليه الإنسان، لا يغيره ريب المرتابين؛ لأنه عقد طبع عليه جَنَانه وتأثر به لسانه وبيانه؛ ولذلك كان من أثره ما يرى من انطلاق الألسنة في الكوارث، وما تندفع إليه في الحوادث من اللجوء إليه، والتضرع له تضرعًا لا يرده راد، ولو قيد لسانه لأفصحت عن حاله أركانه، وتلك حالة لا صنع فيها للبشر، ولا كسب فيه بتقليد ولا نظر، فهي لازم من لوازم الإنسانية وصفة من صفاتها الذاتية، اشتبك بها اشتباك اللحم بالعظم، وسرى في قواها سريان الدم في الجسم»[(٢)].

فكم من ملحد عرف ربه عندما وقع في شدة، وكم من مشرك أخلص دينه لله لضر نزل به، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢]، وقد شهدنا في عصرنا الذي طغت فيه المادة وشاع الإلحاد كيف لجأ عامة الناس إلى ربهم حينما سلط الله عليهم فيروسًا لا يُرى بالعين المجردة، اسمه (كورونا)، فتصاعدت أرقام الإصابات، وكثرت أعداد الوفيات، وعطلت المطارات، وأغلقت المدارس والجامعات، وأجبر الناس على البقاء في بيوتهم، وظهر عجز البشرية بتقنياتها الحديثة عن علاجه، وبان فقر الخلق وحاجتهم واضطرارهم إلى ربهم.

❋ ❋ ❋

(١) تفسير الرازي (١٩/ ٧١).
(٢) انظر: دلائل التوحيد، للقاسمي (ص٢٣).

الدليل الثاني: الأدلة العقلية:

الأدلة العقلية على وجود الله تعالى كثيرة جدًّا، و«عامة ما يثبته النُّظَّار من المتكلمين والفلاسفة في هذا الباب يأتي القرآن بخلاصته، وبما هو أحسن منه على أتم الوجوه، بل لا نسبة بينهما لعظم التفاوت»[(١)]، «وإذا تأمل الفاضل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية، وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأفصح عبارة وأوجزها، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما لا يوجد عندهم مثله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣]»[(٢)].

والأدلة العقلية على وجود الله تعالى التي جاء القرآن بتقريرها كثيرة، ومنها:

الأول: دليل الخلق والإيجاد: يقوم هذا الدليل على الاستدلال بحدوث الكون بعد أن لم يكن، وضرورة وجود خالق خلقه وأوجده؛ إذ إن كل حادث لا بد له من محدِث أحدثه، فإن «حدوث الحادث بلا محدِث أحدثه معلوم البطلان بضرورة العقل، وهذا أمر مركوز في بني آدم»[(٣)]، ولذلك «يسمى كل صنف من المخلوقات عالمًا؛ لأنه عَلَمٌ وبرهان على الخالق تعالى»[(٤)]، **فهذا الدليل يقوم على مقدمتين:**

الأولى: أن العالَم حادث بعد أن لم يكن.

والثانية: أن كل حادث لا بد له من محدِث، وكلتا المقدمتين معلومتان بالحسِّ والعقل والضرورة.

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٦٤٤).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٧٦-٧٧)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٦-٣٧)، الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٠)، مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٥).

(٣) الجواب الصحيح، ابن تيمية (٣/ ٢٠٣).

(٤) النبوات، لابن تيمية (٢/ ٧٤١).

وطريقة القرآن هي الاستدلال على وجود الله بأفراد الحوادث المشاهدة وأعظمها خلق الإنسان، لا الاستدلال بجنس الحوادث (حدوث الجواهر والأعراض) كما هي طريقة المتكلمين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الطريقة المذكورة في القرآن هي الاستدلال بحدوث الإنسان وغيره من المحدثات المعلوم حدوثها بالمشاهدة، ونحوها على وجود الخالق ﷻ، فحدوث الإنسان يستدل به على المُحْدِث، لا يحتاج أن يستدل على حدوثه بمقارنة التغير أو الحوادث له، ووجوب تناهي الحوادث، والفرق بين الاستدلال بحدوثه، والاستدلال على حدوثه بيِّن، والذي في القرآن هو الأول لا الثاني»[(١)].

وهو أيضًا استدلال فطري بديهي لا يمكن لأحد جحده، فإن «الفطرة شاهدة بأن حدوث دار منقوشة بالنقوش العجيبة، مبنية على التركيبات اللطيفة الموافقة للحكم والمصلحة يستحيل إلا عند وجود نقاش عالم وبانٍ حكيم، ومعلوم أن آثار الحكمة في العالم العلوي والسفلي أكثر من آثار الحكمة في تلك الدار المختصرة، فلما شهدت الفطرة الأصلية بافتقار النقش إلى النقاش، والبناء إلى الباني، فبأن تشهد بافتقار كل هذا العالم إلى الفاعل المختار الحكيم كان أَوْلَى»[(٢)].

ومن الآيات التي تقرر هذا الدليل ما يلي:

١- قوله سبحانه: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥﴾ [الطور: ٣٥].
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا تقسيم حاصر يقول: أخلقوا من غير خالق خلقهم؟ فهذا ممتنع في بدائه العقول؟ أم هم خلقوا أنفسهم؟ فهذا أشد امتناعًا، فعلم أن لهم خالقًا خلقهم وهو ﷻ»[(٣)].

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢١٩). (٢) تفسير الرازي (١٩/ ٧١).
(٣) الرد على المنطقيين (ص٢٥٣)، وانظر: شرح العقيدة الأصفهانية (ص٥٢)، النبوات (١/ ٣١٢-٣١٣)، الصواعق المرسلة (٢/ ٤٩٣)، شرح الطحاوية (١/ ٧٦)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٤٩٤).

ويقول وحيد الدين خان: «إن الإنسان العادي والعالم العادي يؤمن على كل حال بأن له وجودًا، وبأن للكون أيضًا وجودًا... فإذا آمنَّا بوجود الكون فلا بد أن نؤمن بإله هذا الكون منطقيًّا؛ إذ لا معنى لأن نؤمن بالمخلوق ونرفض وجود خالقه، ونحن لا نعلم شيئًا جاء إلى الوجود من العدم دون أن يخلق، فكل شيء مهما بلغ حجمه عظم أو صغر جل أو دق وراءه علة، فكيف نؤمن بأن كونًا عظيمًا مثل كوننا جاء إلى الوجود ذاتيًّا دون خالق؟!»(١).

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، والمعنى: أفي وجوده شك؟!(٢)، وهو استفهام على سبيل الإنكار، فلما ذكر هذا المعنى أردفه بالدلالة الدالة على وجود الله، وهو قوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه(٣).

٣- قوله جل وعلا: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٨].

وقد أجاب موسى المنكرين بما يدل على إثبات الصانع سبحانه، فإن افتقار السماوات والأرض وما بينهما، والمشرق والمغرب، والموجودين وآثارهم، إلى الصانع، واستقرار ذلك في فطرهم أمر لا يمكن إنكاره إلا عنادًا.

---

(١) الإسلام يتحدى (ص٥٤)، وانظر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، نديم الجسر (ص١٢٧-١٢٨).

(٢) وهو أحد القولين في تفسير الآية، **والثاني**: أفي إلهيته واستحقاقه للعبادة وحده شك؟! انظر: (تفسير ابن كثير ٤/ ٤٨٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٢).

وذكر موسى عليه السلام السماوات والأرض، والليل والنهار، والأولين والآخرين، فذكر الأعلى والأسفل، والمتيامن والمتياسر، والمتقدم والمتأخر، وهذه هي الجهات الست للإنسان، وذكر التقدم والتأخر بالزمان، بعد أن ذكر التقدم والتأخر بالمكان، فإن المكان دخل في السماوات والأرض، والمشرق والمغرب، وذكر موسى خلق الإنسان، بعد أن ذكر الخلق العام[(١)].

وهذا الدليل (دليل الخلق) من أقوى الأدلة بعد دليل الفطرة؛ لأنه دليل ظاهر مشاهد يدركه الأعرابي الذي لم يتعلم العلوم ولم يعرف الأدلة ووجوه الاستدلال، فقد قيل لبعض الأعراب: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله، إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟![(٢)].

كما يدركه الصبي الصغير الذي يدرك بفطرته أن كل محدَث لا بد له من محدِث، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن المعلوم بالضرورة أن الحادث بعد عدمه لا بد له من محدِث، وهذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة حتى للصبيان؛ فإن الصبي لو ضربه ضارب وهو غافل لا يبصره لقال: من ضربني؟ فلو قيل له: لم يضربك أحد؛ لم يقبل عقله أن تكون الضربة حدثت من غير محدِث؛ بل يعلم أنه لا بد للحادث من محدِث؛ فإذا قيل: فلان ضربك؛ بكى حتى يُضرَب ضاربه؛ فكان في فطرته الإقرار بالصانع وبالشرع الذي مبناه على العدل»[(٣)].

ويحكى في هذا الباب عن الإمام أبي حنيفة[(٤)] أن قومًا من الملاحدة[(٥)]

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ٢٧٤). (٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٥٨-٣٥٩).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٣٥)، تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧).

(٥) ورد في شرح الطحاوية (١/ ٣٥) أن قومًا من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد=

سألوه: «ما الدلالة على وجود الصانع؟ فقال لهم: دعوني فخاطري مشغول بأمر غريب. قالوا: ما هو؟ قال: بلغني أن في دجلة سفينة عظيمة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة وهي ذاهبة وراجعة من غير أحد يحركها ولا يقوم عليها. فقالوا له: أمجنون أنت؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: أهذا يصدِّقه عاقل؟! فقال: فكيف صَدَّقَتْ عقولُكم أن هذا العالَم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة، وهذا الفلك الدوار السيار يجري، وتحدث هذه الحوادث بغير محدِث، وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك؟! فرجعوا على أنفسهم بالملام وهكذا إذ قيل: فهذه السفينة أثبتت نفسها في الساحل بغير موثق أوثقها ولا رابط ربطها، كذبت العقول بذلك، فهكذا إذا قيل: إن الحوادث تبقى وتدوم بغير مبق يبقيها، ولا ممسك يمسكها»[(١)].

الثاني: دليل الإحكام والإتقان، وسماه ابن رشد (دليل العناية)[(٢)]، وسماه الجويني (دليل التخصيص)[(٣)]، ويسمى (دليل التسوية)، وهي تسمية جاء بها القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ [الأعلى: ١-٢]، **والمراد به:** أن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يبهر العقول، ولا يمكن للعقل إلا أن يحكم بأنها من خالق قادر حكيم.

ويقوم دليل الإحكام والإتقان على مقدمتين:

المقدمة الأولى: هذا الكون بلغ الغاية في الإحكام والإتقان.

المقدمة الثانية: أن هذا الإحكام والإتقان يستدعي بالضرورة وجود مبدع أحكم هذا الكون وأتقنه[(٤)].

= الربوبية، وهذا موضع نظر، بل هو تصحيف؛ لأن أهل الكلام ليسوا من المنكرين لوجود الله تعالى، بل الصواب -كما جاء عند ابن تيمية- أنهم قوم من الملاحدة.

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٢٦-١٢٧).

(٢) انظر: مناهج الأدلة، ابن رشد (ص١٥١-١٥٢).

(٣) انظر: الإرشاد (ص٢٨).

(٤) انظر: شموع النهار (ص١٧٤).

والنتيجة: أن هذا الإحكام والإتقان الذي بلغ الغاية في الكون لا بد أن يكون من فعل إله حكيم خبير.

وقد أرشد القرآن إلى هذا الدليل في آيات كثيرة؛ كقوله سبحانه: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ [النمل: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ [السجدة: ٧]، وقوله جل وعلا: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ [الملك: ٣]، وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾ [التين: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ [الطارق: ٥].

كما دعا الله جل وعلا الإنسان إلى التأمل في نفسه، كما في قوله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٦-٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

كما يأتي البيان القرآني لبيان هذه الدلالات في بعض المخلوقات، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ۝٧٢ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ۝٧٣﴾ [يس: ٧١ - ٧٣]، ويقول جل وعلا: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ۝٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ۝٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٢﴾ [عبس: ٢٤-٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ۝١٩﴾ [الحجر: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقال تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ [الرحمن: ٥]، قال ابن كثير:

«أي: يجريان متعاقبين بحساب مقنَّن لا يختلف ولا يضطرب»[(١)].

نماذج من أقوال الأئمة في تقرير هذا الدليل:

❊ تحدث علماؤنا عن هذا الدليل، وأكثر من استدل بشواهده الإمام ابن القيم، في كتابه (مفتاح دار السعادة)، وقال: «وهذا كثير في القرآن؛ يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره؛ إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه؛ وهو غافل عنه، معرض عن التفكر فيه»[(٢)].

❊ ومن الشواهد أيضًا ما حكاه الرازي عن الإمام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك، فاستدل باختلاف اللغات والأصوات والنغمات[(٣)].

❊ وحكي عن الشافعي أنه سئل عن وجود الصانع؟ فقال: هذا ورق التوت، طعمه واحد، تأكله الدود فيخرج منه الإبْريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر فتلقيه بعرًا ورَوْثًا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك، وهي شيء واحد[(٤)].

❊ وعن الإمام أحمد أنه سئل عن ذلك فقال: هاهنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره، فخرج منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك: البيضة إذا خرجت منها الدجاجة[(٥)].

❊ وقال الخطابي: «إنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك واعتبرتها بفكرك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٨٩).
(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٥٣٩).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٧-١٩٨).

منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهيأة للمطاعم والملابس والمشارب، وصنوف الحيوان مُسخرة للمراكب، مستعملة في المرافق، والإنسان كالمُملك البيت المُخَوَّل ما فيه، وفي هذا كله دلالة واضحة على أن العالم مخلوق، بتدبير وتقدير ونظام، وأن له صانعًا حكيمًا، تام القدرة بالغ الحكمة، وقد نبه كتاب الله ﷻ على هذا النوع من الاستدلال، فقال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢١] إشارة إلى أثارة الصنعة الموجودة في الإنسان»[١].

❁ وقال ابن رشد: «جميع الموجودات التي هاهنا موافقة لوجود الإنسان، فأما كونها موافقة لوجود الإنسان، فيحصل اليقين بذلك باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذلك موافقة الأزمنة الأربعة له، والمكان الذي هو فيه أيضًا وهو الأرض، وكذلك تظهر أيضًا موافقة كثير من الحيوان له، والنبات والجماد، وجزئيات كثيرة، مثل: الأمطار، والأنهار، والبحار، وبالجملة الأرض والماء والنار والهواء، وكذلك أيضًا تظهر العناية في أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان، أعني: كونها موافقة لحياته ووجوده. وبالجملة فمعرفة ذلك، أعني: منافع الموجودات داخلة في هذه الجنس؛ ولذلك وجب على من أراد أن يعرف الله تعالى المعرفة التامة أن يفحص عن منافع جميع الموجودات»[٢].

❁ ومن عجيب الأمثلة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في خصائص المخلوقات وما فيها من الإحكام قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المتكلمون كلهم متفقون على إثبات الحكمة في مخلوقاته... وذلك مثلما في خلق الإنسان، وأدنى ذلك أن العين، والفم، والأذن فيها مياه ورطوبة؛ فماء العين مالح، وماء الفم عذب، وماء الأذن مر؛ فإن العين شحمة، والملوحة تحفظها أن تذوب، وهذه أيضًا حكمة تمليح ماء البحر؛ فإن له سببًا وحكمة؛ فسببه سبوخة أرضه

(١) بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية (١/ ٥٠٦).
(٢) مناهج الأدلة (ص١٥٠-١٥١).

وملوحتها فهي توجب ملوحة مائه، وحكمتها أنها تمنع نتن الماء بما يموت فيه من الحيتان العظيمة، فإنه لولا ملوحة مائه لأنتن، ولو أنتن لفسد الهواء لملاقاته له، فهلك الناس بفساده، وإذا وقع أحيانًا، قُتِل خلق كثير فإنه يفسد الهواء حتى يموت بسبب ذلك خلق كثير، وماء الأذن مر؛ ليمنع دخول الهوام إلى الأذن، وماء الفم عذب؛ ليطيب به ما يأكله، فلو جعل الله ماء الفم مرًّا لفسد الطعام على أكلته، ولو جعل ماء الأذن عذبًا لدخل الذباب في الدماغ ونظائر هذا كثيرة، فلا يجوز أن يفعل بخلاف ذلك؛ مثل أن يجعل العينين في القدمين، ويجعل الوجه خشنًا غليظًا كالقدمين؛ فإنه كان يفسد مصلحة النظر والمشي، بل من الحكمة أنه جعل العينين في أعلى البدن، في مقدمه ليرى بها ما أمامه، فيدري أين يمشي، وجعل الرجل خشنة تصبر على ما تلاقيه من التراب وغيره، والعين لطيفة يفسدها أدنى شيء، فجعل لها أجفانًا تغطيها وأهدابًا»(١).

يقول والاس: «إن هذا الكون الواسع والمعقد كما نعرفه حولنا قد تطلب في وجوده متطلبات كاملة؛ وذلك من أجل إنتاج عالَم متكيف بدقة في كامل تفاصيله لتطوير حياة منتظمة يبلغ ذروتها الإنسان»(٢).

الثالث: دليل الأنفس: وهو وإن كان داخلًا ضمن الدليل السابق (الخلق والإيجاد) إلا أن تخصيصه بالذكر لحض الله تعالى على النظر إليه والتدبر فيه، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعيَّة؛ دلَّ القرآن عليها، وهدى النَّاس إليها، وبيَّنها وأرشد إليها، وهي عقليَّة؛ فإنَّ نفس

(١) النبوات (٢/ ٩٢٢-٩٢٣).
(٢) الصنع المتقن (ص١٢٥).

كون الإنسان حادثًا بعد أن لم يكن، ومولودًا ومخلوقًا من نطفة، ثمَّ من علقة، هذا لم يُعلم بمجرَّد خبر الرسول، بل هذا يعلمه النَّاس كلهم بعقولهم؛ سواء أخبر به الرسول، أو لم يُخبر، لكنَّ الرسول أمر أن يستدلَّ به، ودلَّ به، وبيَّنه، واحتجَّ به؛ فهو دليل شرعيٌّ؛ لأنَّ الشارع استدلَّ به، وأمر أن يُستدلَّ به؛ وهو عقليٌّ؛ لأنه بالعقل تُعلم صحته»[(١)].

وقال الإمام ابن أبي العز: «وأقرب ما ينظر فيه المرء أمر نفسه لما كان نطفة، وقد خرج من بين الصلب والترائب، والترائب: عظام الصدر، ثم صارت تلك النطفة في قرار مكين، في ظلمات ثلاث، وانقطع عنها تدبير الأبوين وسائر الخلائق... ومحال توهم عمل الطبائع فيها؛ لأنها موات عاجزة، ولا توصف بحياة، ولن يتأتى من الموات فعل وتدبير، فإذا تفكر في ذلك وانتقال هذه النطفة من حال إلى حال، علم بذلك توحيد الربوبية، فانتقل منه إلى توحيد الإلهية؛ فإنه إذا علم بالعقل أن له ربًّا أوجده، كيف يليق به أن يعبد غيره؟! وكلما تفكر وتدبر ازداد يقينًا وتوحيدًا»[(٢)].

الرابع: دلالة التحول والانتقال من حال إلى حال: وهو وإن كان داخلًا ضمن دلالة الأنفس إلا أن تخصيصه بالذكر لأهميته، قال الإمام الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن سأل سائل: ما الدليل على أن للخلق صانعًا صنعه ومدبرًا دبره؟ قيل: الدليل على ذلك أن الإنسان الذي هو في غاية الكمال والتمام كان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم لحمًا ودمًا، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال؛ لأنَّا نراه في حال كمال قوته، وتمام عقله، لا يقدر أن يُحدِث لنفسه سمعًا ولا بصرًا، ولا أن يخلق لنفسه جارحة، فدل ذلك على أنه في حال ضعفه ونقصانه عن فعل ذلك أعجز؛ لأن ما قدر عليه في حال النقصان فهو في الكمال عليه أقدر، وما عجز في حال الكمال فهو في حال النقصان عنه أعجز»[(٣)].

---

(١) النبوات لابن تيمية (١/ ٢٩٢-٢٩٣). (٢) شرح الطحاوية (١/ ٣١٦-٣١٧).

(٣) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع (ص١٧-١٨).

الخامس: دليل الآفاق: وهي الآيات الكونية المبثوثة في السماوات والأرض، وهي وإن كانت داخلة أيضًا في دلالة الخلق إلا أن القرآن أكد على أهمية النظر والتأمل فيها، والاستدلال بها على وجود الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧ - ٤٠]، وغيرها كثير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقًا على كلام الأشعري: «هذا الدليل مبني على مقدمتين: على تحول الإنسان من حال إلى حال، وأن ذلك لا بد له من صانع حوله من حال إلى حال، وكلتا المقدمتين ضرورية»[١].

السادس: دليل الهداية: وهو أن الله تعالى هدى كل مخلوق إلى ما فيه صلاحه وبقاؤه، كما قال تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، قال السعدي: «﴿ثُمَّ هَدَى﴾ كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات، فكل مخلوق تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل، ما يتمكن به على ذلك»[٢]، وقال الإمام ابن القيم: «الهداية العامة هي قرينة الخلق في الدلالة على الرب تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٧٣).

(٢) تفسير السعدي (ص٥٠٧)، وانظر: زاد المسير، ابن الجوزي (٥/ ٢٩١).

وتوحيده»[١].

الدليل الثالث: آيات الأنبياء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المعجزة -التي هي فعل خارق للعادة- تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث، بل هي أخص من ذلك؛ لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة»[٢]، «وهذه طريقة السلف من أئمة المسلمين في الاستدلال على معرفة الصانع، وحدوث العالم، لأنه إذا ثبتت نبوته بقيام المعجِز وجب تصديقه على ما أنبأهم عنه من الغيوب، ودعاهم إليه من أمر وحدانية الله تعالى وصفاته وكلامه»[٣].

وقد استدل بها كليم الله موسى عليه السلام لإثبات وجود الله تعالى ردًّا على فرعون، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٣٣].

«فانقلاب العصا حَيَّة أمرٌ يدل على ثبوت صانع قدير عليم حكيم، أعظم من دلالة ما أعيد من خلق الإنسان من نطفة، فإذا كان ذاك يدل بنفسه على إثبات الصانع، فهذا أولى»[٤].

قال الإمام البيهقي: «وقد سلك بعض مشايخنا -رحمنا الله وإياهم- في إثبات الصانع، وحدوث العالم طريق الاستدلال بمقدمات النبوة، ومعجزات الرسالة؛ لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها، ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلًا في وجوب

(١) شفاء العليل (ص٧٨).
(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٧٩).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٥٢).
(٤) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٤٤).

قبول ما دعا إليه النبي ﷺ، وعلى هذا الوجه كان إيمان أكثر المستجيبين للرسل -صلوات الله عليهم أجمعين»[١].

وقال الإمام ابن القيم: «وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلِّها على الصانع وصفاته وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل ودلالتها ضرورية بنفسها؛ ولهذا يسميها الله سبحانه آياتٍ بيناتٍ وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإن انقلاب عصا تقلها اليد ثعبانًا عظيمًا يبتلع ما يمر به ثم يعود عصا كما كانت من أدل الدليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكليات والجزئيات وعلى رسالة الرسول وعلى المبدأ والمعاد»[٢].

ثم قال: «وكذلك سائر آيات الأنبياء فإخراج ناقة عظيمة من صخرة تمخضت بها، ثم انصدعت عنها، والناس حولها ينظرون وكذلك تصوير طائر من طين ثم ينفخ فيه النبي فينقلب طائرا ذا لحم ودم وريش وأجنحة يطير بمشهد من الناس، وكذلك إيماء الرسول إلى القمر فينشق نصفين بحيث يراه الحاضر والغائب فيخبر به كما رآه الحاضرون، وأمثال ذلك مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر»[٣].

وقال العلامة ابن سعدي: «ومن براهين وجود الله تعالى ما يجريه الله على أيدي أنبيائه من خوارق الآيات والمعجزات والبراهين القاطعات، وما يكرمهم به في الدنيا وينصرهم، ويجعل لهم العواقب الحميدة، ويخذل أعداءهم ويعذبهم بأصناف العذاب»[٤].

(١) الاعتقاد، للبيهقي (ص٤٥-٤٦).
(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ١١٩٧).
(٣) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ١١٩٨).
(٤) البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله (ص٢٦).

ولذلك فإن معجزة نبينا محمد ﷺ هو القرآن العظيم باقية متجددة، يراها الناس في كل عَصْرٍ ومِصْرٍ، وهو معجز بنظمه ومعانيه وبلاغته وشريعته، ووجوه إعجازه لا تنتهي، وكل يوم يكتشف أهل العلم منها الجديد[(١)]، وكلها تدل على وجود الله؛ ولذلك جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[(٢)][(٣)].

الدليل الرابع: إجابة الدعوات:

من الدلائل الظاهرة على وجود الله تعالى أن الله سبحانه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويكشف السوء إذا صدق الداعي في اللجوء إلى الله وأتى بشروط الإجابة[(٤)].

قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٧٧﴾ [الأنبياء: ٧٦، ٧٧]، وقال سبحانه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، والآيات في هذا كثيرة، والأحاديث في استجابة الله لدعاء رسوله ﷺ مدونة في كتب السنة ودلائل النبوة، وشهرتها تغني عن الاستشهاد بها، وكذلك ما وقع للصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وكل مؤمن يجد أثر هذا الدليل في حياته، وكلٌّ له تجربته الخاصة في هذا السبيل.

---

(١) ينظر: موسوعة النبأ في إعجاز القرآن العلمي.

(٢) أخرجه البخاري (ح٤٩٨١)، ومسلم (ح١٥٢).

(٣) وسيأتي الحديث عن دلائل النبوة في مبحث الإيمان بالرسل ضمن الجزء الثالث من هذه السلسلة.

(٤) انظر التفصيل في: الجواب الكافي، لابن القيم (ص١٦) وما بعدها.

بل قد يجيب الله سبحانه دعوة المضطر والمظلوم إذا أخلص في اللجوء إليه حتى من غير المسلمين، فقد استجاب الله للمشركين حين دعوا الله مخلصين له الدين: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: «... **واتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»[١].

وقال العلامة ابن سعدي: «ومن براهين ربوبيته ووحدانيته إجابته للدعوات في كل الأوقات، فلا يحصي الخلق ما يعطيه السائلين، وما يجيب به أدعية الداعين، من بر وفاجر، ومسلم وكافر، تحصل للعباد المطالب الكثيرة ولا يعرفون لها شيئًا من الأسباب سوى الدعاء، والطمع في فضل الله والرجاء لرحمته، هذا برهان مشاهد في كل الأوقات لا ينكره إلا مباهت جاحد»[٢].

الدليل الخامس: أدلة العلم الحديث:

كشف العلم الحديث من آيات الله في الأنفس والآفاق أمورًا لم تعرف من قبلُ، ومن نَظَر في كتاب «الله يتجلى في عصر العلم» وقد كتبه ثلاثون من علماء الطبيعة والفلك ممن انتهت إليهم الرياسة في هذه العلوم، ومثله كتاب «العلم يدعو إلى الإيمان» يجد أن العالم الحقيقي لا يكون إلا مؤمنًا، والعامي لا يكون إلا مؤمنًا، وأن الإلحاد والكفر إنما يكون من أنصاف العلماء وأرباع العلماء ممن تعلم قليلًا من العلم، فخسر بذلك الفطرة المؤمنة، ولم يصل إلى العلم الذي يدعو إلى الإيمان[٣].

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٤٩٦)، ومسلم (ح١٩).

(٢) البراهين العقلية على وحدانية الرب (ص٢٥).

(٣) راجع للتوسع في هذا الموضوع: تعريف عام بدين الإسلام للشيخ علي الطنطاوي، إيماننا الحق بين النظر والدليل، الوجود الحق لفهمي هويدي، وغيرها.

ومن هذه الأدلة التي أثبتها العلم الحديث ما يلي:

أولًا: حدوث العالم:

أثبت العلم الحديث ما قرره علماؤنا من حدوث العالم بعد أن لم يكن؛ حتى أصبح ذلك من اليقينيات التي يقرُّ بها الملاحدة[(١)]، وقد «أثبت العلم أن الكون ليس أزليًّا، وإنما له نقطة بداية محددة بعكس ما كان يتصور، العجيب: أن تصور أزلية الكون لم يكن عليه دليل علمي واحد، وإنما كان تصورًا فلسفيًّا محضًا، وظل متوارثًا هكذا إلى أن تم التخلص منه تدريجيًّا منذ بداية القرن التاسع عشر»[(٢)]، يقول العالم الفيزيائي ليون برويون: «تشير كل الدلائل إذًا إلى كون له عمر زمني محدود أتى للوجود في زمن محدد»[(٣)]، ويقول د. عمرو شريف: «كان هذا الاعتراض (الكون القديم ولا بداية له) في الماضي أقوى الحجج ضد البرهان الكوني؛ حتى أثبت العلم وأقر الملاحدة بأن لكوننا بداية»[(٤)]، ويقول إدوارد لوثر كيسل (عالم الحيوان الأمريكي): «أثبتت البحوث العلمية -دون قصد- أن لهذا الكون بداية، فأثبتت تلقائيًّا وجود الإله؛ لأن كل شيء ذي بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته، ولا بد أن يحتاج إلى المحرك الأول، الخالق الإله»[(٥)].

وقد أثبتت ذلك الاكتشافات العلمية الحديثة، ومن أشهر هذه الاكتشافات العلمية وأكثرها دلالة على حدوث الكون نظرية الانفجار الكبير[(٦)]، حيث «يعتقد العلماء بأن الكون بدأ بانفجار عظيم big bang وهو ليس حدثًا

---

(١) انظر اعترافات بعض الملاحدة لحدوث الكون في: براهين وجود الله، د. سامي العامري (ص٤٠٠) وما بعدها.

(٢) الصنع المتقن، د. مصطفى قديح (ص٣٣).
(٣) الصنع المتقن (ص٣٦-٣٧).

(٤) رحلة عقل (ص١٣٢).
(٥) الإسلام يتحدى (ص٥٥).

(٦) أول من أطلق مصطلح (الانفجار الكبير) هو عالم الفلك الشهير فريد هويل في أحد حواراته في إذاعة بي بي سي على سبيل السخرية من هذه النظرية، فاشتهر إطلاق هذا الاسم عليها. انظر: شموع النهار، عبد الله العجيري (ص١٢٧).

عشوائيًّا -كما نظن نحن بأن كل انفجار يشتت المادة، ويعتبرها دون نظام- ولكن الانفجار الكبير عمل عكس هذا بشكل محفوف بالأسرار، فقد عمل على تجميع المادة معًا لتشكل المجرات، فلقد أضافت نظرية الانفجار الكبير أدلة أخرى تثبت أن الكون خلق بتقدير دقيق ونظام رائع، فانفجار بهذه القوة لا يحتمل أن ينتج عنه أي نظام أو إتقان، ولكننا نجد العلماء يخبروننا أن الانفجار قد صاحبه دقة بالغة وإحكام رائع؛ لينتج لنا هذا الكون البديع»[(١)].

وقد «أصبح (الانفجار العظيم) هو النظرية السائدة في الوسط العلمي اليوم والأكثر قبولًا حول نشأة الكون»[(٢)]. يقول الفيزيائي الشهير ستيفن هوكينج: «تقريبًا الجميع اليوم يعتقد بأن الكون بل والزمن نفسه له بداية مع الانفجار الكبير»[(٣)]، ويقول عالم الكونيات اللاأدري ألكسندر فلينكين: «جميع الأدلة التي لدينا تخبرنا بأن الكون له بداية»[(٤)].

ولذا يقول أنتوني فلو: «إن على الملحد أن يشعر بالحرج من الإجماع العلمي الحديث على نموذج الانفجار العظيم؛ إذ يبدو أن علماء الكونيات يقدمون الدليل العلمي على وجود بداية للكون»[(٥)].

ثانيًا: برهان التصميم أو الصنع المتقن:

يقول أنتوني فلو: «لا شك أن من أشهر البراهين وأبسطها، وأدلها على وجود الإله الخالق، هو ما يعرف ببرهان التصميم (Design Argument)، أو البرهان الكوني (Cosmic Argument) ويعني ببساطة: أن دقة بناء الكون وما عليه الطبيعة من نظام وانتظام، يشير إلى وجود... إله حكيم خالق، ولا شك أن ما كشفه العلم الحديث من معلومات هائلة في مجال قوانين الطبيعة ونشأة الكون، وكذلك نشأة الحياة وتنوع الكائنات الحية، قد

---

(١) الصنع المتقن (ص٢٣٦).
(٢) الصنع المتقن (ص٥٩).
(٣) شموع النهار، عبد الله العجيري (ص١١٣).
(٤) شموع النهار (ص١١٣).
(٥) الصنع المتقن (ص٦٧).

أمدَّ هذا البرهان بالكثير من الأدلة»[١].

ويقول جون وليام كلوتس (أستاذ علم الأحياء والفسيولوجيا): «إن هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون قد نشأ بمحض المصادفة، إنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر، والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى، ولا شك أن العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة، وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن إيماننا بوجوده»[٢].

ويقول فرانك ألن (عالم الطبيعة البيولوجية): «لا بد لأصل الكون من خالق أزلي ليس له بداية، عليم محيط بكل شيء، قوي ليس لقدرته حدود، ولا بد أن يكون هذا الكون من صنع يديه، إن ملاءمة الأرض للحياة تتخذ صورًا عديدة لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية، فالأرض كرة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها، فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار، وهي تسبح حول الشمس مرة في كل عام، فيكون في ذلك تتابع الفصول الذي يؤدي بدوره إلى زيادة الجزء الصالح للسكنى من سطح كوكبنا، ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية أكثر مما لو كانت الأرض ساكنة»[٣].

ويقول ميريت إستانلي (أختصاصي في الفيزياء): «نستطيع بطريقة الاستدلال والقياس بقدرة الإنسان وذكائه في عالم يفيض بالأمور العقلية أن نصل إلى وجوب وجود قوة مسيطرة مدبرة، تدبر هذا الكون وتدبر أموره، وتعيننا على فهم ما يغمض علينا من أمور منحنيات التوزيع، ودورة الماء في الطبيعة، ودورة ثاني أوكسيد الكربون فيها، وعمليات التكاثر العجيبة، وعمليات التمثيل الضوئي ذات الأهمية البالغة في اختزان الطاقة الشمسية، وما لها من أهمية بالغة في حياة الكائنات الحية، وما لا يحصى من عجائب

(١) هناك إله، أنتوني فلو، ضمن كتاب رحلة عقل، عمرو شريف (ص٨٣).
(٢) الله يتجلى في عصر العلم (ص٥٢).
(٣) الله يتجلى في عصر العلم (ص١٢).

من هذا الكون؛ إذ كيف يتسنى لنا أن نفسر هذه العمليات المعقدة المنظمة تفسيرًا يقوم على أساس المصادفة والتخبط العشوائي؟! وكيف نستطيع أن نفسر هذا الانتظام في ظواهر الكون والعلاقات السببية، والتكامل، والغرضية، والتوافق، والتوازن، التي تنتظم سائر الظواهر وتمتد آثارها من عصر إلى عصر؟! كيف يعمل هذا الكون دون أن يكون له خالق مدبر هو الذي خلقه وأبدعه ودبر سائر أموره؟ إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه، ويدل على قدرته وعظمته»[(١)].

يقول كريسي موريسون: «إن الشمس -التي هي مصدر كل حياة- تبلغ درجة حرارة سطحها (١٢,٠٠٠) درجة فهرنهايت، وكرتنا الأرضية بعيدة عنها إلى حدٍّ يكفي لأن تمدنا هذه النار الهائلة بالدفء الكافي، لا بأكثر منه، وتلك المسافة ثابتة بشكل عجيب، وكان تغيرها في خلال ملايين السنين من القلة بحيث أمكن استمرار الحياة كما عرفناها، ولو أنَّ درجة الحرارة على الكرة الأرضية قد ازدادت بمعدل خمسين درجة في سنة واحدة، فإن كل نبت يموت، ويموت معه الإنسان، حرقًا أو تجمُّدًا»[(٢)]، كما أثبت «العلم الحديث أن بعد الشمس والقمر عن الأرض قد وضع في المدارات المناسبة للحياة على وجه الأرض؛ حيث تم احتساب قوة حرارة الشمس وسرعة دورانها وكذلك القمر وضع في منازله التي تناسب الكرة الأرضية، فلو اقتربت الشمس قليلًا لانصهرت الأرض، ولو ابتعدت قليلًا لتجمدت الكرة الأرضية وما عليها، ولو ابتعد القمر قليلًا لتوقف المد والجزر، ولو اقترب قليلًا لزادت جاذبيته التي تبلغ (سدس جاذبية الأرض)، ولأصبح المد قادرًا على إحداث طوفان يغرق الكرة الأرضية»[(٣)].

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم (ص٢٥-٢٦).

(٢) العلم يدعو إلى الإيمان (ص٣٢).

(٣) موسوعة النبأ في إعجاز القرآن العلمي (ص٣١).

۞ الأدلة على الأصل الثاني: إفراد الله تعالى بأفعاله.

دل على وحدانية الرب تعالى وانفراده بالخلق والتدبير والملك أدلة كثيرة، منها:

قوله جل وعلا: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١]، قال الإمام ابن القيم في وجه تقرير هذه الآية لوحدانية الله في الخلق والتدبير: «فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين؛ فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلًا يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله لكان له خلق وفعل؛ وحينئذ فلا يرضى شركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره وتفرده بالإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بممالكهم إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه، فلا بد من أحد أمور ثلاثة: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض، وأما أن يكونوا كلهم تحت قهر إله واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم ولا يمتنعون من حكمه، فيكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون، وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره»[١].

دليل التمانع:

ومن أشهر الأدلة العقلية في إثبات الوحدانية في الربوبية عند المتكلمين ما يسمونه بـ(دليل التمانع)، وتقرير هذا الدليل عندهم على النحو التالي: لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما، مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما، أو لا

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٨٣-٨٤).

يحصل مرادهما، أو يحصل مراد واحد منهما.

فالأول ممتنع؛ لأنه جمع بين النقيضين، والثاني ممتنع؛ لأنه سلب للنقيضين، ثم هو يقتضي عجز الاثنين، والعاجز لا يصلح للألوهية، والثالث -وهو إذا حصل مراد أحدهما دون الآخر- كان هذا هو الإله القادر، والآخر لا يصلح للألوهية لعجزه(١).

وزعموا أن هذا الدليل العقلي هو معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

نقد هذا الدليل:

١- دليل التمانع الذي قرره المتكلمون دليل عقلي صحيح فيما أراد المتكلمون إثباته وهو نفي الشريك عن الله في الخلق والإيجاد، لكنه قاصر عن إثبات نفي الشريك عن الله في استحقاق العبادة وهو مقصود القرآن، يقول ابن تيمية: «الذي ذكره النظار عن المتكلمين الذي سموه دليل التمانع برهان تام على مقصودهم، وهو امتناع صدور العالم عن اثنين، وإن كان هذا هو توحيد الربوبية، والقرآن يبين توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية»(٢).

٢- أننا لا نحتاج إليه؛ لأنه «ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين، مع أن كثيرًا من أهل الكلام والنظر والفلسفة تعبوا في إثبات هذا المطلوب وتقريره. ومنهم من اعترف بالعجز عن تقرير هذا بالعقل، وزعم أنه يتلقى من السمع»(٣).

٣- قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢] لا يدل على

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص٢٧٨)، نهاية الأقدام، للشهرستاني (ص٥٧)، أبكار الأفكار، للآمدي (٢/ ٩٧)، شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني (٢/ ٦٢-٦٣).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٥٤)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٣/ ٣١٢).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٨).

التمانع الذي ذكروه من أي وجه، وإنما سيقت الآية لتقرير وحدانية الله تعالى في استحقاق العبادة لا في الخلق؛ لأن المشركين الذين نزلت عليهم هذه الآية لم يعتقدوا أن هناك خالقًا مع الله، بل كانوا مقرين بأن خالق العالم ومدبره هو الله وحده، قال ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١]، وإنما كان شركهم بعبادة غير الله من الأنبياء والملائكة والصالحين والكواكب والأوثان؛ ولهذا كانت دعوة الرسل لأقوامهم إلى عبادة الله وحده[١].

٤- أنه سبحانه أخبر في الآية أنه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ﴾، ولم يقل: أرباب[٢]، ومن المعلوم لغة وشرعًا أن مدلول لفظ (الرب) غير مدلول لفظ (الإله)، فلفظ (الرب) يدل على التربية، ومن معاني التربية: الخلق والإيجاد والتدبير، ولفظ (الإله) يدل على استحقاق العبادة؛ لأن الإله هو المألوه؛ أي: المعبود[٣]، قال ابن تيمية: «ومقصود القرآن توحيد الإلهية، وهو مستلزم لما ذكروه من غير عكس»[٤].

٥- وأيضًا فإنه سبحانه قال في الآية: ﴿لَفَسَدَتَا﴾، وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجدا، ومعناه: لو كان فيهما - وهما موجودتان - آلهة سواه لفسدتا[٥]، فالنتيجة التي انتهى إليها دليل التمانع منع وجود مخلوق إذا كان هناك خالق مع الله، والآية عبرت بالفساد، وهو لا يكون إلا بعد الوجود.

يوضح ذلك ابن تيمية قائلًا: «هذه الآية ليس المقصود بها ما يقوله من

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٤٤ - ٣٤٥).
(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٤٠).
(٣) انظر: لسان العرب (٢/ ١١٤)، (١٧/ ١٥٤٦).
(٤) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٦٩).
(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٤٠).

يقوله من أهل الكلام من ذكر دليل التمانع الدال على وحدانية الرب تعالى، فإن التمانع يمنع وجود المفعول، لا يوجب فساده بعد وجوده»[(١)]، ويقول أيضًا: «الفساد ليس هو امتناع الوجود الذي يقدَّر عند تمانع الفاعلَين إذا أراد أحدهما شيئًا وأراد الآخر نقيضه، ولا هو امتناع الفعل الذي يقدر عن كون المفعول الواحد لفاعلين، فإن هذا كله يقتضي عدم الوجود»[(٢)].

والحاصل أن استدلال المتكلمين بالآية على التمانع باطل من وجوه:

أولًا: أنه قال: ﴿ءَالِهَةٌ﴾، ولم يقل: أرباب.

وثانيًا: أنه قال: ﴿فِيهِمَآ﴾، وهذا يدل على وجودهما.

وثالثًا: أنه قال: ﴿لَفَسَدَتَا﴾، ولم يقل: لم توجدا.

رابعًا: واقع المشركين حيث يقرون بالربوبية وينكرون توحيد الألوهية.



(١) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية (٢/ ٨٥٦).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٧١).



المبحث الثالث

مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

من مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية ما يلي:

١- **إنكار وجود الرب جل وعلا**، ومن أشهر من عرف تظاهره بإنكار الرب تعالى قديمًا فرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وقد كان مستيقنًا في الباطن بربوبية الله تعالى، كما قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وأخبر الله تعالى عن حقيقة إلحاده وقومه، فقال سبحانه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤].

ومن أظهر من عرف تظاهره بإنكار وجود الرب حديثًا الشيوعيون الذين قالوا: (لا إله والحياة مادة)، وهو مكابرة للفطرة، وإلا فهم في الباطن مقرون بوجود الرب تعالى؛ ولذا تجدهم عند الشدائد والكروب يرجعون إلى ربهم، كما استفاضت الشواهد بهذا عن حال كثير من الملاحدة عند الشدائد، بل إن أعتى الملاحدة فرعون لما أدركه الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

٢- **الشرك في الربوبية**، ومعناه «إثبات فاعل مستقل غير الله»[١] في الملك أو

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٣٩٠).

الخلق أو الرزق أو التدبير، فمن نسب إلى غير الله تعالى شيئًا من ذلك فقد أشرك في ربوبيته، قال العلامة حافظ حكمي: «ضد توحيد الربوبية هو اعتقاد متصرف مع الله ﷻ في أي شيء من تدبير الكون؛ من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب والعظمة والكبرياء ونحو ذلك»[(١)].

وهناك طوائف في القديم والحديث عرف عنهم الشرك في الربوبية، لكن لم توجد طائفة على مدار التاريخ قالت بإثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا من مقالات الأولين والآخرين في الملل والنحل والآراء والديانات، فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل له في جميع الصفات»[(٢)].

ومن أشهر الطوائف التي عرف عنها شرك في توحيد الربوبية ما يلي:

١- **المجوس:** حيث «أثبتوا أصلين اثنين، مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور، والآخر: الظلمة، وبالفارسية: يزدان وأهرمن»[(٣)].

٢- **النصارى:** في قولهم بالتثليث، قال ابن أبي العز: «وأما النصارى القائلون بالتثليث، فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل متفقون على أن صانع العالم واحد، ويقولون: باسم الآب والابن وروح القدس إله واحد، وقولهم في التثليث متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول أفسد منه، ولهذا كانوا مضطربين في فهمه، وفي التعبير عنه، لا يكاد

---

(١) أعلام السنة المنشورة (ص٢٤) بتصرف يسير.

(٢) التدمرية (ص١٧٧-١٧٨)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٧، ٣٨).

(٣) الملل والنحل (٢/ ٣٧).

واحد منهم يعبر عنه بمعنى معقول، ولا يكاد اثنان يتفقان على معنى واحد، فإنهم يقولون: هو واحد بالذات، ثلاثة بالأقنوم! والأقانيم يفسرونها تارة بالخواص، وتارة بالصفات، وتارة بالأشخاص، وقد فطر الله العباد على فساد هذه الأقوال بعد التصور التام، وفي الجملة فهم لا يقولون بإثبات خالقين متماثلين»[(١)].

٣- **الفلاسفة الدهرية:** في قولهم بحركة الأفلاك وأنها تسعة، وأن التاسع -وهو الأطلس- يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله يحدث فيه ما يقدره في الأرض[(٢)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العقل الأول عند هؤلاء هو المبدع لكل ما سوى الله، والعقل الفعَّال عندهم هو المبدع لكل ما تحت فلك القمر، وأهل الملل يعلمون بالاضطرار من دين الرسل أنه ليس عندهم أحد غير الله يخلق جميع المبدعات»[(٣)].

٤- **كثير من مشركي العرب وغيرهم:** الذين قد يعتقدون في آلهتهم شيئًا من نفع أو ضر بدون أن يخلق الله ذلك[(٤)].

٥- **غلاة القدرية:** لقولهم: إن العبد يخلق فعله، فأثبتوا خالِقين مع الله[(٥)].

٦- **غلاة الصوفية:** في زعمهم بأن الأولياء ينفعون ويضرون ويتصرفون في الكون، أو اعتقادهم أنهم يملكون الدنيا والآخرة، كقول البوصيري في مدح الرسول ﷺ:

فإن من جودك الدنيا وضرَّتَها ومن علومك علمَ اللوح والقلم[(٦)]

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٧-٢٨).

(٢) انظر تفصيل قولهم ونقده في: الفتاوى (٦/ ٥٤٦) وما بعدها.

(٣) الصفدية (١/ ١٥٦).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٣٨).

(٥) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٣٨).

(٦) انظر: الرد على البردة، لعبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين (ص١٢).

وكذلك في اعتقادهم بالحلول(١) ووحدة الوجود(٢)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القائلون بوحدة الوجود حقيقة قولهم هو قول ملاحدة الدهرية الطبيعية الذين يقولون: ما ثمَّ موجود إلا هذا العالم المشهود»(٣).

٧- **الروافض الإثنا عشرية الملقبون في عصرنا بالشيعة:** ومن مقالاتهم: أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها كيف شاء، وجاء في أهم كتاب معتمد لديهم باب بعنوان: «باب أن الأرض كلها للإمام»(٤)، ومما جاء فيه: «أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله...»(٥)، فأشركوا في الربوبية، والله تعالى يقول: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ۝٢٥﴾ [النجم: ٢٥].



(١) **الحلول هو:** اعتقاد «أن الله بذاته في كل مكان» (مجموع الفتاوى ٢/ ١٧٢)، وانظر: التعريفات، للجرجاني (ص١٢٥).

(٢) **الاتحاد هو:** اعتقاد «أن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى، ليس وجودها غيره، ولا شيء سواه البتة» (مجموع الفتاوى ٢/ ١٤٠)، وانظر: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، د. أحمد القصير (ص٢٨).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ١٦٣).

(٤) انظر: أصول الكافي (١/ ٤٠٧-٤١٠).

(٥) أصول الكافي (١/ ٤٠٩).

وانظر من مصادرهم: أصول الكافي (١/ ٤٤٠)، الاختصاص (ص٣٢٧)، بحار الأنوار (١/ ٤٤١-٤٤٢)، (٢٧/ ٣٣)، البرهان (٢/ ٤٨٢).

وانظر أيضًا: بحار الأنوار باب جوامع معجزاته (يعنون: عليًّا) (٤٢/ ١٧-٥٠)، وفيه ١٧ رواية، وباب ما ورد من غرائب معجزاته (٤٢/ ٥٠-٥٦)، وحتى قبره جعلوا له معجزات لا يقدر عليها إلا رب العباد، وعقد لهذا صاحب البحار بابًا بعنوان باب (ما ظهر عند الضريح المقدس من المعجزات والكرامات) (٤٢/ ٣١١-٣٣٩).



المبحث الرابع

الإلحاد

المراد به وصوره القديمة والمعاصرة، والرد عليه إجمالًا

أولًا: المراد بالإلحاد:

الإلحاد لغة هو الميل، قال الزبيدي: «أصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء»(١).

أما الإلحاد اصطلاحًا فله معنيان:

الأول: عام، وهو الميل والعدول عن الحق(٢).

الثاني: خاص، وهو إنكار وجود الله تعالى، وهو المراد عند الإطلاق في عصرنا الحاضر.

يقول د. جميل صليبا: «الإلحاد في اصطلاحنا هو إنكار وجود الله»(٣).

وهذا الإلحاد نوعان:

الأول: ما يسمى بالإلحاد القوي، وهو: الإيمان بأن الله غير موجود؛ أي:

(١) تاج العروس (٩/ ١٣٥)، وانظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢٣٦)، لسان العرب (٣/ ٣٨٩).
(٢) سيأتي تفصيل الكلام في معنى الإلحاد وأقسامه عند الحديث عن (الإيمان بأسماء الله وصفاته).
(٣) المعجم الفلسفي (١/ ١١٩-١٢٠).

أن الملحد يعلم أنه لا وجود لإله، قال د. سامي العامري: «وهذا المذهب لا يعرف أحد من أئمة الإلحاد اليوم يتبناه، بل الجميع في مؤلفاتهم ينكرون تلبسهم به؛ لأن النفي المطلق هنا متعذر ضرورة»[(١)].

الثاني: ما يسمى بالإلحاد الضعيف، وهو عدم الإيمان بوجود الله، حيث يرى الملحد أن حجة المؤمن لم تقنعه للإيمان بوجود الله[(٢)]، وهذا هو الإلحاد الموجود اليوم.

۞ ثانيًا: صوره القديمة والمعاصرة:

من أشهر صور الإلحاد قديما دعوى الدهرية الذين قالوا -كما أخبر الله عنهم- ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤]، قال الطبري: «يقول تعالى ذكره مخبرًا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنينا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر، إنكارا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم»[(٣)]، وقال الإمام ابن كثير: «﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾؛ أي: ما ثَمَّ إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثَمَّ معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول؛ ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾؛ أي: يتوهمون ويتخيلون»[(٤)].

ويرى بعض علماء المقالات كالشهرستاني أن الدهرية لا ينكرون وجود الله، فقال: «أما تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم؛ فلست أراها

(١) براهين وجود الله، د. سامي العامري (ص٦١).
(٢) انظر: براهين وجود الله (ص٦٢).
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٩٦).
(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦٩).

مقالة لأحد، ولا أعرف عليه صاحب مقالة، إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية أنهم قالوا: العالم كان في الأزل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة، واصطكت اتفاقًا، فحصل عنها العالم بشكله الذي تراه عليه، ودارت الأكوار وكرت الأدوار وحدثت المركَّبات، ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع، لكنه يحيل سبب وجود العالم على البحث والاتفاق احترازًا عن التعليل»[(١)].

«وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع قديمًا هو فرعون، وقد كان مستيقنًا به في الباطن، كما قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]»[(٢)].

أما الإلحاد بمعناه الحديث -الذي هو عدم الإيمان بوجود الخالق- فهو أيضًا أمر شاذ لا يقول به إلا فرد بعد فرد من الناس، وظل الأمر كذلك حتى القرن الثامن عشر الميلادي تقريبًا؛ حيث بدأ التيار الإلحادي يظهر في أوروبا عام ١٧٧٠م، ثم بدأ الإلحاد يحل محل الإيمان عند كثير من قادة الفكر الأوروبي، وصار بعد مقدم الشيوعية هو الدين الرسمي لدُوَلها، ولمَّا صارت للإلحاد هذه المكانة في الغرب، ولمَّا كانت هذه الحضارة الغربية هي الحضارة السائدة في عصرنا؛ فقد انتشر هذا الإلحاد، وانتشرت أكثر منه لوازمه في أرجاء المعمورة انتشارًا لم يعهد له مثيل فيما مضى من الزمان، ولكن مع ذلك ما يزال الملحدون من الناحية العددية قلة قليلة حتى في الغرب، ففي استطلاع للرأي العام أجرته صحيفة نيويورك تايمز (٢٧/ ٢/ ١٩٩٣م) صرح ٩٦٪ من الأمريكان بأنهم يؤمنون بالله، وفي استطلاع أحدث أجرته مجلة US News and World Report كانت النسبة قريبًا من

---

(١) انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني (ص٧٤).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٦).

ذلك، فقد صرح ٩٣٪ بأنهم يؤمنون بالله، وصرح ٥٪ فقط بأنهم ملحدون[١].

ويمكن إجمال ما ذكره الغربيون حول تفسير هذه الظاهرة في الأسباب التالية:

١- التناقض الشديد بين كثير من دعاوى الدين النصراني المحرف الذي ورثه الغرب وبين العلم التجريبي الذي اكتشفوه.

٢- التناقض بين منهج العلم التجريبي القائم على الدليل الحسي، وبين منهج دينهم القائم على التسليم الأعمى.

٣- خوض كثير من علماء دينهم في المسائل الغيبية والحديث عنها بمجرد الرأي دون سند علمي.

٤- تعصب بعض العلماء الطبيعيين المتدينين؛ لما ذكره الكتاب المقدس من معلومات حول الكون حتى أداهم ذلك إلى تحريف الحقائق العلمية لتوافق دعاوى الكتاب المقدس، مثل ما استنتجه المطران جيمس أشر من تحليل الكتاب المقدس أن الأرض خلقت عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد.

٥- التناقضات الفجة التي زخر بها الكتاب المقدس لا سيما بعد تطور حركة النقد النصي للكتاب المقدس؛ حتى شمل التناقض مسألة الألوهية، فبينما يوصف الإله بأنه هو الخالق ينسب إليه الولد، وبينما يقال: إن عيسى ابن الله يقال: إنه صلب، وبينما يقال: إن الإله واحد يقال: إنه مكون من ثلاثة أقانيم (الآب والابن وروح القدس)[٢].

۞ ثالثًا: الرد على الإلحاد:

يحاول الملاحدة أن يجدوا لإلحادهم دليلًا، ولانسلاخهم من الدين تحت تأثير شبهة أو شهوة مستندًا؛ ينازعون به ما ركبت عليه الفطرة الإنسانية

(١) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر إدريس (ص١٩).
(٢) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، د. جعفر شيخ إدريس (ص٢٢-٢٣).

وجبلت عليه الطبيعة البشرية من الإقرار بوجود خالق للكون، والأصلان اللذان يرتكز عليهما الإلحاد هما: **(١)** أزلية الكون ونفي وجود بداية له، **(٢)** القول بالصدفة والعشوائية في خلق الكون[١].

ومن هنا كانت أكبر معضلة تواجه الملحدين هي بداية الكون[٢]، يقول هوكينج: «كثير من الناس غير سعداء بفكرة وجود بداية للكون، فهي تعني وجود موجود فوق طبيعي خلق الكون، لقد فضلوا أن يؤمنوا بأن هذا الكون والبشر أزليان»[٣]، ولذا كانت نظرية الانفجار العظيم من النظريات التي أقلقت الملاحدة؛ لأنها تدل دلالة واضحة على أن للكون بداية، ولذلك قال أينشتاين: «إن مسألة كون يتمدد هذه تقلقني»، ويعلق روبرت جاسترو: «إنها تقلق أينشتاين لما لها من لوازم لاهوتية»[٤].

وبعدما أصبح القول بحدوث الكون من اليقينيات حتى عند الملاحدة قالوا: بأنه حدث مصادفة، أو أن الطبيعة هي التي خلقت الكون، **وفيما يلي مناقشة لهاتين الشبهتين:**

الشبهة الأولى: القول بالمصادفة:

يقول أحد الملاحدة[٥]: «لو جلست ستة من القردة على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها بلايين السنين، فلا تستبعد أن نجد في الأوراق الأخيرة التي كتبتها قصيدة من قصائد شكسبير، فكذلك الكون الموجود الآن

(١) انظر: الصنع المتقن، د. مصطفى قديح (ص١٨٢).
(٢) انظر: الصنع المتقن (ص٧٣). (٣) الصنع المتقن (ص٧٥).
(٤) شموع النهار (ص١٢٧).
(٥) هو الكاتب الملحد هكسلي الذي كتب كتابه المعروف (الإنسان يقوم وحده)، فسخر الله له عالمًا من ملته هو أ. كريسي مدريسون (رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك وعضو سابق في المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة)، فسطر كتابه القيم (الإنسان لا يقوم وحده) ردًّا على هكسلي، وقد ترجم هذا الكتاب تحت عنوان (العلم يدعو إلى الإيمان).

نتيجة لعمليات عمياء، ظلت تدور في المادة لبلايين السنين»[(١)]، **والرد على هذه الشبهة من وجوه:**

١- أنه لا يصدق بهذا اللغو عاقل؛ لأن العقل لا يتصور وقوعه في أدنى الأشياء؛ ولذلك قال وحيد الدين خان -بعد نقله لهذه الفقرة من كلام هذا الملحد: «إن أيَّ كلام من هذا القبيل لغو مثير بكل ما تحويه هذه الكلمة من معانٍ، فإن جميع علومنا تجهل -إلى يوم الناس هذا- أية مصادفة أنتجت واقعًا عظيمًا ذا روح عجيبة في روعة الكون»[(٢)]؛ ولذا رد على هذه الشبهة كوكلين بسخرية قائلًا: «إن القول إن الحياة وجدت نتيجة حادث اتفاقي[(٣)]؛ شبيه في مغزاه بأن نتوقع إعداد معجم ضخم نتيجة انفجار صدفي يقع في مطبعة»[(٤)].

٢- أن القول بالصدفة، يعني: الجهل بالأسباب التي أدت إلى حدوث الكون ووجوده من العدم، لكننا وللأسف نجد الملحدين يستخدمونها بمعنى إنكار الخالق، ومع أن مدلول كلمة (الصدفة) يشير إلى حدوث الشيء بطريقة عشوائية إلا أن هذا نتيجة نقص معلوماتنا عن ذلك الشيء، لا أنه في حقيقة الأمر كذلك[(٥)].

٣- أنه يكفي لنقض هذه الدعوى دليل الإحكام الذي سبق تقريره؛ ذلك أن «الصنع المتقن في الكون واضح لأي عالم فيزيائي منصف، سواء كان ملحدًا أو مؤمنًا، فليس هناك عالم جاد يؤمن بالصدفة أو العشوائية؛ إذ أصبح القول بوجود الكون صدفة أمرًا يستصعبه العلماء، ولا يزال البشر يشعرون بالرهبة حيال التصميم المعقد الدقيق والمهيب للكون»[(٦)].

---

(١) الإسلام يتحدى (ص٦٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) اتفاقي؛ أي: صدفي.
(٤) الكون الغامض (ص٣-٤)، نقلًا عن: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان (ص٨٥).
(٥) انظر: الصنع المتقن (ص٢١٩-٢٢٠).
(٦) الصنع المتقن (ص٣٣٦).

ويقول كريسي موريسون: «إن جميع مقومات الحياة الحقيقية ما كان يمكن أن توجد على كوكب واحد في وقت واحد بمحض المصادفة، إن حجم الكرة الأرضية وبُعدها عن الشمس، ودرجة حرارة الشمس وأشعتها الباعثة للحياة، وسمك قشرة الأرض، وكمية الماء، ومقدار ثاني أوكسيد الكربون، وحجم النتروجين، وظهور الإنسان، وبقاءه على قيد الحياة، كل أولاء تدل على النظام، وعلى التصميم والقصد، كما تدل على أنه طبقًا للقوانين الحسابية الصارمة ما كان يمكن حدوث كل ذلك مصادفة في وقت واحد على كوكب واحد مرة في بليون مرة»[(١)]، ويقول د. فرانك ألن (عالم الطبيعة البيولوجية): «إن ملاءمة الأرض للحياة تتخذ صورًا عديدة لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية»[(٢)].

ويقول الفلكي إدوارد روبرت هاريسون: «ها هو الدليل الكوني على وجود الله حجة التصميم... الضبط الدقيق للكون يقدم دليلًا بدهيًّا لرب مصمم[(٣)]، قم بالاختيار بين صدفة عمياء تفتقر إلى عدد هائل من الأكوان، أو مصمم لكون واحد»[(٤)].

ويقول الطبيب مايكل أنتوني كوري: «الدرجة المذهلة من المعايرة الدقيقة لهذه العوامل الأساسية والتي تلت لحظة الانفجار الكبير؛ تكشف عن درجة معجزة من الهندسة الدقيقة، والتي لا تبدو متصورة في حال انعدام مصمم ذي قدرات حسابية خارقة»[(٥)].

ويقول فرانسيس كولينز المختص في علم الوراثة: «الضبط الدقيق لجميع

(١) العلم يدعو للإيمان (ص١٤٢).
(٢) الله يتجلى في عصر العلم (ص١٢)، ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان.
(٣) لا ينبغي إطلاق اسم مصمم على الله تعالى أو وصفه به وإن كان معناه صحيحًا؛ لأن أسماء الله وصفاته توقيفية، لكن هذا يجري مجرى الإخبار عن الله، ويجوز الإخبار عن الله بكل ما صح معناه إذا احتيج إلى ذلك.
(٤) شموع النهار (ص٢١٣).
(٥) شموع النهار (ص٢١٣).

الثوابت والقوانين الفيزيائية من أجل إمكان حدوث حياة ذكية؛ ليست عائدة للصدفة، ولكنها تعكس عمل من خلق هذا الكون ابتداء»[(١)].

وقد صرح بهذا الضبط الدقيق للكون، عدد من الملحدين، يقول فريد هويل الفلكي الملحد: «لقد اهتز إلحادي بشكل كبير من هذه المكتشفات الحديثة»[(٢)]، ويقول بول ديفيز: «حتى العلماء الملحدون يتغنون بضخامة وعظمة وتناغم وأناقة وإبداع هذا الكون والذي لا يشكلون فيه إلا جزءًا صغيرًا وهشًّا»[(٣)]، ويقول الملحد كريستوفر هيتشنز: «من غير سؤال فإن حجة الضبط الدقيق هي أقوى الاحتجاجات التي قدمها الطرف المقابل»[(٤)].

ويقول د. مصطفى قديح: «رغم الاعتراف الكبير من كل علماء الفيزياء والكونيات -وبلا استثناء ملحدهم قبل مؤمنهم من بعد منتصف القرن العشرين وحتى يومنا هذا- بالضبط الدقيق للكون وثبات قوانينه، إلا أن الملحد لن يسكت أيضًا، فسيضطر إلى القول بأشياء أخرى لتفسير ذلك تفسيرًا ماديًّا، ولكنهم عجزوا حتى الآن، وسيعجزون إلى الأبد»[(٥)].

إن كل ما في الكون يحكي أنه إيجاد موجد حكيم عليم خبير، ولكن الإنسان ظلوم جهول، قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ١٧-٣٢].

«لقد تبين لدى العلماء أن كل ما في الكون يقف متحديًا الصدفة المزعومة، فكل شيء في الكون بدءًا من البروتين البسيط ومرورًا بالخلية فضلًا عن هذا

(١) شموع النهار (ص٢١٤).
(٢) شموع النهار (ص٢٧٠).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الصنع المتقن (ص١٨٢).

الكون الهائل يستحيل أن ينشأ مصادفة»[١].

الشبهة الثانية: الطبيعة هي الخالق:

هذه فرية راجت في عصرنا هذا، راجت حتى على الذين نبغوا في العلوم المادية، وعلل كثيرون وجود الأشياء وحدوثها بها، فقالوا: الطبيعة هي التي تُوجِد وتُحْدِث.

وهؤلاء يوجه لهم هذا السؤال: ماذا تريدون بالطبيعة؟ هل تعنون بالطبيعة ذوات الأشياء؟ أم تريدون بها قوة أخرى وراء هذا الكون أوجدته وأبدعته؟

إذا قالوا: نعني بالطبيعة الكون نفسه، فإننا لا نحتاج للرد عليهم؛ لأن فساد قولهم معلوم، إن هذا القول يصبح ترديدًا للقول السابق بأن الشيء يوجِد نفسه، أي أنهم يقولون: الكون خلق الكون، فالسماء خلقت السماء، والأرض خلقت الأرض، والكون خلق الإنسان والحيوان، وهذا لا يتصور وقوعه؛ إذ يستحيل أن يمنح الوجود لغيره من كان معدومًا، وقد بينا أن العقل الإنساني يرفض التسليم بأن الشيء يوجِد نفسه، ونزيد الأمر إيضاحًا فنقول: والشيء لا يخلق شيئًا أرقى منه، فالطبيعة من سماء وأرض ونجوم وشموس وأقمار لا تملك عقلًا ولا سمعًا ولا بصرًا، فكيف تخلق إنسانًا سميعًا عليمًا بصيرًا؟! هذا لا يكون.

فإن قالوا: خلق ذلك كله مصادفة، قلنا: ثبت لدينا يقينًا أن لا مصادفة في خلق الكون[٢]، وقد بينا ذلك فيما سبق.

استدلالهم بنظرية التولد الذاتي:

وكان مما ساعد على انتشار الوثنية الجديدة (القول بأن الطبيعة هي الخالق) هو ما شاهده العلماء الطبيعيون من تَكَوُّن (دود) على براز الإنسان أو الحيوان، وتكوُّن بكتيريا تأكل الطعام فتفسده، فقالوا: ها هي ذي حيوانات تتولد من

---

(١) الصنع المتقن (ص٢٢٦).

(٢) ينظر: العقيدة في الله، للأشقر (ص٧٩).

الطبيعة وحدها، وراجت هذا النظرية التي مكنت للوثن الجديد (الطبيعة) في قلوب الضالين التائهين بعيدًا عن هدى الله الحق، لكن الحق ما لبث أن كشف باطل هذه النظرية على يد العالم الفرنسي المشهور باستير الذي أثبت أن الدود المتكون، والبكتيريا المتكونة المشار إليها لم تتولد ذاتيًّا من الطبيعة، وإنما من أصول صغيرة سابقة لم تتمكن العين من مشاهدتها، وقام بتقديم الأدلة التي أقنعت العلماء بصدق قوله، فوضع غذاءً وعزله عن الهواء وأمات البكتيريا بالغليان، فما تكونت بكتيريا جديدة، ولم يفسد الطعام، وهذه هي النظرية التي قامت عليها الأغذية المحفوظة (المعلبات)[(١)]، وسميت هذه العملية بالبسترة نسبة إلى (باستير).

قولهم: الطبيعة قوة:

فإن وجد من يقول بأن الطبيعة قوة أوجدت الكون، قلنا: ماذا تريدون بالطبيعة؟ فإن قالوا: نريد بالطبيعة الكون نفسه، بمعنى أن الكون خلق الكون، فالسماء خلقت السماء، والأرض خلقت الأرض، وهكذا، قلنا: هذا معلوم الفساد بالضرورة؛ لأن الشيء لا يوجِد نفسه، فقد كان معدومًا، فكيف يكون خالقًا؟!

وإن قالوا: أردنا بالطبيعة قوة أخرى وراء هذا الكون أوجدته، وهي قوة حية سميعة بصيرة حكيمة قادرة، فإننا نقول لهم: هذا صواب وحق، وخطؤكم في أنكم سميتم هذه القوة (الطبيعة)، وقد دلتنا هذه القوة المبدعة الخالقة على الاسم الذي تستحقه وهو (الله)، وهو عرفنا بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، فعلينا أن نسميه بما سمى به نفسه سبحانه وتعالى، يقول هوكينج: «لو كان الكون قادرًا على أن يخلق نفسه؛ فإنه يلزم من ذلك أن يمتلك الكون في ذاته قدرات الخالق، وعلينا عندها أن نستنتج أن الكون نفسه الله، وبالتالي لا بد من الاعتراف بوجود إله»[(٢)].

---

(١) كتاب التوحيد (٢/ ٧٤).

(٢) الصنع المتقن، د. مصطفى قديح (ص٨٧).

كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم:

هؤلاء الذين نسبوا الخلق إلى الطبيعة لهم سلف قالوا قريبًا من قولهم، وهم الدهرية الذين نسبوا الأحداث إلى الدهر، فقد شاهدوا أن الصغير يكبر، والكبير يهرم، والهرم يموت بمرور الزمان، وتعاقب الليل والنهار، فنسبوا الحياة والموت إلى الدهر، ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤]، أولئك نسبوا الأحداث إلى الزمان وهؤلاء إلى ذوات الأشياء فهما صنوان في الضلال[١].



(١) انظر: العقيدة في الله، للأستاذ عمر الأشقر (ص٧٧-٨٣)، وراجع للتوسع في هذا الموضوع: البراهين العقلية على وجود الله للسعدي، الإلحاد لعبد الرحمن عبد الخالق، وغيرها.
انظر جملة من المصادر في هذه المسألة وتقويمها في: المادة النقدية للفكرة الإلحادية، د. سلطان العميري.



المبحث الخامس

المراد بالفطرة وأدلتها

المراد بها:

الفطرة لغة: الخِلْقة التي خلق الإنسان عليها[(١)]، وشرعًا: ما خلق عليه الإنسان من القوة العلمية والعملية التي تقتضي بذاتها الإسلام إذا لم يمنعها من ذلك مانع[(٢)].

أدلتها:

دل على وجود الفطرة القرآن والسنة والعقل:

فمن أدلة القرآن قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

والمعروف عند عامة السلف وأهل التأويل في قول الله ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ أن المراد بـ ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾: دين الله الإسلام[(٣)].

(١) انظر: لسان العرب (٥/ ٥٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٣٣٤-٣٣٥)، تفسير البغوي (٣/ ٤٨٢)، زاد المسير (٦/ ٣٠٠-٣٠١)، تفسير القرطبي (١٤/ ٢٥)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٢)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٢٤)، شفاء العليل (ص٢٨٥)، فتح الباري (٣/ ١٩١).

وقال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، عن مجاهد قال: «﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ الإسلام، فطرة الله التي فطر الناس عليها»[(١)]، وقال الإمام ابن القيم: «صبغة الله هي الحنيفية التي صبغت القلوب بمعرفته ومحبته والإخلاص له وعبادته وحده لا شريك له»[(٢)]، وقال الراغب الأصبهاني: «الصبغة إشارة من الله عز وجل إلى ما أوجده فينا من بدائه العقول التي ميزنا بها من البهائم، رشحنا به لمعرفته ومعرفة حسن العدالة وطلب الحق، وهو المشار إليه بالفطرة»[(٣)].

ومن السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، أو يمجسانه**»[(٤)]، ولم يقل: أو يسلمانه؛ لأن الفطرة هي الإسلام وهو الأصل. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإنه لو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام، لما سألوا عقب ذلك: «أرأيت من يموت من أطفال المشركين وهو صغير؟»[(٥)]؛ لأنه لو لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة لم يسألوه»[(٦)]، وفي رواية: «**ما من مولود يولد إلا وهو على هذه الملة، حتى يبين عنه لسانه**»[(٧)].

وأما الأدلة العقلية على الفطرة فهي كثيرة ساق شيخ الإسلام طائفة منها في (درء التعارض)[(٨)]، وذكر الإمام ابن القيم منها ستة عشر وجهًا في (شفاء العليل)[(٩)]، واختصرها ابن أبي العز في (شرح الطحاوية)[(١٠)].

ومن ذلك: أنه من الواضح الجلي أن الإنسان مفطور على جلب ما ينفعه

(١) تفسير الطبري (٣/ ١١٩).
(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص١٨٧).
(٣) تفسير الراغب الأصبهاني (١/ ٣٢٤).
(٤) أخرجه البخاري (ح١٣٥٩)، ومسلم (ح٢٦٥٨).
(٥) أخرجه مسلم (ح٢٦٥٩).
(٦) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٧١).
(٧) أخرجه مسلم (ح٢٣).
(٨) انظر: درء التعارض (٨/ ٤٥٦) وما بعدها.
(٩) انظر: شفاء العليل (ص٣٠٣-٣٠٦).
(١٠) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٣٤-٣٥).

ودفع ما يضره بحسِّه، ولكن فطرة كل واحد غير مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج إلى سبب معين كالتعليم ونحوه، فهو مثلًا يحب الصحة ويكره المرض، ولكن هذا الإحساس الفطري غير كاف في معرفة أسباب الصحة وأسباب المرض ووسائل الوقاية والعلاج، بل لا بد من سبب معين كالتعليم ونحوه.

وهكذا حال الفطرة بالنسبة للإيمان والكفر، ولذلك يقال: إذا وجد الشرط، وهو بلوغ الرسالة، وانتفى المانع كتأثير البيئة الفاسدة استجابت الفطرة لما فيها من المقتضي لذلك.

ومن ذلك أيضًا: أنه إذا لم يحصل المفسد الخارج ولا المصلح الخارج كانت الفطرة مقتضية للصلاح؛ لأن المقتضي فيها للعلم والإرادة قائم والمانع منتفٍ، وهذا مصداق قوله ﷺ: «**ما من مولود يولد إلا وهو على هذه الملة**»[1].



(١) سبق تخريجه.



المبحث السادس

المراد بأخذ الميثاق وأدلته

والرد على من خالف في ذلك إجمالًا

۞ أولًا: المراد بأخذ الميثاق:

الميثاق في اللغة: العهد(١).

والمراد بالميثاق هنا: هو الإشهاد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣].

۞ ثانيًا: اختلاف العلماء فيه وأدلتهم:

قد اختلف أهل العلم في المراد بالإشهاد على قولين:

القول الأول: أن المراد به أنه فَطَرَهم على التوحيد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه الآية بينة في إقرارهم وشهادتهم على أنفسهم بالمعرفة التي فطروا عليها أن الله ربهم وقال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة**»(٢).

---

(١) انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٧١).

(٢) جامع الرسائل (١/ ١١-١٢)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٨٢-٤٨٤).

قال الإمام ابن القيم: «وأحسن ما فسرت به الآية قوله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة: فأبواه يهودانه وينصرانه**»، فالميثاق الذي أخذه سبحانه عليهم، والإشهاد الذي أشهدهم على أنفسهم، والإقرار الذي أقروا به هو الفطرة التي فطروا عليها؛ لأنه سبحانه احتج عليهم بذلك، وهو لا يحتج عليهم بما لا يعرفه أحد منهم ولا يذكره، بل بما يشركون في معرفته، والإقرار به»[(١)].

وقال ابن كثير: «قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فَطْرُهم على التوحيد»[(٢)]، والأدلة على ذلك هي أدلة الفطرة، كما سبق.

القول الثاني: أن الله أنطقهم وأشهدهم لما استخرجوا من صلب آدم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وطائفة من العلماء جعلوا هذا الإقرار لما استخرجوا من صلب آدم وأنه أنطقهم وأشهدهم، لكن هذا لم يثبت به خبر صحيح عن النبي ﷺ، والآية لا تدل عليه»[(٣)]. وقال الإمام ابن أبي العز: «وأما الإشهاد عليهم هناك، فإنما هو في حديثين موقوفين على ابن عباس وعمر رضي الله عنهم»[(٤)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإنما الذي جاءت به الأحاديث المعروفة أنه استخرجهم وأراهم لآدم، وميز بين أهل الجنة وأهل النار منهم، فعرفوا من يومئذ، هذا فيه مأثور من حديث أبي هريرة رواه الترمذي وغيره بإسناد جيد، وهو أيضًا من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه أهل السنن ومالك في الموطأ، وهو يصلح للاعتضاد، وأما إنطاقهم وإشهادهم فروي عن بعض السلف، وقد روى عن أبي وابن عباس، وبعضهم رواه مرفوعا من طريق ابن

---

(١) أحكام أهل الذمة (٢/ ٩٤٨-٩٤٩)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ٣٠٧-٣٠٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٦).

(٣) جامع الرسائل (١/ ١١-١٢)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، وانظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٤٢-٤٣)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (١/ ٩٢-٩٣)

(٤) شرح الطحاوية (١/ ٣٠٨).

عباس وغيره، وروى ذلك الحاكم في صحيحه، لكن هذا ضعيف»[١].

يشير إلى ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ قال: قرأ القعنبي الآية فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون**»، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار**»[٢].

كما يشير إلى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان – يعني عرفة – فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذرِّ، ثم كلمهم قبلًا، قال:** ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾»[٣].

والقول بأن المراد بأخذ الميثاق والإشهاد هو فطرهم على التوحيد هو الأرجح؛ لوجهين:

الأول: أنه سبحانه قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، ولا بد أن يكون الشاهد ذاكرًا لما شهد به، وهو الآن لا يذكر شهادته، فعلم أن المراد بذلك الفطرة.

(١) جامع الرسائل، لابن تيمية (١/ ١٢).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (ح٣٣٣٧)، وأحمد في المسند (١/ ٤٠٠)، وأبو داود (ح٤٧٠٣)، والترمذي (ح٣٠٧٥)، وصححه الشيخ أحمد شاكر (المسند ١/ ٢٩٦)، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ح١٦٠٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٦٧)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٠)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

الثاني: أنه سبحانه أخبر أن حكمته بهذا الإشهاد إقامة للحجة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، والحجة إنما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فطروا عليها بدليل قول الله -تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥][(١)].

الرد على من خالف في ذلك:

خالف في ذلك المعتزلة، وقالوا: إن ما جاء في الآية من أخذ الميثاق والإشهاد عليه هو من باب التمثيل والتخييل، وليس على حقيقته، قال الزمخشري في تفسير الآية: «وقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ﴾ من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم، وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم: ألست بربكم؟ وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا، شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك. وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ، وفي كلام العرب»[(٢)].

ويرد عليهم بأن ذلك على حقيقته؛ لأن هذا هو الأصل، وليس على سبيل التمثيل والتخييل؛ لأن ذلك مجرد دعوى بلا دليل، وأن حقيقته ما جاء في النصوص من كون المراد بهذا الإشهاد إنما هو خلقهم على فطرة التوحيد، كما دلت على ذلك أحاديث الفطرة.



(١) انظر: شرح الطحاوية للراجحي (ص١٦٤) بترقيم الشاملة آليًا.
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ١٧٦).



المبحث السابع

ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية

من ثمرات تحقيق توحيد الربوبية ما يلي:

١- أعظم ثمرات تحقيق توحيد الربوبية هو إفراد الله بالعبادة، ولذلك جاء أول أمر في القرآن وهو توحيد العبادة بالاستدلال عليه بتوحيد الربوبية، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «توحيد الإلهية هو أشهر نتائج توحيد الربوبية»[(١)].

٢- من ثمرات تحقيق توحيد الربوبية اجتناب الشرك والبعد عن أسبابه، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [المائدة: ٧٦]، فأنكر عليهم جل وعلا عبادة ما سواه؛ لأنه لا يملك لهم نفعًا ولا ضرًّا، فإيمان العبد بأنه لا نافع ولا ضار إلا الله يقتضي إفراده بالعبادة، وقال سبحانه: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

٣- تحقيق التوكل على الله تعالى في طلب النفع ودفع الضر؛ لأن تحقيق

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٦٥).

توحيد الربوبية يثمر التوكل على الله وإفراده بالعبادة، فـ«التوكل على الله علم وعمل؛ فالعلم معرفة القلب بتوحد الله بالنفع والضر، وعامة المؤمنين بل كثير من المشركين يعلمون ذلك، والعمل هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ما سواه، وهذا عزيز، ويختص به خواص المؤمنين... وهذا نهاية توحيد الربوبية الذي يثمر التوكل وتوحيد العبادة»[(١)].

٤- شهود العبد فقره إلى الله، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ [فاطر: ١٥ - ١٧].

٥- الأنس بالله والطمأنينة به، فمن أيقن أن الله خالقه ورازقه ومدبر أمره، وأن لا أحد يستطيع أن يجلب له نفعًا أو يدفع عنه ضرًّا سواه سكنت روحه واطمأن قلبه لخالقه ومولاه[(٢)].

٦- تحقيق توحيد الربوبية يثمر الخوف والحب والرجاء، وهي أصول أعمال القلوب، كما يثمر غيرها من العبادات القلبية، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «أما الصبر والرضا، والتسليم والتوكل، والإنابة، والتفويض، والمحبة، والخوف، والرجاء، فمن نتائج توحيد الربوبية»[(٣)].

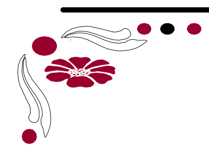


---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٣٧٤-٣٧٥).

(٢) انظر: اللطائف الندية في بيان توحيد الربوبية، د. أحمد الغنيمان (ص١١٧) وما بعدها.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٦٥).

ملخص الفصل الثاني

❊ **توحيد الربوبية شرعًا هو: توحيد الله بأفعاله كالخلق والملك والتدبير، ومن أسمائه -مع توحيد الأسماء والصفات:** ١- التوحيد العلمي، ٢- التوحيد الخبري، ٣- التوحيد الاعتقادي، ٤- توحيد المعرفة والإثبات.

❊ **من مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية:** ١- إنكار وجود الرب جل وعلا، ٢- الشرك في الربوبية، ومعناه: إثبات فاعل مستقل غير الله في الملك أو الخلق أو الرزق أو التدبير. ومن أشهر الطوائف التي عرف عنها شرك في توحيد الربوبية ما يلي: ١- المجوس، ٢- النصارى، ٣- الفلاسفة الدهرية، ٤- كثير من مشركي العرب وغيرهم، ٥- غلاة القدرية، ٦- غلاة الصوفية، ٧- الروافض الإثنا عشرية الملقبون في عصرنا بالشيعة.

❊ **الأدلة على وجود الله تعالى كثيرة ومتنوعة، ومنها:** ١- الفطرة، ٢- الأدلة العقلية، والأدلة العقلية على وجود الله تعالى كثيرة، ومنها: دليل الخلق والإيجاد، ودليل الإحكام والإتقان، ودليل الأنفس، ودليل الآفاق، ودلالة التحول والانتقال من حال إلى حال، ودليل الهداية. ٣- آيات الأنبياء، ٤- إجابة الدعوات، ٥- أدلة العلم الحديث، ومن هذه الأدلة التي أثبتها العلم الحديث: حدوث العالم والانفجار العظيم، وبرهان التصميم أو الصنع المتقن.

❊ **الإلحاد في الاصطلاح هو إنكار وجود الله، وللإلحاد دركتان:** ١- الإيمان بأن الله غير موجود، ٢- عدم الإيمان بوجود الله، ولم يذهب إلى الإلحاد قديمًا طائفة معروفة من بني آدم إلا فيما ينسب إلى الدهرية، أما في العصر الحديث فقد انتشر في القرن الثامن عشر الميلادي تقريبًا، حيث بدأ التيار الإلحادي يظهر في أوروبا عام ١٧٧٠م، والأصلان اللذان يرتكز عليهما

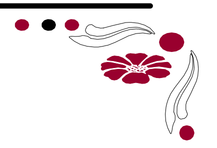
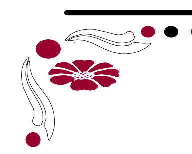
الإلحاد هما: **١-** أزلية الكون ونفي وجود بداية له، **٢-** القول بالصدفة والعشوائية في خلق الكون، وكلا الأصلين يفتقد إلى البراهين والأدلة.

❊ **الفطرة لغة:** الخِلْقة التي خلق الإنسان عليها، **وشرعًا:** ما خلق عليه الإنسان من القوة العلمية والعملية التي تقتضي بذاتها الإسلام إذا لم يمنعها من ذلك مانع، ودل على وجود الفطرة القرآن والسنة والعقل.

❊ **المراد بأخذ الميثاق:** الإشهاد المذكور في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ...**﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢]، واختلف أهل العلم في المراد بالإشهاد على قولين: **١-** أن المراد به فطرهم على التوحيد، **٢-** أن الله أنطقهم وأشهدهم لما استخرجوا من صلب آدم، والراجح هو الأول.

❊ **من ثمرات تحقيق توحيد الربوبية: ١-** أعظم ثمرات تحقيق توحيد الربوبية هو إفراد الله بالعبادة، **٢-** الخوف من الشرك واجتنابه والبعد عن أسبابه، **٣-** تحقيق التوكل على الله تعالى في جلب النفع ودفع الضر، **٤-** شهود العبد فقره إلى الله، **٥-** الأنس بالله والطمأنينة به، **٦-** تحقيق توحيد الربوبية يثمر الخوف والحب والرجاء، وهي أصول أعمال القلوب.



أسئلة تطبيقية

س١- عرف توحيد الربوبية، واذكر أهم أسمائه.

س٢- اذكر أهم مظاهر الانحراف في الربوبية، وأشهر الطوائف التي خالفت فيه.

س٣- اذكر ثلاثة من الأدلة العقلية القرآنية على وجود الله تعالى.

س٤- بين كيف يستدل بآيات الأنبياء على وجود الرب تعالى.

س٥- من الأدلة العلمية الحديثة التي تشهد بوجود الله تعالى (برهان التصميم). بين معناه إجمالًا، واذكر مثالًا عليه.

س٦- يرتكز الإلحاد المعاصر على أصلين. ما هما؟ وكيف تبطلهما؟

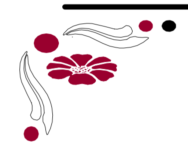
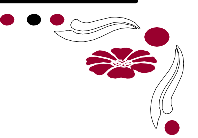
س٧- اذكر ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية.





الفصل الثالث

توحيد الأسماء والصفات

الفصل الثالث

١- تعريف توحيد الأسماء والصفات.

٢- أنواع الأدلة على توحيد الأسماء والصفات.

٣- منهج أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته إجمالًا.

٤- قواعد في أسماء الله تعالى.

٥- قواعد في صفات الله تعالى.

٦- مخالفات منهجية في توحيد الأسماء والصفات.

٧- معنى إحصاء أسماء الله الحسنى وفضله.

٨- بعض أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة وبيان معناها.

٩- دراسة بعض صفات الله الواردة في الكتاب والسنة.

١٠- الإلحاد في أسماء الله وصفاته معناه وصوره.

١١- ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

١٢- أبرز الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات والرد عليهم إجمالًا.





المبحث الأول

تعريف توحيد الأسماء والصفات

الاسم: «كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به»[(١)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها»[(٢)]، و«كل اسم دالٍّ على صفةِ كمالٍ عظيمة»[(٣)]، أو صفات؛ لأن دلالة الاسم تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام، كما سيأتي.

و«الصفات هي نعوت الكمال القائمة بالذات، كالعلم والحكمة والسمع والبصر»[(٤)].

وتوحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا الواردة في الكتاب والسنة؛ لا شريك له في ذلك، مع الإيمان بمعانيها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، على حد قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وعرفه شيخنا محمد بن عثيمين بأنه: «إفراد الله سبحانه بما له من الأسماء

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة، جمع وترتيب أحمد الدويش (٣/ ١١٦).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص٣١)، وانظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٤).

(٣) تفسير السعدي (ص٣٠٩).

(٤) الموضع نفسه من المصدر السابق.

والصفات»[(١)].

وعرفه العلامة عبد الرحمن بن سعدي بقوله: «توحيد الأسماء والصفات: هو اعتقاد انفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه»[(٢)].

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ [النحل: ٦٠]، يعني الوصف الأكمل، قال ابن كثير: «أي: الكمال المطلق من كل وجه»[(٣)].

ووجه الاستدلال بالآيتين على توحيد الأسماء والصفات: أن تقديم ما حقه التأخير يفيد في لغة العرب القصر، فالأسماء الحسنى -أي: البالغة في الحسن كماله وغايته- والمثل الأعلى، وهو: الوصف الأكمل لله وحده لا شريك له في ذلك ولا مثيل.



(١) انظر: القول المفيد (١/ ١٦).
(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص١٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٨).



المبحث الثاني

أنواع الأدلة على توحيد الأسماء والصفات

دل على إثبات توحيد الأسماء والصفات لله تعالى القرآن والسنة والعقل والفطرة.

أما القرآن: فقد دل على أسماء الله وصفاته بأربعة أنواع من الأدلة:

النوع الأول: الإثبات المجمل، مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وقوله جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢] أي: الكامل في جميع صفاته وأفعاله[(١)].

النوع الثاني: الإثبات المفصل، كما في آية الكرسي وآخر سورة الحشر وغيرها.

النوع الثالث: النفي المجمل، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

النوع الرابع: النفي المفصل، كما في قوله جل وعلا: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(١) تفسير البغوي (٨/ ٥٨٨).

وكل نفي يأتي في القرآن والسنة فإنما هو لإثبات كمال ضده، كما سيأتي.

وأما السنة: فقد وردت أحاديث كثيرة تشتمل على أسماء الله وصفاته، منها: حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فكنا إذا أشرفنا على واد، هلَّلنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس ارْبَعُوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصَمَّ ولا غائبًا، إنه معكم إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده**»[1]، وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[2].

وأما العقل: فقد دل على إثبات الصفات في الجملة من وجوه، منها:

١- أنه لا يتصور إثبات ذات مجردة عن الصفات في الخارج، قال ابن أبي العز الحنفي: «ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الذهن ذاتًا وصفة، كلًّا وحده، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة، فإن هذا محال. ولو لم يكن إلا صفة الوجود، فإنها لا تنفك عن الموجود، وإن كان الذهن يفرض ذاتًا ووجودًا، يتصور هذا وحده، وهذا وحده، لكن لا ينفك أحدهما عن الآخر في الخارج»[3].

٢- أن مما يعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق، وكل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق، فالله أولى به، وإلا للزم أن يكون المخلوق أكمل من الخالق، وهو محال، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «من الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريًا منه، بل هو أحق به، والله تعالى له المثل الأعلى، ولا يستوي هو والمخلوقات، لا في قياس تمثيلي،

(١) أخرجه البخاري (ح٢٩٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (ح١١٤٥)، ومسلم (ح٧٥٨).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٩٨).

ولا في قياس شمولي، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق به أحق، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما فتنزيه الخالق عنه أولى»[(١)].

وأما الفطرة: فإن الله جل جلاله «قد أودع في الفطر التي لم تتنجس بالتعطيل والجحود: أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص، فالكمال كله، والجمال والجلال والبهاء، والعزة والعظمة والكبرياء: كله من لوازم ذاته، يستحيل أن يكون على غير ذلك، فالحياة كلها له، والعلم كله له، والقدرة كلها له، والسمع والبصر والإرادة، والمشيئة والرحمة والغنى، والجود والإحسان والبر، كله خاص له قائم به، وما خفي على الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه، بل لا نسبة لما عرفوه من ذلك إلى ما لم يعرفوه»[(٢)].



(١) شرح الطحاوية (١/ ١٢٦).
(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٣)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ٥٢).



المبحث الثالث

منهج أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته إجمالًا

يعتمد منهج أهل السنة في باب الأسماء والصفات على جملة من الأصول، منها ما يلي:

١- وصف الله عز وجل بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ على حد قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، قال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث»(١)، وقال الإمام الشافعي: «لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا جهلُها، فمن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فيعذر بالجهل»(٢)، وقال الأوزاعي: «كنا والتابعون نقول: إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السُّنة من صفاته»(٣)، وقال ابن عبد البر: «أهل السنة

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٨)، وانظر: الإبانة الكبرى، لابن بطة (٧/ ٣٢٦)، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٨٣)، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (١/ ٢٧٧-٢٧٨).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٧٠٢)، مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤١٢-٤١٣)، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٦٥).

(٣) العلو، للذهبي (ص١٠٢)، الأسماء والصفات، للبيهقي (ص٤٠٨).

مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز؛ إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج فينكرونها ولا يحملونها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود لا مثبتون، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به الكتاب والسنة وهم أئمة الجماعة»(١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه؛ ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين؛ بل هو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»(٢)، والشواهد في هذا الباب كثيرة(٣).

٢- أنهم لا يحرفون النصوص بدعوى التأويل، ولا يعطلون أسماء الله وصفاته بدعوى التنزيه، ولا يكيفون أو يمثلون تحت ستار الإثبات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيِّفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سميَّ له ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى»(٤)، قال نعيم بن حماد -شيخ البخاري: «من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به

(١) التمهيد، لابن عبد البر (٧/ ١٤٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٨٧)، منهاج السنة (٢/ ١١١).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٥).

(٣) انظر: كتب أئمة السنة وسلف الأمة، والحموية لشيخ الإسلام، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، وغيرها.

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٣٠)، انظر: الواسطية مع شروحها: التنبيهات السنية للرشيد (ص١٨) وما بعدها، الروضة الندية للفياض (ص٢١) وما بعدها.

رسوله ﷺ تشبيه»[١].

٣- منهج أهل السُّنة فيما لم يرد فيه نص -كالألفاظ التي أحدثها أهل الكلام وتنازعوا فيها مثل الجسم والعرض والجوهر وحلول الحوادث والجهة والحركة ونحوها- أنهم يتوقفون في هذه الألفاظ وأمثالها؛ فلا يثبتون لعدم ورود الدليل المثبت، ولا ينفون لعدم الدليل النافي وينكرون على من أثبت لأنه أثبت بلا دليل، وينكرون على النافي، لأنه نفى بلا دليل.

أما بالنسبة للمعنى فيستفصلون عن المراد؛ فإن أراد المثبت أو النافي حقًّا بدلالة الكتاب أو السنة قُبل منه هذا المعنى وأنكر عليه اللفظ المبتدع، وإن أراد باطلًا بدلالة الكتاب أو السنة على بطلانه رُدَّ عليه هذا المعنى الباطل كما أنكر عليه اللفظ المبتدع، وإن أراد معنى لم يرد في إثباته أو نفيه دليل لزم التوقف فيه كما نتوقف في اللفظ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل بين الحق من الباطل مع التوقف في اللفظ، فلا يثبت ولا ينفى؛ ذلك أن التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة، والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات ولا يتدبرون معانيها ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده، وأما أهل الحق والسنة والإيمان فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده واعتماده، والذي قاله هؤلاء إما أن يعرضوا عنه إعراضًا جمليًّا أو يبينوا حاله تفصيلًا ويحكم عليهم بالكتاب والسُّنة ولا يحكم به على الكتاب والسُّنة[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وما تنازع فيه المتأخرون، نفيًا وإثباتًا، فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقًّا قُبل، وإن أراد باطلا رُدّ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يُقبل مطلقًا ولم يُرد جميع معناه، بل يُوقف اللفظ ويُفسّر المعنى،

---

(١) العلو للذهبي (ص١١٦).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٧٠-٧١).

كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك»[١].

٤- منهج أهل السنة والجماعة منهج وسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل، فأهل التعطيل غَلَوا في التنزيه فعطلوا الله سبحانه من صفاته، وأهل التنزيه غلوا في إثبات الصفات فجعلوها من جنس صفات المخلوقين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة»[٢].

الأدلة على صحة منهج أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات:

دل على صحة منهج أهل السنة في إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، والتوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه السمع والعقل[٣].

أما السمع فمن أدلته:

قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

فالآية الأولى دلت على وجوب الإثبات للأسماء والصفات على ما يليق بالله سبحانه ويختص بعظمته، والآية الثانية دلت على وجوب نفي التمثيل تنزيها لله بلا تعطيل، والآية الثالثة دلت على وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته ولا نفيه.

---

(١) التدمرية (ص٦) وما بعدها، وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦-٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤١).

(٣) **الأدلة السمعية:** هي الكتاب والسنة؛ وسميت سمعية؛ لأنها تتلقى بالسمع، **والعقلية:** هي ما تدرك بالعقل، ويقال أيضًا: النظر والأثر، والعقل والنقل، ومن المعلوم أن العقل الصريح -وهو السالم من الشبهات والشهوات- لا يخالف النقل الصحيح.

۞ أما الأدلة العقلية فهي كثيرة منها:

أولًا: إن أسماء الله وصفاته من أمور الغيب، والقول فيما يجب منها لله أو يجوز أو يمتنع لا يدرك إلا بالسمع، فوجب اتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه والسكوت عما سكت عنه.

ثانيًا: إن نفي الصفات يستلزم نفي الذات؛ لأنه لا يتصور لدى كافة العقلاء وجود ذات مجردة عن الأسماء والصفات، ولذا برئ مذهب أهل السُّنة من التعطيل.

ثالثًا: إن الاتفاق في اسم أو صفة بين الخالق والمخلوق عند الإطلاق لا يقتضي أن يكون الخالق كالمخلوق، فإذا كان مثلًا الملك والبعوضة قد اشتركا في مسمى الوجود والحياة مع تفاوت ما بينهما، فالخالق سبحانه أولى بمباينته للمخلوقات، وإن حصلت الموافقة في بعض الأسماء والصفات، ولذا نزه أهل السُّنة مذهبهم من لوثة التكييف والتمثيل(١).

رابعًا: إن الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها، فيختلف معناها بحسب ما يضاف إليه، فتستعمل مطلقة غير مضافة، فيقال: الحياة والعلم والقدرة، فتكون معاني في الأذهان ليس لها وجود في الخارج والأعيان، وقد تستعمل مضافة إلى الخالق فتختص به على ما يليق بعظمته وكماله، وقد تضاف إلى المخلوق فتختص به على ما يليق بعجزه وفقره ونقصه، فيقال مثلًا: حياة الخالق حياة كاملة لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، ويقال: حياة المخلوق حياة ناقصة مسبوقة بالعدم، وملحوقة بالفناء، ومشمولة بالنقص والعجز والآفات(٢).

خامسًا: يمكن إثبات صحة مذهب أهل السُّنة عبر ما يسمى بدليل (السبر والتقسيم) عند المناطقة، فيقال: إن الحق إما أن يكون فيما قاله أهل السنة

---

(١) ينظر تقرير هذا المعنى في: التدمرية (ص٢٠) وما بعدها، والفتاوى (٥/ ٣٥٢) وما بعدها.
(٢) انظر: منهج ودراسات للشنقيطي (ص٥).

وهم الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، أو فيما قاله غيرهم من أهل التعطيل والتمثيل، فإن كان الحق فيما قاله أهل السنة فهو المطلوب ويلزم اتباعه، وإن كان الحق فيما قاله هؤلاء لزم أن يكون قول أهل السنة باطلًا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، ويقول: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، وأن يكون أهل السنة وإمامهم رسول الله ﷺ، ومقدمهم خلفاؤه وسائر الصحابة **متصفين بأحد الوصفين التاليين:**

١- إما الجهل بالحق، ويكون أفراخ اليهود والنصارى والصابئين والمجوس هم أهل العلم به.

٢- أو كتمانه.

وهذان الوصفان ممتنعان بالضرورة، فإذا امتنع هذان الوصفان فإن امتناع اللازم يدل على امتناع الملزوم، وحينئذ يمتنع أن يكون الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون والتابعون لهم بإحسان على الباطل، وإذا امتنع ذلك لزم أن يكونوا على الحق، ومن عداهم فعلى الباطل، هذا دليل عقلي واضح(١).



(١) من تقرير شيخنا محمد بن عثيمين رحمه الله.



المبحث الرابع

قواعد في أسماء الله تعالى

١- أسماء الله تعالى كلها حسنى:

جاء وصف أسمائه تعالى بالحسنى في أربعة مواضع من القرآن، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ⁽٨⁾﴾ [طه: ٨]، وقال جل جلاله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤]، وقال جل وعلا: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، و(الحسنى) مؤنث (أحسن) وهو اسم تفضيل، وليس مؤنث (حسن)؛ لأن مؤنث (حسن): حسنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الحسنى: المفضلة على الحسنة... أثبت له الأسماء الحسنى وأمر بالدعاء بها، فظاهر هذا أن له جميعَ الأسماء الحسنى»[(١)]، وقال أيضًا: «وليس في أسمائه الحسنى إلا اسم يمدح به؛ ولهذا كانت كلها حسنى، والحسنى بخلاف السوأى، فكلها حسنة، والحسن محبوب ممدوح»[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم: «أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله... فهي أسماء، وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى؛ إذ لو كانت

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٤١).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٤٠٩).

ألفاظًا لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان، وبالعكس، فيقال: اللهم إني ظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت المنتقم، واللهم أعطني، فإنك أنت الضار المانع، ونحو ذلك»[(١)].

۞ ٢- أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف:

«أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف؛ أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله ﷻ، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص، فـ(الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم) كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله ﷻ، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا»[(٢)]، قال الإمام ابن القيم: «إن أسماءه ﷻ الحسنى هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد؛ فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة، فنافتها العلمية المختصة؛ بخلاف أوصافه تعالى»[(٣)].

وبهذا يتبين «غلط من جعل هذه الأسماء مقولة بالاشتراك اللفظي[(٤)] لا المعنوي، وغلط من جعل أسماء الله تعالى أعلامًا محضة لا تدل على معان»[(٥)].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١-٥٢)، وانظر: العواصم والقواصم (٧/ ٢٢٨)، تفسير السعدي (ص٣٠٩).

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٨).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٥)، وانظر: النقض على المريسي (ص٤٨)، جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية (ص١٢٩).

(٤) الألفاظ المشتركة: ما اتحد لفظه وتعدد معناه، كالعين تطلق على عين الماء والعين الباصرة والجاسوس. انظر: التحبير شرح التحرير (١/ ٣٤٨).

(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٠٦).

۞ ٣- أسماء الله تعالى توقيفية:

أسماء الله تعالى توقيفية[١]؛ يتوقف في إثباتها على ما جاء في الكتاب والسنة، ولا يجوز تسمية الله تعالى بغير ما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ، ولا يتجاوز القرآن والحديث.

قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فمن سمى الله تعالى بما لم يسمِّ به نفسه فقد اتبع ما ليس له به علم، وهذا من الإلحاد في أسمائه تعالى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]، قال الإمام ابن حزم: «فمنع تعالى أن يسمى إلا بأسمائه الحسنى، وأخبر أن من سماه بغيرها فقد ألحد، والأسماء الحسنى بالألف واللام لا تكون إلا معهودة، ولا معروف في ذلك إلا ما نص الله تعالى عليه، ومن ادعى زيادة على ذلك كلف البرهان على ما ادعى، ولا سبيل له إليه، ومن لا برهان له فهو كاذب في قوله ودعواه»[٢].

قال الإمام ابن عبد البر: «لا نسمِّيه، ولا نصفه، ولا نطلق عليه إلا ما سمَّى به نفسه»[٣]، وقال الإمام أبو المظفر السمعاني: «الأصل في أسامي الرب تعالى هو التوقيف»[٤].

وقال العلامة ابن عثيمين: «أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا

---

(١) قال السفاريني: «التوقيفي: ما ورد به كتاب أو سنة صحيحة أو حسنة أو إجماع؛ لأنه لا يخرج عنهما، وأما السنة الضعيفة والقياس فلا يثبت بهما؛ لأن المسألة من العِلميات» (لوامع الأنوار البهية ١/ ١٢٥).

(٢) المحلى (١/ ٥٠)، وانظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٠٧)، شأن الدعاء (١/ ١١١).

(٣) التمهيد (٧/ ١٣٧).

(٤) قواطع الأدلة في الأصول (١/ ٢٨).

ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣]، ولأن تسميته تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص»[(١)].

ومن أهل العلم من حكى خلافًا في تسمية الله تعالى بما كان متصفًا بمعناه وإن لم يرد في أسمائه الحسنى، يقول السفاريني: «الأسماء الحسنى في القول الحق المعتمد عند أهل الحق توقيفية بنص الشرع وورود السمع بها، ومما يجب أن يعلم أن علماء السنة اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء الحسنى والصفات العلا على الباري جل وعلا إذا ورد بها الإذن من الشارع، وعلى امتناعه على ما ورد المنع عنه، واختلفوا حيث لا إذن ولا منع في جواز إطلاق ما كان تعالى متصفًا بمعناه»[(٢)].

والتحقيق هو ما ذكره الإمام ابن القيم بقوله: «ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفًا، كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه، هل هي توقيفية؟ أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع؟»[(٣)].

فيجوز الإخبار عن الله جل وعلا بكل ما صح معناه إذا احتيج إلى ذلك، وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات.

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص١٣).

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ١٢٤-١٢٥).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٥-٢٨٦)، وانظر: مجموع الفتاوى (٩/ ٣٠٠-٣٠١).

۞ ٤- أسماء الله غير محصورة بعدد معين:

أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين، ويدل على ذلك ما جاء عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما قال عبد قط إذا أصابه هَمٌّ وحزن: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله** عَزَّ وَجَلَّ **همه، وأبدله مكان حزنه فرحًا**»، قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: «**أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**»(١).

والشاهد هو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»، قال الإمام ابن القيم: «الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد؛ فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما في الحديث الصحيح: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»، فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرَّف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحد من خلقه، ولهذا قال: **(استأثرت به) أي:** انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل الله بها كتابه»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٧/ ٣٤١)، والبزار (البحر الزخار ح١٩٩٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٩٠) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: «رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح، غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان» (مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٦)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة رقم١٩٩).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٦).

وأما حديث: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»[١]، فقد قال الإمام النووي: «اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه ﷻ، فليس معناه: أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد: الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء، ولهذا جاء في الحديث الآخر: «**أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»، وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم أنه قال: لله تعالى ألف اسم، قال ابن العربي: وهذا قليل فيها[٢]، والله أعلم»[٣].

وقال الإمام البيهقي: «ليس في قول النبي ﷺ: «**لله تسعة وتسعون اسمًا**» نفي غيرها، وإنما وقع التخصيص بذكرها؛ لأنها أشهر الأسماء وأبينها معانيَ، وفيها ورد الخبر أن من أحصاها دخل الجنة»[٤].

وخالف الإمام ابن حزم، فقال: «إن له ﷺ تسعةً وتسعين اسمًا مائة غير واحد، وهي أسماؤه الحسنى، من زاد شيئًا من عند نفسه فقد ألحد في أسمائه، وهي الأسماء المذكورة في القرآن والسنة... وقد صح أنها تسعة وتسعون اسمًا فقط، ولا يحل لأحد أن يجيز أن يكون له اسم زائد؛ لأنه عليه السلام قال: «**مائة غير واحد**»، فلو جاز أن يكون له تعالى اسم زائد لكانت مائة اسم، ولو كان هذا لكان قوله عليه السلام: «**مائة غير واحد**» كذبًا، ومن أجاز هذا فهو كافر»[٥].

قال الحافظ ابن حجر: «وهذا الذي قاله ليس بحجة...؛ لأن الحصر

(١) أخرجه البخاري (ح٢٧٣٦)، ومسلم (ح٢٦٧٧).
(٢) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٣/ ٥٨٠).
(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥).
(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢٧).
(٥) المحلى (١/ ٥٠-٥١)، وانظر: المحلى (٦/ ٢٨٢).

المذكور عندهم باعتبار الوعد الحاصل لمن أحصاها، فمن ادعى على أن الوعد وقع لمن أحصى زائدًا على ذلك أخطأ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون هناك اسم زائد»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن جملة **(من أحصاها دخل الجنة)** «صفة للتسعة والتسعين ليست جملة مبتدأة، ولكن موضعها النصب، ويجوز أن تكون مبتدأة، والمعنى لا يختلف، والتقدير: أن لله أسماء بقدر هذا العدد من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل: إن لي مائة غلام أعددتهم للعتق، وألف درهم أعددتها للحج، فالتقييد بالعدد هو في الموصوف بهذه الصفة، لا في أصل استحقاقه لذلك العدد؛ فإنه لم يقل إن أسماء الله تسعة وتسعون»(٢).

ولهذا اتفق أهل العلم على أن هذا الحديث ليس فيه حصر الأسماء الحسنى، كما نقل ذلك الإمام النووي، وقد مر.

۞ ٥- اتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسمَّيات:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «سمى الله نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء، فكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشركه فيها غيره، وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص، ولم يلزم من اتفاق الاسمين تماثل مسماهما واتحاده عند الإطلاق والتجريد عن الإضافة والتخصيص، لا اتفاقهما، ولا تماثل المسمى عند الإضافة والتخصيص، فضلًا عن أن يتحد مسمَّاهما عند الإضافة والتخصيص، فقد سمى الله نفسه حيًّا، فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وسمى بعض عباده حيًّا، فقال: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ [يونس: ٣١] وليس هذا الحي مثل هذا الحي؛ لأن قوله: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ اسم لله مختص به، وقوله: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥] اسم

---

(١) فتح الباري (١١/ ٢٢١)، وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨١)، شفاء العليل (ص٢٧٧).
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨١).

للحي المخلوق مختص به، وإنما يتفقان إذا أُطلقا وجُرِّدا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج، ولكن العقل يفهم من المطلق قدرًا مشتركًا بين المسمَّيين، وعند الاختصاص يقيَّد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق. ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يُفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دل عليه بالإضافة والاختصاص، المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»[(١)].

۞ ٦- باب الأفعال والإخبار عن الله أوسع من باب الأسماء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيئ، لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيئ، وإن لم يحكم بحسنه، مثل اسم: شيء، وذات، وموجود -إذا أريد به الثابت، وأما إذا أريد به الموجود عند الشدائد، فهو من الأسماء الحسنى- وكذلك المريد، والمتكلم؛ فإن الإرادة والكلام تنقسم إلى محمود ومذموم، فليس ذلك من الأسماء الحسنى، بخلاف الحكيم والرحيم والصادق ونحو ذلك، فإن ذلك لا يكون إلا محمودًا»[(٢)]، وقال أيضًا: «إذا أُخبر عنه يُخبَر باسم حسن أو باسم لا ينفي الحسن، ولا يجب أن يكون حسَنًا»[(٣)].

وقال الإمام ابن القيم: «الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالًا لم يتسمَّ منها بأسماء الفاعل، كأراد، وشاء، وأحدث، ولم يسم بالمريد والشائي والمحدِث، كما لم يسمِّ نفسه بالصانع والفاعل والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعل اسمًا، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسماه الماكر، والمخادع، والفاتن، والكائد ونحو ذلك، وكذلك

(١) التدمرية (ص٢١-٢٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٢).
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٣).

باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به، فإنه يخبر عنه بأنه شيء، وموجود، ومذكور، ومعلوم، ومراد، ولا يسمى بذلك»[١].

۞ ٧- أسماء الله تعالى منها ما يطلق عليه مفردًا ومقترنًا بغيره، ومنها ما لا يطلق عليه إلا مقترنًا بغيره:

قال الإمام ابن القيم: «إن أسماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفردًا ومقترنًا بغيره، وهو غالب الأسماء، كالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم، وهذا يسوغ أن يدعى به مفردًا ومقترنًا بغيره، فتقول: يا عزيز، يا حليم، يا غفور، يا رحيم، وأن يفرد كل اسم، وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ، لك الإفراد والجمع.

ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده، بل مقرونًا بمقابله، كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله، فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم عطاء ومنعًا ونفعًا وضرًّا وعفوًا وانتقامًا، وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار فلا يسوغ، فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد ولذلك لم تجئ مفردة، ولم تطلق عليه إلا مقترنة، فاعلمه، فلو قلت: يا مذل، يا ضار، يا مانع، وأخبرت بذلك لم تكن مثنيًا عليه ولا حامدًا له حتى تذكر مقابلها»[٢].



---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٨٣-٣٨٤).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٢٩٤-٢٩٥).

۞ ٨- دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة[(١)]، وبالتضمن[(٢)]، وبالالتزام[(٣)]:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أسماؤه كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة، ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته، ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر، فالعزيز يدل على نفسه مع عزته، والخالق يدل على نفسه مع خلقه، والرحيم يدل على نفسه مع رحمته، ونفسه تستلزم جميع صفاته، فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة، وعلى أحدهما بطريق التضمن، وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم»[(٤)].

فاسم الله الخالق يدل على ذاته سبحانه، وعلى صفة الخلق دلالة مطابقة، وعلى أحدهما دلالة تضمن، وعلى صفتي القدرة والعلم بطريق اللزوم، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال الإمام ابن القيم: «الاسم من أسمائه له دلالات: دلالة على الذات والصفة بالمطابقة، ودلالة على أحدهما بالتضمن، ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم»[(٥)].

وقال الشيخ حافظ حكمي: «اعلم أن دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها مطابقة وتضمنًا والتزامًا، فدلالة اسمه تعالى (الرحمن) على ذاته عَزَّ وَجَلَّ مطابقة، وعلى صفة الرحمة تضمنًا، وعلى الحياة وغيرها التزامًا، وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى»[(٦)].

---

(١) دلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ على تمام المعنى الذي وضع له.

(٢) دلالة التضمن: هي دلالة اللفظ على جزء مسماه، أو على جزء المعنى الموضوع له.

(٣) دلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على شيء خارج عن مسماه.

(٤) الإيمان (ص١٤٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٤)، (١٣/ ٣٨٣).

(٥) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٥).

(٦) معارج القبول (١/ ١١٩)، وانظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية (ص٢١).

۞ ٩- أسماء الله تعالى قد تدل على وصف متعدٍّ، وقد تدل على وصف لازم:

قال الإمام ابن القيم: «إن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، فيخبر به عنه فعلًا ومصدرًا، نحو السميع البصير القدير، يطلق عليه منه، السمع والبصر والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ١]، و﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ٢٣﴾ [المرسلات: ٢٣]، هذا إن كان الفعل متعديًا، فإن كان لازمًا لم يخبر عنه به نحو: الحي، بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل، فلا يقال: حَيِيَ»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة، استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٤﴾ [المائدة: ٣٤]؛ لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم.

مثال ذلك: (السميع) يتضمن إثبات السميع اسمًا لله تعالى، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، **وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين:**

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٦).

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله ﷻ.

مثال ذلك: (الحي) يتضمن إثبات الحي اسمًا لله ﷻ، وإثبات الحياة صفة له»[١].



(١) القواعد المثلى (ص١٠-١١).



المبحث الخامس

قواعد في صفات الله تعالى

١- صفات الله كلها صفات كمال:

صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، قال ابن جرير: «معناه: ولله الصفة العليا»[(١)]، وقال ابن القيم: «المثل الأعلى يتضمن: الصفة العليا، وعلم العالمين بها، ووجودها العلمي، والخبر عنها وذكرها، وعبادة الرب سبحانه بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكريه»[(٢)]، وقال الشيخ ابن عثيمين: «والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى»[(٣)].

وقال جل وعلا: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠]، «فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «صفات الكمال أمور وجودية، أو أمور

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٥٥٢)، تفسير القرطبي (٩/ ٣٢٤).

(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٣٤). (٣) القواعد المثلى (ص١٨).

(٤) العقيدة الواسطية (ص٦٠).

سلبية مستلزمة لأمور وجودية، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فنفي السِّنة والنوم استلزم كمال صفة الحياة والقيومية، وكذلك قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] استلزم ثبوت العدل، وقوله تعالى: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ٣] استلزم كمال العلم، ونظائر ذلك كثيرة، وأما العدم المحض فلا كمال فيه، **وإذا كان كذلك فكل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق فالخالق أحق به من وجهين:**

أحدهما: أن الخالق الموجود الواجب بذاته القديم أكمل من المخلوق القابل للعدم المُحْدث المربوب.

الثاني: أن كل كمال فيه فإنما استفاده من ربه وخالقه، فإذا كان هو مبدعًا للكمال وخالقًا له، كان من المعلوم بالاضطرار أن معطي الكمال وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون مُتصفًا به من المستفيد المبدَع المعطَى»[١].

وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله جل وعلا؛ كالموت والجهل والعجز ونحو ذلك، و«إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه، بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد والفاعل والصانع؛ فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق، بل هو الفَعَّال لما يريد؛ فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة، ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلًا وخبرًا»[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين: «إذا كانت الصفة كمالًا من وجه ونقصًا من وجه لم تكن ثابتة لله ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق، بل لابد من التفصيل، فتثبت لله في الحال التي تكون كمالًا، وتمتنع عليه في الحال التي تكون

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص١٣٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٧١، ٢٧٤)، منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٢٣).
(٢) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٤-٢٨٥).

نقصًا، كالمكر والكيد والخداع ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالًا إذا كانت في مقابلة مثلها؛ لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله، وتكون نقصًا في غير هذه الحال، فتثبت لله في الحال الأولى دون الثانية، قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الطارق: ١٥، ١٦]، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] إلى غير ذلك»[١].

۞ ٢- صفات الله تعالى توقيفية:

لا يجوز وصف الله تعالى بصفة لم ترد في الكتاب والسنة؛ لأن باب الصفات توقيفي[٢]، يعني: يتوقف في إثباتها على ما جاء في الكتاب والسنة، قال الإمام أحمد: «لا يُوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ، لا يُتَجاوَز القرآن والحديث»[٣].

وقال الإمام الدارمي: «لا يجوز أن يوصف الله إلا بما وصف به نفسه»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يُتَجاوز القرآن والحديث»[٥].

و«**لدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:**

الأول: التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين، ونحوها.

---

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد (ص٢٤-٢٥).
(٢) انظر: الأدلة على ذلك في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء الحسنى.
(٣) سبق نقله وتوثيقه.
(٤) النقض على المريسي (٢/ ٧٤٠)، وانظر: الشريعة، للآجري (٢/ ١٠٥١)، الإبانة الكبرى، لابن بطة (٧/ ٩١).
(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦).

الثاني: تضمن الاسم لها، مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين، الدال عليها على الترتيب قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقول النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا...**» الحديث، وقول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]»[(١)].

۞ ٣- باب الصفات أوسع من باب الأسماء:

باب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ لأن كل اسم يدل على صفة أو صفات أخرى لله تعالى بالمطابقة، أو التضمن، أو الالتزام، كما سبق[(٢)]، قال الإمام ابن القيم: «الاسم إذا أطلق عليه؛ جاز أن يشتق منه المصدر والفعل، فيخبر به عنه فعلًا ومصدرًا، نحو: السميع البصير القدير، يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة»[(٣)].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين: «باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة... ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧﴾ [لقمان: ٢٧]، ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى: المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تُحصى، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، وقال:

---

(١) القواعد المثلى (ص٢٨-٢٩).

(٢) انظر القاعدة الثامنة من قواعد الأسماء الحسنى.

(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٦).

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١١]، وقال: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**»، فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه: الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به»[(١)].

۞ ٤- انقسام الصفات إلى ثبوتية وسلبية متضمنة لكمال ضدها:

توحيد الصفات عند أهل السنة يقوم على ركنين:

الأول: الإثبات: وهو إثبات ما أثبته الله ورسوله إثباتًا من غير تكييف ولا تمثيل.

والثاني: النفي المتضمن إثبات كمال ضده: وهو نفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ، مع اعتقاد ثبوت كمال ضده تنزيها لله ﷻ بلا تحريف أو تعطيل، وقد دل على هذين الركنين قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ نفي يتضمن إثبات عموم كماله سبحانه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ إثبات لصفتي السمع والبصر على ما يليق بجلاله سبحانه، ففي الآية «نفى المِثْلَ، وأثبت الوصف»[(٢)].

و«كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده»[(٣)]. فقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، يدل أولًا

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٢١).
(٢) شرح الطحاوية (١/ ٨٧)، وانظر: التدمرية (ص٥٧).
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٦٨).

على نفي الظلم، ويدل ثانيًا على إثبات كمال العدل، فهو يدل على أمرين: نفي الظلم، وإثبات كمال العدل. وقوله سبحانه: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] يدل على أمرين: الأول: نفي السِّنَة والنوم، والثاني: إثبات كمال الحياة والقيومية، وهكذا كل نفي يأتي في الكتاب والسنة فإنما هو لإثبات كمال ضده.

فالصفات الثبوتية هي: كل صفة كمال أثبتها الله تعالى لنفسه، **والصفات السلبية هي:** كل صفة نقص نفاها الله تعالى عن نفسه.

قال الشيخ ابن عثيمين: «**صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية، وسلبية:**

فالثبوتية: ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك، فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به، بدليل السمع والعقل...

والصفات السلبية: ما نفاه الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه؛ كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب، فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه، فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه؛ لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي، فالإثبات كإخباره أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك، والنفي كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتًا، وإلا

(١) القواعد المثلى (ص٢١-٢٣).

فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل: ليس بشيء، فضلًا عن أن يكون مدحًا أو كمالًا، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال؛ فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنًا لإثبات مدح كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾، فنفي السِّنَة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام، فهو مبين لكمال أنه الحي القيوم»[1].

۞ ٥- التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصَّل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، ونفَوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل»، ثم ساق الشواهد لذلك من الكتاب والسنة، فذكر ثمانية أدلة للنفي المجمل وواحدًا وعشرين دليلًا للإثبات المفصل[2].

وهذه طريقة القرآن، قال الإمام ابن أبي العز: «يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلًا، والنفي مجملًا، عكس طريقة أهل الكلام المذموم»[3].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «وقد يأتي التفصيل في الصفات المنفية لأسباب، منها:

١- نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون المفترون، كقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩١].

٢- دفع توهم نقص في كماله، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨]»[4].

وقد يأتي الإثبات مجملًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾ [النحل: ٦٠]، لكنه قليل على خلاف الأصل.

---

(١) التدمرية (ص٥٧-٥٨).
(٢) التدمرية (ص٨) وما بعدها.
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٦٩).
(٤) تقريب التدمرية (ص١٩-٢٠).

۞ ٦- انقسام الصفات الثبوتية إلى ذاتية وفعلية:

الصفات الذاتية هي التي لم يزل ولا يزال سبحانه متصفًا بها.

والصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئته وإرادته.

قال الشيخ ابن عثيمين: «الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية، وفعلية:

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها، كالعلم، والقدرة، والسمع والبصر، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة. ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]»[١].

۞ ٧- الصفات الفعلية تنقسم إلى صفات فعلية لازمة، وصفات فعلية متعدية:

الصفات الفعلية اللازمة هي صفات الكمال الخاصة بالله تعالى التي لا تتعلق بالمخلوق، **والصفات الفعلية المتعدية** هي التي تتعلق بالمخلوق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الله تعالى وصف نفسه بالأفعال اللازمة، كالاستواء، وبالأفعال المتعدية كالخلق، والفعل المتعدي مستلزم للفعل اللازم؛ فإن الفعل لا بد له من فاعل، سواء كان متعديًا إلى مفعول أو لم يكن، والفاعل لا بد له من فعل، سواء كان فعله مقتصرًا عليه أم متعديًا إلى غيره،

---

(١) القواعد المثلى (ص٢٥)، وانظر: الفقه الأكبر لأبي حنيفة (ص١٤-١٦)، مجموع الفتاوى (٦/ ٦٨، ٢١٧)، شرح الطحاوية (١/ ٩٦)، التنبيهات السنية، للرشيد (ص١٩-٢٠).

والفعل المتعدي إلى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله، إذ كان لا بد له من الفاعل، وهذا معلوم سمعًا وعقلًا»(١).

وقال أيضًا: «الأفعال اللازمة المضافة إلى الرب سبحانه وتعالى، مثل: المجيء والإتيان والاستواء إلى السماء وعلى العرش، والأفعال المتعدية، مثل: الخلق والإحسان والعدل وغير ذلك»(٢).

وقال أيضًا: «من أعظم الأصول معرفة الإنسان بما نعت الله به نفسه من الصفات الفعلية، كقوله في هذه السورة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق: ١، ٢]، والخلق مذكور في مواضع كثيرة وكذلك غيره من الأفعال، **وهو نوعان:**

فعل متعدٍّ إلى مفعول به، مثل: (خلق) فإنه يقتضي مخلوقًا، وكذلك (رزق)، كقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الروم: ٤٠].

وكذلك الهدى والإضلال والتعليم والبعث والإرسال والتكليم، وكذلك ما أخبر به من قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]، ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢].

وقوله في الآية الأخرى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [غافر: ٦٤]، وهذا في القرآن كثير جدًّا.

والأفعال اللازمة، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣-٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٨) بتصرف يسير، وانظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٧٢-٣٧٣).

ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]»[١].

وقال الإمام ابن القيم: «الصفات نوعان:

أحدهما: ما له تعلق بالمخلوق، كالقدرة والمشيئة والرحمة والعلم والسمع والبصر.

والثاني: ما لا يتعلق به، كالصفات اللازمة كالحياة والجمال»[٢].

فالحاصل: أن الإيمان بصفات الله تعالى المتعدية يشمل «الإيمان بالصفة، وما دلت عليه من المعنى، وبما تعلق بها من الآثار، فنؤمن بأنه عليم، وذو علم، ولا تخفى عليه خافية»[٣]، وأما الإيمان بصفات الله اللازمة فيشمل الإيمان بالصفة، وما دلت عليه من المعنى.

۞ ٨- القول في بعض الصفات كالقول في بعض:

القول في الصفات إثباتًا ونفيًا كالقول في البعض الآخر، والتفريق بينها تفريق بين المتماثلات، والتفريق بين المتماثلات تناقض، والتناقض دليل على بطلان المذهب، وبهذه القاعدة يرد على الأشاعرة ونحوهم الذين فرقوا بين الصفات، فأثبتوا بعضها ونفوا بعضها، وعلى المعتزلة الذين فرقوا بين الأسماء والصفات، بل يرد بها على جميع المعطلة[٤].

۞ ٩- القول في الصفات كالقول في الذات:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٧٢-٣٧٣).
(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٤/ ١٣٣٥).
(٣) التنبيهات السنية (ص٢٠).
(٤) انظر: التدمرية (ص٣١-٣٣).

سائر الذوات، فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟ قيل له -كما قال ربيعة ومالك وغيرهما: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة»؛ لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه. وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى سماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفيته. قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له، وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه ونزوله واستوائه، وأنت لا تعلم كيفية ذاته؟! وإذا كنتَ تقرُّ بأن له ذاتًا حقيقة، ثابتة في نفس الأمر، مستوجبة لصفات الكمال، لا يماثلها شيء، فسمعه وبصره، وكلامه ونزوله واستواؤه ثابت في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم، وكلامهم ونزولهم واستواؤهم»[(١)].

وبهذه القاعدة يرد على المعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات؛ فإن إثباتهم ذاتًا لله تعالى لا تشبه الذوات، يستلزم إثبات صفات لله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين.

۞ ١٠- الواجب إثبات الصفات على ظاهرها اللائق بالله تعالى:

ظاهر الصفة هو ما يتبادر معناه إلى الذهن وَفْق لسان العرب، وهو المُعَبَّر عنه عند علماء البلاغة بالحقيقة، والقاعدة المقررة عندهم أنه يتعين حمل اللفظ على حقيقته، ولا يجوز صرفه عن الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا وصف الله نفسه بصفة أو وصفه بها رسوله أو وصفه بها المؤمنون الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر ومجاز ينافي الحقيقة **لا بد فيه من أربعة أشياء:**

(١) التدمرية (ص٤٣-٤٥).

أحدها: أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي؛ لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب أو خلاف الألسنة كلها، فلا بد أن يكون ذلك المعنى المجازي مما يراد به اللفظ، وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له؛ وإن لم يكن له أصل في اللغة.

الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة وفي معنى بطريق المجاز لم يجز حمله على المجازي بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء، ثم إن ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة فلا بد له من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف، وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل مرجِّح للحمل على المجاز.

الثالث: أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض، وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصًّا قاطعًا لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهرًا فلا بد من الترجيح.

الرابع: أن الرسول ﷺ إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد حقيقته فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته، وأنه أراد مجازه سواء عينه أو لم يعينه، لا سيما في الخطاب العلمي الذي أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم؛ دون عمل الجوارح»[١].

۞ ١١- الصفات معلومة المعنى مجهولة الكيفية:

صفات الله - جل وعلا - باعتبار المعنى معلومة، وباعتبار الكيف مجهولة، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

أما الكتاب فقد قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]،

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦٠-٣٦١).

ووجه الاستدلال: أن التدبر لا يكون إلا فيما يعلم معناه، ومن المعلوم أن أشرف ما في القرآن هو ما أخبر به الرب عن صفاته، فكيف لا يكون ذلك داخلًا فيما أمر الله بتدبره، قال جل وعلا: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وبيان النبي ﷺ القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه، ولا يجوز أن يعتقد أن آيات الأسماء والصفات مما لم يبينه رسوله ﷺ.

وأما الإجماع فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الصفات معلومة المعنى، قال الإمام مالك: «الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[١]، والشاهد قوله: «الاستواء غير مجهول» يعني معلوم المعنى من حيث اللغة.

وأما العقل فمن الممتنع عقلًا أن ينزل الله على نبيه كتابًا يهدي للتي هي أقوم، وتبقى أشرف الأمور (صفات الله جل وعلا) مجهولة المعنى، ولا يفهم منها شيء، فهذا مما تأباه حكمة الله تعالى[٢].



(١) هذا الجواب مأثور عن مالك الأسماء والصفات للبيهقي (ص: ٥١٥) بإسناد جيد، كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٧)، وورد عن ربيعة شيخ مالك. انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٣٩٨)، والأسماء والصفات للبيهقي (ص: ٥١٦). وروي عن أم سلمة موقوفًا ومرفوعًا، ولكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس إسناده مما يعتمد عليه» (الفتاوى ٥/ ٣٦٥). وقال الألباني عن المرفوع: «لا يصح»، ثم قال: «والصواب عن مالك أو أم سلمة، والأول أشهر» تخريج شرح الطحاوية (ص: ٢٨١).

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص١٨١).



المبحث السادس

مخالفات منهجية في توحيد الأسماء والصفات

وهي ستة:

أولًا: التحريف.

ثانيًا: التعطيل.

ثالثًا: التمثيل.

رابعًا: التكييف.

خامسًا: التأويل[١].

سادسًا: التفويض[٢].

وسنتوقف عند هذه المصطلحات بالتعريف والبيان إن شاء الله.



(١) التأويل لا يعد من المخالفات المنهجية بإطلاق؛ لأن منه ما هو حق وهو ما دل عليه الدليل، ومنه ما هو باطل، وهو ما لم يدل عليه الدليل، كما سيأتي.

(٢) التفويض ليس من المخالفات المنهجية بإطلاق؛ لأن منه ما هو حق وهو تفويض الكيفية، ومنه ما هو باطل وهو تفويض المعنى، كما سيأتي.

أولًا: التحريف

تعريف التحريف:

التحريف لغة: التغيير والإمالة[١]، وفي «المصباح»: «تحريف الكلام: العدول به عن جهته»[٢].

وفي الاصطلاح: هو تغيير النصِّ لفظًا أو معنى.

وبعضهم يقول: تغيير ألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير معانيها[٣]، وهذا أخصُّ من الأول.

أقسامه وأمثلته:

التحريف قسمان:

الأول: تحريف لفظي: كمحاولة بعض المبتدعة قراءة قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، بنصب لفظ الجلالة[٤]، وذلك لنفي صفة الكلام عن الله سبحانه وجعل الكلام لموسى.

ويُروى أن جهميًّا طلب من أبي عمرو بن العلاء أحد القراء أن يقرأ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ بنصب لفظ الجلالة، فقال له: هَبْنِي فعلت ذلك، فما تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟! فبُهت الجهمي[٥].

والتحريف اللفظي يكون إما بزيادة، أو نقصان، أو بتغيير حركة إعرابية،

---

(١) انظر: لسان العرب (٩/ ٤٣).
(٢) المصباح المنير (١/ ١٥٨).
(٣) التنبيهات السنية، للرشيد (ص٢٢).
(٤) رأيت بعضهم يمثل لهذا النوع من التحريف اللفظي بالاستيلاء، والحقيقة أن هذا تحريف معنوي لا لفظي؛ لأنه تأويل لمعنى الاستواء وليس تحريفًا للفظه.
(٥) التنبيهات السنية (ص٢٢)، وانظر: الصواعق المرسلة (١/ ٢١٨).

وإما غير إعرابية، فهذه أنواع أربعة[١].

والتحريف اللفظي قد لا يتغير معه المعنى، مثل فتح دال (الحمد) من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، والغالب أن هذا يقع من جاهل؛ إذ لا أثر له على المعنى.

وقد يتغير معه المعنى، كما مرَّ.

الثاني: تحريف معنوي: وهو إبقاء اللفظ كما كان وصرف معناه عن المراد به، مثل تأويل الاستواء: بالاستيلاء، واليد: بالنعمة، وفوق ذلك غلوُّ تحريف الجهمية الذي قادها إلى التعطيل الكلي، وأشد منه كفرًا تحريفات الرافضة والباطنية وغلاة الصوفية[٢].

حكم التحريف:

التحريف محرم؛ لأنه تغيير لكلام الله تعالى، وقول على الله بلا علم، وقد ذمَّ الله الذين يحرفون الكلم عن مواضعه من بني إسرائيل وغيرهم، كما في قوله سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦]، والمحرفون للصفات فيهم شَبَهٌ من اليهود والنصارى.

وقد يصل التحريف إلى حدِّ الكفر؛ ولهذا قال الإمام ابن أبي العز: «وكلّ من التحريف والانحراف على مراتبَ: فقد يكون كفرًا، وقد يكون فسقًا، وقد يكون معصية، وقد يكون خطأً»[٣].

نفي التحريف أوْلى من نفي التأويل:

إن التعبير بنفي التحريف أولى من التعبير بنفي التأويل، لوجهين:

الأول: لأن هذا هو الذي ورد بذمِّه القرآن، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن

---

(١) انظر: مختصر الصواعق (٢/ ١٤٧).

(٢) انظر في أنواع التأويل: الصواعق المرسلة (١/ ٢١٥).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ١٣).

مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]. فالتعبير القرآني أوْلى من غيره؛ لأنه أدل على المعنى المقصود.

الثاني: إن التأويل منه ما هو حق -وهو ما وافق الكتاب والسنة- ومنه ما هو باطل -وهو ما خالفهما- فلا يجوز نفي التأويل مطلقًا ولا إثباته مطلقًا، بخلاف التحريف فهو باطل كله، وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذين الوجهين، فقال: «إني عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف؛ لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمِّه... ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات؛ لأنه لفظ له عدة معانٍ... فإن معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف؛ لأن من المعاني التي قد تسمى تأويلًا ما هو صحيح منقول عن بعض السلف، فلم أَنْفِ ما تقوم الحجة على صحته، فإذا ما قامت الحجة على صحته وهو منقول عن السلف فليس من التحريف»[1].



(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٥-١٦٦).

ثانيًا: التعطيل

تعريف التعطيل:

التعطيل في اللغة: مأخوذ من العطل الذي هو: الخلوُّ والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ [الحج: ٤٥]؛ أي: تركها أهلها وأهملوا ورودها ومنه: (جيد عاطل)؛ أي: خالٍ من الزينة[١].

والتعطيل اصطلاحًا: هو نفي صفاته سبحانه، وإنكار قيامها بذاته جل شأنه[٢].

أقسام التعطيل:

ينظر الإمام ابن القيم إلى لفظ التعطيل نظرة شمولية لا تقتصر على توحيد الأسماء والصفات، بل تشمل التعطيل في أنواع التوحيد كلها، **فذكر أن التعطيل ثلاثة أقسام:**

الأول: تعطيل المصنوع من صانعه، كتعطيل الفلاسفة الذين زعموا قِدم هذه المخلوقات وأنها تتصرف بطبيعتها، وكتعطيل الدهرية القائلين: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤]، ومثله تعطيل الشيوعيين القائلين: لا إله والحياة مادة.

الثاني: تعطيل الصانع من كماله المقدس، بتعطيله من أسمائه وصفاته، كتعطيل الجهمية.

الثالث: تعطيل حق معاملته بترك عبادته كفعل الكافرين، أو عبادة غيره معه كفعل المشركين[٣].

---

(١) انظر: لسان العرب (١١/ ٤٥٣)، الصحاح (٥/ ١٧٦٧).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٦٩)، التنبيهات السنية، للرشيد (ص٢٣).

(٣) انظر: الجواب الكافي، لابن القيم (ص١٣٠)، التنبيهات السنية (ص٢٣).

ومن هذا التقسيم يتضح أن القسم الأول يدخل في الربوبية، والثاني يدخل في الأسماء والصفات، والثالث يدخل في الأُلوهية.

ويمكن أن يقسم التعطيل الخاص بالأسماء والصفات إلى أربعة أقسام:

١- إثبات الأسماء وبعض الصفات، وتأويل الباقي، كمذهب الكُلَّابية والأشاعرة والماتريدية.

٢- إنكار الصفات وإثبات الأسماء في الجملة، كطريقة أهل الاعتزال.

٣- إنكار الأسماء والصفات كمذهب جَهْمٍ.

٤- وصف الله بسلب النقيضين، وهو مذهب الباطنية والملاحدة الذين قالوا: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت[١].

حكم التعطيل:

أما حكم التعطيل فقد يكون كفرًا، وقد يكون دون ذلك، فإن كان تكذيبًا فهو كفر، وإن كان تأويلًا فيجري فيه حكم التأويل الذي سبقت الإشارة إليه في حكم التحريف، ومن التعطيل ما هو شر من الشرك، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتعطيل شرٌّ من الشرك؛ فإن المعطل جاحد للذات أو لكمالها، وهو جحد لحقيقة الإلهية... والمشرك مقرٌّ بالله وصفاته، لكن عبد معه غيره، فهو خير من المعطل للذات والصفات»[٢].

ويحكم نعيم بن حماد بالكفر على المعطلة، فيقول: «من شبَّه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهٌ»[٣].

---

(١) راجع رد ابن تيمية على هذه الطوائف في رسالته النفيسة: التدمرية.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٧٨-٣٧٩)، وانظر: النونية لابن القيم مع شرحها توضيح المقاصد (٢/ ٤٥١-٤٥٢).

(٣) رواه الذهبي في العلو (ص١١٦)، وانظر: شرح السنة للالكائي (٣/ ٥٣٢)، شرح الطحاوية (١/ ٨٥).

وهذا الحكم قد يعم من جحد بتأويل كما يعم من جحد بتكذيب، ولا خلاف أن المكذِّب باسم من أسماء الله أو بصفة من صفاته كافر، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ [الرعد: ٣٠]، ولذا كفَّر الأئمة من نفى كلام الله سبحانه على جهة التكذيب.

قال ابن القيم في النونية:

ولقد تقلَّد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهمُ بل حكاه قبله الطبراني[(١)]

«أي أن القائلين بخلق القرآن كفَّرهم خمسمائة عالم من علماء المسلمين»[(٢)].

وقد تولى أئمة السنة الرد على المعطلة، وقد نقض أسسهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: «بيان تلبيس الجهمية» المسمى بـ «نقض التأسيس»، ومن قبله نقدها أئمة السنة: كالدارمي والبخاري والخلال وغيرهم، ومن بعده أئمة الدعوة، ومن علماء العصر: ابن باز وابن عثيمين والفوزان وغيرهم.

تاريخ مقالة التعطيل:

أول من قال بهذا الضلال هو الجعد بن درهم[(٣)]، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: «أول من أتى بخلق القرآن جعد بن درهم»[(٤)]، فهو

---

(١) النونية لابن القيم مع شرح ابن عيسى المسمى: توضيح المقاصد (١/ ٢٩٠).

(٢) توضيح المقاصد (١/ ٢٩٦).

(٣) قال ابن حجر: «مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر والقصة مشهورة، وكان مقتله سنة ١١٨هـ». وانظر في حاله: ميزان الاعتدال (١/ ٣٩٩)، ولسان الميزان (٢/ ١٠٥)، سُرح العيون لابن نباتة (ص٢٩٣-٢٩٤).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ص٢٨٢)، ويلاحظ أن النص المذكور له تتمة هي: وقاله (أي خلق القرآن) في سنة نيف وعشرين ومائة، ولم يتعقب المحقق هذا النص بشيء!! رغم أن الجعد قتل نحو سنة (١١٨هـ).

أول من قال بمبدأ التعطيل من هذه الأمة، ثم تلقى ذلك عنه الجهم بن صفوان[١].

أما جذور مقالة التعطيل فقد قيل[٢]: إنها ترجع إلى مصادر أجنبية، فقد ذكر ابن الأثير وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما أن الجعد استمد مقالة التعطيل من أبان بن سمعان، وأخذه أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، وكان يقول بخلق القرآن، وكان طالوت زنديقًا، وهو أول من صنف لهم في ذلك، ثم أظهره الجعد بن درهم[٣]، وذكر الخطيب البغدادي أن والد بشر المريسي -وهو أحد كبار القائلين بخلق القرآن- كان يهوديًّا[٤]. ويشير شيخ الإسلام ابن تيمية إلى مصادر أجنبية أخرى ترجع إليها مقالة التعطيل؛ فيذكر أن الجعد بن درهم كان من أهل حرَّان، وكان فيهم من بقايا الصابئين والفلاسفة خصوم إبراهيم عليه السلام، فلهذا أنكر تكليم موسى وخلة إبراهيم بناء على أصل هؤلاء النفاة، وهو أن الرب تعالى لا يقوم به كلام ولا محبة لغيره، فقتله المسلمون، ثم انتشرت مقالته فيمن ضل من هذا الوجه، وأخذ بهذه المقالة فرق الجهمية بمختلف درجاتها[٥].

هذا، ونقض مقالاتهم كثير في كلام التابعين وتابعيهم والأئمة من بعدهم[٦].

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٢٧)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٢٠)، درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٤٤).

(٢) هذا يذكر في مقام الاستئناس لا الاستشهاد؛ لأن هذه المقالة ليس لها إسناد معتبر، وفيها رجال مجهولون، ومن دقة ابن تيمية أنه يحكيها بصيغة التمريض (قيل، ويروى). ينظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٣٤).

(٣) انظر: الكامل لابن الأثير (٥/ ٢٩٤)، الحموية لابن تيمية (ضمن الفتاوى) (٥/ ٢٠-٢١)، سرح العيون لابن نباتة (ص٢٩٣)، لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٢٣).

(٤) تاريخ بغداد (٧/ ٦١).

(٥) انظر: الفتوى الحموية (ص٢٣٢-٢٤٠).

(٦) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد، والرد على الجهمية للدارمي، وكتاب رد=

ثالثًا: التكييف

تعريفه:

التكييف لغة: تعيين كُنْه الصفة، وفي «المصباح»: «كيفية الشيء حاله وصفته»[(١)]، وهي اسم لما يجاب به عن السؤال بـ«كيف»، أخذ من (كيف) بإلحاق ياء النسبة وتاء النقل من الوصفية إلى الاسمية بها، كالكمية من (كمْ)، وهي كلمة مولّدة، **والمراد بها:** معرفة الحال؛ لأن كيف سؤال عن الحال[(٢)].

وشرعًا: حكاية كيفية الصفة، كقول القائل: كيفية يد الله أو نزوله إلى السماء الدنيا كذا وكذا[(٣)].

وعرفه بعضهم بقوله: «أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا، أو يسأل عنها بـ«كيف»»[(٤)].

طريقة أهل السُّنة في جواب من يسأل عن كيفية صفةٍ من صفات الله:

لهم في ذلك جوابان مشهوران:

الجواب الأول: جواب الإمام مالك وشيخه ربيعة وغيرهما، عن جعفر بن عبد الله قال: «جاء رجل إلى مالك بن أنس، فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى

= عثمان بن سعيد على المريسي العنيد، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة، والرد على الجهمية لابن منده، وما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والسفاريني وعلماء الدعوة وغيرهم.

(١) المصباح المنير (٢/ ٥٤٦).

(٢) انظر: لسان العرب (٩/ ٣١٢)، الكليات (ص٧٥٢)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص٢٨٦).

(٣) فتح رب البرية (٤/ ٢٢) ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين.

(٤) شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس (ص١٩).

ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال: فما رأيت مالكًا وجد من شيء كموجدته من مقالته، وعلاه الرُّحَضاء[(١)] - يعني: العَرَق - قال: وأطرق القوم وجعلوا ينظرون ما يأتي منه فيه، قال: فسرِّي عن مالك فقال: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالًّا»، وأمر به فأُخرج[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟ قيل له -كما قال ربيعة ومالك وغيرهما: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة؛ لأنه سؤال عمَّا لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه»[(٣)].

وقوله: «الاستواء معلوم» أي: في لغة العرب، وقوله: «والكيف مجهول» أي: كيفية استوائه سبحانه لا يعلم كُنْهها وكيفيتها إلا هو سبحانه، وقوله: «والسؤال عنه بدعة» أي: السؤال عن الكيف بدعة؛ لأن السلف لم يسألوا عنه، وقوله: «الإيمان به واجب» لتكاثر الأدلة من الكتاب والسُّنة في إثبات ذلك.

---

(١) الرُّحَضَاء -بضم الراء وفتح الحاء والضاد-، وهو العَرَق الكثير الذي يغسل الجلد لكثرته ولا يكون إلا من شكوى، جاء في لسان العرب مادة رحض (٧/ ١٥٤) ما يلي: يقال: رحض الرجل رَحْضًا: عرق حتى كأنه غسل جلده. والرُّحضاء: العرق. وحكى الفارسي عن أبي زيد: رُحِضَ رحضًا، فهو مرحوض إذا عرق فكثر عرقه على جبينه في رقاده أو يقظته، ولا يكون إلا من شكوى، وفي حديث نزول الوحي: «فمسح عنه الرحضاء»، وهو عرق يغسل الجلد بكثرته، وفي تفسير غريب الحديث «الرُّحضاء» -بضم الراء وفتح الحاء والضاد المعجمة مع المد: هو عرق الحمى. (تفسير غريب الحديث ص ١٠٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) التدمرية (ص٤٣-٤٤)، وهذا التعليل فيه نظر؛ لأنه يقتضي أن يكون السؤال عنه تكلفًا ومحاولة للمحال، ولكن نقول: السؤال عنه بدعة؛ لأنه لم يسأل عنه الصحابة ولا السلف الصالح (من تقرير شيخنا محمد بن عثيمين).

الجواب الثاني: وهو مبنيٌّ على أصل شريف، وهو أن القول في الصفات كالقول في الذات؛ فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فكما أن ذاته لا تماثل الذوات فكذلك صفاته سبحانه لا تماثل صفات سائر الذوات.

فإذا قال: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟

قيل له: كيف هو؟

فإذا قال: أنا لا أعلم كيفية ذاته.

قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية نزوله وبصره وتكليمه واستوائه، وأنت لا تعلم كيفية ذاته، وإذا كنت تقر بأن له ذاتًا حقيقية ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء، فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه ثابت في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم[(١)].

حكم التكييف:

التكييف حرام؛ لأنه من القول على الله بلا علم، لأن الله أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفيتها، أخبرنا أنه استوى على العرش، ولم يخبرنا كيف استوى، وهكذا.

والقول على الله بلا علم حرام، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، فالآية تدل على أن القول على الله بلا علم من أعظم المحرمات؛ فإنه بدأ بأسهلها وختم بأشدها وأعظمها تحريمًا، وهو

(١) انظر: التدمرية (ص٤٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١١٤-١١٥).

القول على الله بلا علم، وتواتر عن النبي ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار**»[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فرتب المحرمات [يعني في الآية المتقدمة] أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش[(٢)]، ثم ثنى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلَّث بما هو أعظم تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربَّع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه»[(٣)].



(١) أخرجه البخاري (ح١١٠)، ومسلم (ح٣).

(٢) الفواحش من الكبائر، لكن وصفها بالأسهل بالنسبة لما هو أكبر منها.

(٣) أعلام الموقعين (١/ ٤٢-٤٣).

رابعًا: التمثيل

تعريفه:

التمثيل لغة: هو إثبات مثيل للشيء أو هو التشبيه[(١)]، قال في «اللسان»: «يقال: هذا مِثْلهُ ومَثَله، كما يقال: شِبْهه وشَبَهُه بمعنًى»[(٢)].

واصطلاحًا: هو إثبات مثيل لله عَزَّ وَجَلَّ في ذاته أو صفاته.

وإن شئت التعميم (كتعريف التعطيل) فقل: إثبات مثيل لله سبحانه في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته.

❊ أما إثبات مثيل لله عَزَّ وَجَلَّ في ذاته، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية -وهو من أعلم الناس بالفرق والمقالات- يذكر أنه لم تذهب طائفة إلى إثبات خالقين متماثلين، إذن إثبات مثيل في الذات لم يقل به أحد، وقد سبق.

❊ وأما إثبات مثيل له في شيء من صفاته؛ فإن أول من قال بذلك - كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية- هو هشام بن الحكم، وهو من الرافضة، وتنسب له فرقة تسمى (الهشامية)[(٣)].

أقسامه:

القسم الأول: تشبيه المخلوق بالخالق، وهو إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الصفات أو الأفعال أو الحقوق.

فالأول: الصفات، كحال غلاة الصوفية مع من يسمونهم الأولياء وحال الرافضة مع أئمتهم.

---

(١) ويفهم من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قد يفرق بين التشبيه والتمثيل بأن المماثلة تقتضي المساواة من كل وجه، بخلاف المشابهة، وقد يعبر بأحدهما عن الآخر انظر: التدمرية (ص١١٦- ١١٧).

(٢) لسان العرب (مادة: مثل) (١١/ ٦١٠). (٣) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٠١).

والثاني: الأفعال، كفعل من أشرك في الربوبية، كالمانوية والثنوية والفلاسفة.

والثالث: الحقوق، كاعتقاد المشركين بأصنامهم حيث عبدوها مع الله تعالى، ومن سلك مسلكهم من غلاة الصوفية والرافضة.

القسم الثاني: تشبيه الخالق بالمخلوق، كاعتقاد الهشامية أتباع هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، واليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي الذين وصفوا الله سبحانه بصفات المخلوقين -تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا-[(١)].

حكم التمثيل:

التمثيل كفر؛ لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، قال نعيم بن حماد - كما سلف: «من شبه الله بخلقه فقد كفر»[(٢)]، وقال إسحاق بن راهويه: «من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم»[(٣)].

نفي التمثيل أوْلى من نفي التشبيه:

وذلك لثلاثة أوجه:

الأول: أن لفظ التمثيل هو الذي ورد بنفيه القرآن، «والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية هو سبيل أهل السنة والجماعة»[(٤)].

قال شيخ الإسلام في تقرير ذلك: «ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه؛ لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه؛ حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

---

(١) انظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها (١/ ١٦٣-١٦٤).

(٢) العلو، للذهبي (ص١١٦)، وانظر: شرح السنة للالكائي (٣/ ٥٣٢)، وشرح الطحاوية (١/ ٨٥).

(٣) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٥٣٢)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ٨٥).

(٤) شرح الطحاوية (١/ ٧٠-٧١).

شَيْءٌ﴾، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وكان أحبَّ إليَّ من لفظٍ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ»[١].

الثاني: أن نفي التشبيه مطلقًا يؤدي إلى التعطيل، ذلك أنه ما من موجودين إلا وبينهما قدر مشترك يتشابهان فيه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وعلم أيضًا بالعقل أن كل موجودَيْن قائمين بأنفسهما فلا بدَّ بينهما من قدر مشترك، كاتفاقهما في مسمى الوجود والقيام بالنفس والذات ونحو ذلك، وأن نفي ذلك يقتضي التعطيل المحض»[٢].

الثالث: أن لفظ التشبيه استعمل فيما بعد في غير ما وضع له، حتى صار من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلى بيان، فقد يُنفى التشبيه ويراد به نفي الحق الذي وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لفظ التشبيه فيه إجمال كثير، وأنه ما من طائفة إلا وتجعل من أثبت شيئًا مشبهًا، وذلك أن كل موجودين فلابد أن يكون بينهما نوع مشابهة ولو من بعض الوجوه البعيدة، ورفع ذلك من كل وجه رفع للوجود»[٣].

لذا فإن استعمال اللفظ الشرعي وهو التمثيل أولى؛ لأنه أدل على المعنى، ولأن طريقة أهل السنة التعبير بالألفاظ الشرعية البينة دون الألفاظ المحدثة المجملة.

تاريخ مقالة التمثيل:

اشتهرت ضلالة التمثيل بين اليهود، وفي كتاب الله سبحانه أدلة على تلبُّس اليهود بهذا الضلال، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٦).
(٢) الفتاوى (٣/ ٩٩).
(٣) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٥٦٩)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٩٩).

وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وأمثال هذه المقالات التي تواطأت عليها يهود، فشبهت الخالق بالمخلوق وتاهت في بيداء من الضلال مهلكة، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وفي التوراة المحرفة المتداولة اليوم بين اليهود أمثلة عديدة لفشوِّ وصف الله سبحانه بصفات المخلوقين بينهم، ومن ذلك قولهم في التوراة: «وسمعا (يعني آدم وحواء) صوت الرب والإله ماشيًا»(١).

وفي التوراة: «ثم صعد موسى وهارون وسبعون رجلًا من شيوخ بني إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت قدميه كصنعة بلاط.. وكذات السماء صفاء»(٢)، وغير ذلك من الافتراءات(٣).

وفي التلمود(٤) المقدس عند أكثر اليهود نصوص أبشع وأشنع، تقشعر من سماعها جلود المؤمنين(٥)، وتبين من خلال النصوص السابقة أن ضلالة التمثيل، قد تبناها اليهود وأشاعوها وملأت فضائحها كتبهم.

ثم تسرب هذا الكفر والإلحاد إلى بعض الفرق المنتسبة للإسلام، وأول

---

(١) سفر التكوين، الفصل الثالث، (فقرة ٨).

(٢) سفر الخروج، الفصل الرابع والعشرون، (فقرة ٩-١٠-١١).

(٣) للتعرف على مزيد من هذه الافتراءات، ينظر: (سفر التكوين الفصل ٣٢، فقرة ٢)، و(سفر التثنية، الفصل ٣٤، فقرة ١٠)، و(سفر القضاة، الفصل ٦ فقرة ١١)، و(سفر الخروج، الفصل ٢٤، فقرة ٤).

(٤) **كلمة التلمود معناها:** (كتاب تعليم ديانة وآداب اليهود) ويعد اليهود التلمود كتابًا منزلًا مثل التوراة، مع أنه يحوي أقوال الحاخامات لكنهم يقولون: من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط؛ لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى. (انظر: الكنز المرصود ص ٤٧-٥٠).

(٥) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود (ص٥٥-٥٧).

هذه الفرق التي سقطت في هذه الهاوية هم الرافضة.

قال الرَّازي: «اليهود أكثرهم مشبِّهة، وكان بدء ظهور التَّشبيه في الإسلام من الرَّوافض، مثل: هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي، وأبي جعفر الأحول»[(١)]. وهؤلاء الأربعة المذكورون لهم أتباع، فهم أصحاب طوائف منسوبة لأسمائهم.

❋ فالهشامية: أصحاب هشام بن الحكم.

❋ واليونسية: أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي.

❋ والهشامية: أصحاب هشام بن سالم الجواليقي.

❋ والشيطانية: أصحاب أبي جعفر الأحول الملقب بـ «شيطان الطاق».

وهذه الفرق الأربع كلها من فرق الروافض، ويعدهم روافض عصرنا في الطليعة من شيوخهم والثقات من نقلة مذهبهم[(٢)].

شبهاتهم:

نقلت كتب الفرق كلماتهم المغرقة في التشبيه والتمثيل، ولم تشر إلى شبهاتهم سوى شبهة عليلة، وهي: دعوى المشبِّه أن ظاهر نصوص الأسماء والصفات يدل على مذهبهم، ولذا قال ابن الجوزي: «وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس، فقال بعضهم: إن الله جسم تعالى الله عن ذلك[(٣)] - وهذا مذهب هشام بن الحكم»[(٤)].

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٩٧).

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٥٢٨).

(٣) لفظ الجسم من الألفاظ المبتدعة وطريقة أهل السنة في مثل هذه الألفاظ التوقف، فلا ينفون لعدم ورود الدليل النافي، ولا يثبتون لعدم ورود الدليل المثبت، وينكرون على من أثبت أو نفى؛ لأنه قال على الله بلا علم. أما المعنى فيستفصلون عنه؛ فإن أراد القائل حقًّا قبل منه وإن أراد باطلًا رد عليه.

(٤) تلبيس إبليس (ص٨٦).

ودعوى أن ظاهر النصوص هو ما يليق بالمخلوقين من أعظم الباطل؛ إذ من المحال أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله كفرًا، والله أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال[(١)]، ومع هذا الاعتقاد الباطل فقد وضعوا أكاذيب ونسبوها إلى النبي ﷺ وأكثرها مقتبس من اليهود[(٢)].

هل للممثلة وجود اليوم؟

يظن بعض الناس أن التمثيل ليس له وجود، وأن فِرَقَه قد اندثرت ولم يبق سوى أهل التعطيل، وغاب عن أصحاب هذا الظن أن وجود الممثلة ظاهر وممتد اليوم في فرق عدة، أما تمثيل الخالق بالمخلوق فهو عند اليهود في كتبها المقدسة -كما مر.

وهو أيضًا عند فرق أخرى تنتسب إلى الإسلام وتتواجد اليوم على ظهر هذه الأرض وهي الفرق القائلة بالحلول ووحدة الوجود من غلاة الصوفية والرافضة وأمثالهم، ولا شك أن القول بهاتين المقالتين (الحلول والاتحاد) تمثيل ظاهر.

وأما تمثيل المخلوق بالخالق فهذا موجود عند النصارى في اعتقادهم في المسيح، واليهود في اعتقادهم في عزير، والرافضة في اعتقادهم في أئمتهم الإثني عشر، وعند الصوفية بغلوهم في شيوخهم وأوليائهم.



---

(١) انظر: التدمرية (ص٦٩).

(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ١٠٦).

خامسًا: التأويل

التأويل لغة:

التأويل في اللغة: الرجوع والعاقبة، جاء في «تهذيب اللغة»: «وأما (التأويل)، فقيل: من أول يؤول تأويلًا، وثلاثيُّه: آل يؤول، أي: رجع وعاد»[(١)]، وتأويل الكلام هو: ما يؤول إليه من المعنى.

التأويل اصطلاحًا:

التأويل اصطلاحًا يطلق على ثلاثة معان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لفظ (التأويل) قد صار بتعدد الاصطلاحات مستعملًا **في ثلاثة معان:**

أحدها -وهو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله: أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به؛ وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل نصوص الصفات وترك تأويلها»[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم: «وأما المعتزلة والجهمية وغيرهم من فرق المتكلمين، فمرادهم بالتأويل: صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه وما يخالف ظاهره، وهذا هو الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول والفقه، ولهذا يقولون: التأويل على خلاف الأصل، والتأويل يحتاج إلى دليل»[(٣)].

«**الثاني:** أن التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير: «واختلف علماء التأويل...».

---

(١) تهذيب اللغة (١٥/ ٤٥٨)، وانظر: كتاب العين (٨/ ٣٦٩)، الصحاح (٤/ ١٦٢٧)، مجمل اللغة (ص١٠٧).

(٢) التدمرية (ص٩١).

(٣) الصواعق المرسلة (١/ ١٧٨).

الثالث -من معاني التأويل: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]، فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله تعالى به فيه، مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك، كما قال في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا... ومنه قول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن. تعني قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣]»(١).

أقسام التأويل:

التأويل ينقسم إلى صحيح وفاسد، قال ابن القيم: «فالتَّأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد»(٢).

فمثال التأويل الصحيح: تأويل المعية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، بالعلم.

ومثال التأويل الفاسد: تأويل الاستواء بالاستيلاء، واليد بالقدرة، والرحمة بالثواب أو بإرادة الثواب.

وقد ذكر لي شيخنا ابن عثيمين رحمه الله أن هذا النوع من التأويل الذي أحدثه المتأخرون لا حاجة إليه؛ لأنه إن دل عليه الدليل فهو من قبيل التفسير، وإن لم يدل عليه دليل فهو تحريف وليس بتأويل.

وهذا التحريف لنصوص الكتاب والسنة الذي سموه تأويلًا هو رأس الشرور

(١) التدمرية (ص٩١-٩٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٦٨-٦٩)، الصواعق المرسلة (١/ ١٧٥-١٧٨).

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ١٨٧).

وأساس ضلال من ضل عن الحق، وانحرف عن الصراط المستقيم، يقول الإمام ابن أبي العز: «وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية. فهل قُتِل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد! وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصِفّين، ومقتل الحسين رضي الله عنه، والحِرَّة؟ وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، إلا بالتأويل الفاسد؟!»(١).

وهناك قسم آخر سماه الإمام الشنقيطي: (لعبًا)، فقال: «أما صرف اللفظ عن ظاهره لا لدليل فهذا لا يسمى تأويلًا في الاصطلاح، وإنما يسميه الأصوليون: لعبًا؛ لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ومن هذا تفسير غلاة الروافض قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ [البقرة: ٦٧] قالوا: عائشة!»(٢).

وحقيقته التكذيب بآيات الله - جل وعلا - وهو كفر، قال ابن الوزير: «لا خلاف في كفر من جحد ذلك المعلوم بالضرورة للجميع، وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله، كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى، بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار»(٣).



(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٠٨-٢٠٩).
(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص١٠٨- ١٠٩).
(٣) إيثار الحق على الخلق (ص٣٧٦-٣٧٧).

سادسًا: التفويض

التفويض لغة: الرد، قال ابن فارس: «الفاء والواو والضاد أصل صحيح يدل على اتكال في الأمر على آخر ورده عليه، ثم يفرع فيرد إليه ما يشبهه، من ذلك: فوَّض إليه أمره، إذا رده»[(١)].

قال الجوهري: «فوض إليه الأمر، أي: رده إليه»[(٢)].

وقال ابن منظور: «فوض إليه الأمر: صيَّره إليه، وجعله الحاكم فيه»[(٣)].

والتفويض[(٤)] اصطلاحًا: «صرف اللفظ عن ظاهره، مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوَّض علمه إلى الله تعالى، بأن يقول: الله أعلم بمراده»[(٥)].

ويسمى أصحاب هذا المذهب (أهل التجهيل)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الصنف الثالث وهم أهل التجهيل: فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف. يقولون: إن الرسول ﷺ لم يكن يعرف معاني ما أنزل الله عليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني تلك الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك، وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بهذا ابتداءً، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه، وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فإنه وقف كثير من السلف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٤٦٠).

(٢) الصحاح (٣/ ١٠٩٩).

(٣) لسان العرب (٥/ ٣٤٨٥).

(٤) **وقد يراد بالتفويض:** تفويض الكيفية، وهذا حق، وقد سبق بيان ذلك. انظر: المبحث الخامس (قواعد في صفات الله تعالى)، القاعدة (رقم ١١).

(٥) النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد، لمحمد محيي الدين عبد الحميد (ص١٢٨)، نقلًا عن: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، د. أحمد القاضي (ص١٥٢).

تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ وهو وقف صحيح، لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعلمه، وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك. . . فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول) فالاستواء معلوم يُعلم معناه وتفسيره ويترجم بلغة أخرى، وأما كيفية ذلك الاستواء، فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى»[١].

كما يسمون (اللاأدرية)، قال الإمام ابن القيم: «اللاأدرية الذين يقولون: لا ندري معاني هذه الألفاظ ولا ما أريد منها ولا ما دلت عليه، وهؤلاء ينسبون طريقتهم إلى السلف، وهي التي يقول المتأولون: إنها أسلم، ويحتجون عليها بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ ويقولون: هذا هو الوقف التام عند جمهور السلف، وهو قول أُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعائشة، وعروة بن الزبير وغيرهم من السلف والخلف، وعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا الصحابة والتابعون لهم بإحسان، بل يقرؤون كلامًا لا يعقلون معناه. . . وقول هؤلاء أيضًا باطل؛ فإن الله سبحانه أمر بتدبر كتابه وتفهمه وتعقله وأخبر أنه بيان وهدى وشفاء لما في الصدور وحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ومن أعظم الاختلاف اختلافهم في باب الصفات والقدر والأفعال، واللفظ الذي لا يعلم ما أراد به المتكلم لا يحصل به حكم ولا هدى ولا شفاء ولا بيان»[٢].

❊ ❊ ❊

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٨٥- ٢٩١)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥-١٦).
(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٢٠-٩٢١).

أدلة بطلان دعوى تفويض المعنى:

يدل على بطلان هذا المذهب ما يلي:

١- الآيات التي تأمرنا بتدبر القرآن، كقوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله جل وعلا: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، ومن المحال أن يأمر الله ﷻ بتدبر ما لا يمكن فهم معناه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما التفويض: فإن من المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟ وأيضًا فالخطاب الذي أريد به هُدانا والبيان لنا، وإخراجنا من الظلمات إلى النور، إذا كان ما ذكر فيه من النصوص ظاهره باطل وكفر، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك، فعلى التقديرين لم نخاطب بما بين فيه الحق، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر، وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا: أنه لم يبين الحق، ولا أوضحه، مع أمره لنا أن نعتقده، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد إليه لم يبين به الحق ولا كشفه، بل دل ظاهره على الكفر والباطل، وأراد منا أن نفهم منه شيئًا، أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه، وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد»(١).

٢- ومما يدل على بطلانه ما يلزم عنه من اللوازم الباطلة من تجهيل الرسول ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين، وأن الله أنزل في كتابه ما لا يعلم معناه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «هؤلاء أهل التضليل والتجهيل الذين حقيقة قولهم: إن الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠١-٢٠٢).

الآيات وأقوال الأنبياء»[١].

٣- ومما يدل على بطلانه أيضًا تناقضه، والتناقض علامة على عدم صحة المذهب، قال الإمام ابن القيم: «هم متناقضون أفحش تناقض؛ فإنهم يقولون: تجري على ظاهرها وتأويلها باطل، ثم يقولون: لها تأويل لا يعلمه إلا الله»[٢]، ويوضحه الشيخ ابن عثيمين، فيقول: «المفوضة الذين قالوا: الله أعلم بما أراد بنصوص الصفات، لكننا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية له تعالى، وهذا القول متناقض؛ فإن قولهم: نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية له يناقض التفويض؛ لأن حقيقة التفويض ألا يحكم المفوض بنفي ولا إثبات»[٣].

٤- بطلان نسبة هذا القول إلى السلف؛ فإن «اعتقاد أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ النصوص بغير إثبات معناها، اعتقاد باطل كذب على السلف؛ فإن السلف أعلم الأمة بنصوص الصفات لفظًا ومعنى، وأبلغهم في إثبات معانيها اللائقة بالله تعالى على حسب مراد الله ورسوله»[٤]، وأقوالهم المأثورة عنهم تثبت عدم صحة نسبة هذه المقالة إليهم، ومن شواهد ذلك قول الإمام مالك: «الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[٥]، قال الإمام الذهبي: «وهو قول أهل السنة قاطبة أن كيفية الاستواء لا نعقلها، بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نتعمق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيًا ولا إثباتًا، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ٩٢١).

(٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص١١١).

(٤) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٢٧).

(٥) سبق تخريجه.

عنه، ونعلم يقينًا مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا»[1].



(١) مختصر العلو للعلي العظيم (ص١٤١-١٤٢).



المبحث السابع

معنى إحصاء أسماء الله الحسنى وفضله

أولًا: معنى الإحصاء:

اختلف أهل العلم في المراد بإحصاء الأسماء الحسنى، وخلاصة ما قالوا في معناه[(١)]:

١- حفظها.

٢- التصديق بها.

٣- معرفة معانيها.

٤- العمل بمقتضاها.

واختار طائفة من المحققين المعنى الأول، وهو حفظها، قال الإمام النووي: «اختلفوا في المراد بإحصائها، فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه: حفظها، وهذا هو الأظهر؛ لأنه جاء مفسرًا في الرواية الأخرى: «**من حفظها**»[(٢)]»[(٣)].

(١) انظر: شأن الدعاء (١/ ٢٦-٢٩)، غريب الحديث، كلاهما للخطابي (١/ ٧٣٠-٧٣١)، الأسماء والصفات، للبيهقي (١/ ٢٧)، شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٤١٩-٤٢٠)، فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٠٦)، شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥-٦).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٦٧٧).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥-٦).

وقال ابن الجوزي: «لما رأينا في بعض طرق الصحيح أن معنى الإحصاء: الحفظ، اخترنا ذلك الوجه»[(١)].

وهذا المعنى - وهو الحفظ - هو الراجح؛ لأنه جاء تفسيره بذلك في الحديث، وألفاظ الحديث يفسر بعضها بعضًا، ولأنه يدخل في معنى حفظها الإيمان بها، ومعرفة معانيها، والعمل بمقتضاها؛ إذ لا ينفع الحفظ بدون الإيمان بها والمعرفة لمعانيها والعمل بمقتضاها، ولذا عدَّ الإمام ابن القيم هذه الأقوال مراتب ودرجات للإحصاء[(٢)]؛ لأنها كلها حق، ويتضمنها الحديث[(٣)].

۞ ثانيًا: فضله:

وعد رسول الله ﷺ من أحصاها بدخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»[(٤)].

۞ ثالثًا: تعيين الأسماء الحسنى:

ورد في تعيين الأسماء التسعة والتسعين حديثٌ أخرجه الترمذي، ولو صح لكان هو القول الفصل، ولكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه»[(٥)].

ونص الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا، مائة غير واحد، من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم،**

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٤٣٦).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٨٨-٢٨٩).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٢٦/ ٧٨).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨٢).

العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»[١].

قال الحافظ ابن حجر: «والتحقيق أن سردها إدراج من بعض الرواة»[٢]، وقال أيضًا: «وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه، والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج»[٣].

وقال الحافظ ابن كثير: «والذي عَوَّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مُدْرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم، وعبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد: أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك؛ أي: أنهم جمعوها من القرآن كما روي عن جعفر بن محمد، وسفيان بن عيينة، وأبي زيد اللغوي، والله أعلم»[٤].

وقال الإمام النووي: «وأما تعيين هذه الأسماء فقد جاء في الترمذي وغيره في بعض أسمائه خلاف وقيل: إنها مخفية التعيين كالاسم الأعظم وليلة القدر ونظائرها»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي (ح٣٥٠٧)، وقال: «قد روي هذا الحديث من غير وجه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث».

(٢) بلوغ المرام (ص٥٠٧).

(٣) فتح الباري (١١/ ٢١٥).

(٤) إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه (٢/ ٢١٨-٢١٩).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥).

۞ رابعًا: اجتهاد العلماء في استخراج الأسماء الحسنى:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا أن جماعة من الأئمة: «استخرجوها من القرآن، منهم سفيان بن عيينة، والإمام أحمد بن حنبل، وغيرهم»[(١)]، وأنهم «اعتقدوا -هم وغيرهم- أن الأسماء الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة ليست شيئًا معينًا، بل من أحصى تسعة وتسعين اسمًا من أسماء الله دخل الجنة، أو أنها وإن كانت معينة فالاسمان اللذان يتفق معناهما يقوم أحدهما مقام صاحبه كالأحد والواحد»[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر: «اعتنى جماعة بتتبعها من القرآن من غير تقييد بعدد»، ثم ذكر جماعة منهم[(٣)]، ثم قال: «وقد تتبعت ما بقي من الأسماء مما ورد في القرآن بصيغة الاسم مما لم يذكر في رواية الترمذي: وهي: الرب، الإله، المحيط، القدير، الكافي، الشاكر، الشديد، القائم، الحاكم، الفاطر، الغافر، القاهر، المولى، النصير، الغالب، الخالق، الرفيع، المليك، الكفيل، الخلَّاق، الأكرم، الأعلى، المبين - بالموحَّدَة - الحفي -بالحاء المهملة والفاء- القريب، الأحد، الحافظ، فهذه سبعة وعشرون اسمًا إذا انضمت إلى الأسماء التي وقعت في رواية الترمذي مما وقعت في القرآن بصيغة الاسم تكمل بها التسعة والتسعون، وكلها في القرآن»[(٤)].

وقد اجتهد ابن حزم في إحصائها، فبلغ بها أربعة وثمانين اسمًا، فقال: «وقد بلغ إحصاؤنا منها إلى ما نذكر، وهي: الله، الرحمن، الرحيم، العليم، الحكيم، الكريم، العظيم، الحليم، القيوم، الأكرم، السلام، التواب، الرب، الوهاب، الإله، القريب، السميع، المجيب، الواسع، العزيز، الشاكر، القاهر، الآخر، الظاهر، الكبير، الخبير، القدير، البصير، الغفور، الشكور، الغفار، القهار، الجبار، المتكبر، المصور، البر، مقتدر، الباري،

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨٠).
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨٠).
(٣) فتح الباري (١١/ ٢١٧).
(٤) فتح الباري (١١/ ٢١٨).

العلي، الغني، الولي، القوي، الحي، الحميد، المجيد، الودود، الصمد، الأحد، الواحد، الأول، الأعلى، المتعال، الخالق، الخلاق، الرزاق، الحق، اللطيف، رءوف، عفو، الفتاح، المتين، المبين، المؤمن، المهيمن، الباطن، القدوس، الملك، مليك، الأكبر، الأعز، السيد، سبوح، وتر، محسان، جميل، رفيق، المسعر، القابض، الباسط، الشافي، المعطي، المقدم، المؤخر، الدهر»[(١)].

وقال ابن العربي: «وعددناها على ما ورد في الكتاب والسنة، وذكره الأئمة؛ فانتهت إلى ستة وأربعين ومائة»[(٢)]، ثم قال -بعد عدِّها: «وقد بقي نحوٌ من ثلاثين اسمًا ضمَّناها كتاب «الأمد» »[(٣)].

وممن اجتهد في جمعها شيخنا ابن عثيمين، حيث يقول: «وقد جمعتُ تسعة وتسعين اسمًا مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

فمن كتاب الله تعالى: الله، الأحد، الأعلى، الأكرم، الإله، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، البارئ، البر، البصير، التواب، الجبار، الحافظ، الحسيب، الحفيظ، الحفي، الحق، المبين، الحكيم، الحليم، الحميد، الحي، القيوم، الخبير، الخالق، الخلاق، الرؤوف، الرحمن، الرحيم، الرزاق، الرقيب، السلام، السميع، الشاكر، الشكور، الشهيد، الصمد، العالم، العزيز، العظيم، العفو، العليم، العلي، الغفار، الغفور، الغني، الفتاح، القادر، القاهر، القدوس، القدير، القريب، القوي، القهار، الكبير، الكريم، اللطيف، المؤمن، المتعالي، المتكبر، المتين، المجيب، المجيد، المحيط، المصور، المقتدر، المقيت، الملك، المليك، المولى، المهيمن، النصير، الواحد، الوارث، الواسع، الودود، الوكيل، الولي، الوهاب.

(١) المحلى بالآثار (٦/ ٢٨٢).
(٢) أحكام القرآن، لابن العربي (٢/ ٣٤٣).
(٣) أحكام القرآن، لابن العربي (٢/ ٣٥٠).

ومن سنة رسول الله ﷺ: الجميل، الجواد، الحكم، الحيي، الرب، الرفيق، السُّبوح، السيد، الشافي، الطيب، القابض، الباسط، المقدم، المؤخر، المحسن، المعطي، المنان، الوتر. هذا ما اخترناه بالتتبع، واحد وثمانون اسمًا في كتاب الله تعالى، وثمانية عشر اسمًا في سنة رسول الله ﷺ»[(١)].

ولو أدخل الشيخ الأسماء المركبة «كرب العالمين» لزادت الأسماء عن هذا العدد، ولذا قال شيخنا عبد الرحمن البراك تعليقًا على كلام الشيخ ابن عثيمين: «والشيخ رحمه الله لم يتوجه له ذكر الأسماء المركبة مثل: أسرع الحاسبين، ورب العالمين، وخير الرازقين، وخير الناصرين، وأرحم الراحمين، وما أشبه ذلك، والظاهر: أنها أظهر في الدلالة على الرب سبحانه وتعالى من بعض الأسماء المفردة، فتجد كثيرًا من الأسماء المفردة يسمى بها بعض المخلوقات، لكن أرحم الراحمين، ذو الجلال والإكرام، خير الغافرين هذه لا تطلق إلا على الله وحده»[(٢)].



(١) القواعد المثلى (ص١٥-١٦).

وللاستزادة من أسماء العلماء الذين لهم اجتهاد خاص في جمع الأسماء الحسنى، انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، د. محمد بن خليفة التميمي (ص١١٧-١٢٠).

(٢) التعليق على القواعد المثلى (ص٤٩).



المبحث الثامن

بعض أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة، وبيان معناها

اشتمل القرآن الكريم والسنة النبوية على كثير من أسماء الله الحسنى، وأجمع الآيات القرآنية لأسماء الله الحسنى قوله تعالى في آخر «سورة الحشر»: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، **وفيما يلي بيان معاني هذه الأسماء:**

(١) الله:

ومعناه: هو المألوه المعبود الذي لا يستحق العبادةَ سواه، ولهذا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين»[(١)].

وقد اختار بعض السلف أنه الاسم الأعظم؛ أما وجه ذلك فقالوا: «لأنه اسم لم يطلق على غيره، ولأنه الأصل في الأسماء الحسنى، وَمِنْ ثَمَّ أضيفت إليه»[(٢)]، قال جابر بن زيد: «اسم الله الأعظم هو: الله، ألم تسمع أنه يقول:

(١) تفسير الطبري (١/ ١٢١).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٢٢٤).

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾»[١].

وقال السعدي: «واسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والله أعلم»[٢].

(٢، ٣) الرحمن، الرحيم:

وهما اسمان مشتقَّان من الرحمة على وجه المبالغة، قال ابن كثير في بيان معناهما: «اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم»[٣].

أما الفرق بينهما فيقول ابن القيم في ذلك: «الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول: دال أن الرحمة صفته، والثاني: دال على أنه يرحم خلقه برحمته»[٤].

واسم (الرحمن) خاص بالله - جل وعلا - لا يسمى به سواه، كاسم (الله) و(الخالق) و(الرازق) و(الرب) و(رب العالمين) و(إله الأولين والآخرين)، يقول ابن كثير: «والحاصل: أن من أسمائه تعالى ما يسمَّى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره، كاسم الله والرحمن والخالق والرزاق ونحو ذلك؛ فلهذا بدأ باسم الله، ووصفه بالرحمن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أولًا إنما تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص»[٥].

❊ ❊ ❊

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٢).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي (ص١٦٤).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٨-٣٩).

(٤) بدائع الفوائد (١/ ٤٢)، وانظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٥)، تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي (ص٢٠٠).

(٥) تفسير ابن كثير (١/ ١٢٦).

(٤) الحي:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾ [غافر: ٦٥].

ومعناه: الذي له الحياة الدائمة المستلزمة لجميع صفات الكمال، لم يسبقها عدم، ولا يلحقها زوال، ولا نقص فيها بأي وجه من الوجوه، وبهذا قال أهل العلم.

قال الإمام الطبري: «وأما قوله: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له يحدُّ، ولا آخر له يؤمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيًّا فلحياته أول محدود وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها وينقضي بانقضاء غايتها»(١).

وقال الخطابي: «الحي من صفة الله تعالى هو الذي لم يزل موجودًا، وبالحياة موصوفًا، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يعتورهم الموت أو العدم في أحد طرفي الحياة، أو فيهما معًا، و﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨]»(٢).

وقال ابن القيم: «الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة»(٣).

وقال الشيخ السعدي: «الحي: من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات؛ كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك»(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٥٢٧).

(٢) شأن الدعاء (ص٨٠)، وانظر: اشتقاق أسماء الله، للزجاجي (ص١٠٢)، الاعتقاد، للبيهقي (ص٥٩).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٦٧٨).

(٤) تفسير السعدي (ص١١٠).

(٥) القيوم:

القيوم على وزن: (فيعول)، وهو صيغة مبالغة مأخوذة من القيام، ومعناه: القائم بنفسه، والقائم على غيره بالملك والخلق والتدبير، كما قال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، وبهذا المعنى فسر السلف والأئمة اسم الله: (القيوم).

فعن مجاهد، في قول الله: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ قال: «القائم على كل شيء»[(١)].

وقال الطبري: «ومعنى قوله: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: القائم برزق ما خلق وحفظه»[(٢)].

وقال الخطابي: «القيوم: هو القائم الدائم بلا زوال، ووزنه: (فيعول)، من القيام، وهو نعت المبالغة في القيام على الشيء ويقال: هو القيم على كل شيء بالرعاية له، ويقال: قمت بالشيء: إذا وليته بالرعاية والمصلحة»[(٣)].

وقال الحليمي: «معناه: القائم على كل شيء من خلقه يدبره بما يريد»[(٤)].

وقال السعدي: «القيوم: هو الذي قام بنفسه والمقيم لغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري»[(٥)].

(٦) السميع:

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقال ﷻ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠]، وقال جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٥٢٩).
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٥٢٨).
(٣) شأن الدعاء (ص٨٠- ٨١).
(٤) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٠).
(٥) تفسير السعدي (ص١١٠).

ومعنى السميع: السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة؛ لأنه على وزن (فعيل) وهو من صيغ المبالغة، كقولهم: عليم بمعنى عالم، وقدير بمعنى قادر(١).

وسمع الله تعالى له معنيان:

الأول: استجابة الدعاء، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، يعني: مجيب الدعاء، وقول المصلي: سمع الله لمن حمده، يعني: أجاب دعاءه(٢).

الثاني: إدراك المسموعات، فهو تعالى «يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين»(٣).

وقد ذكر الخطابي هذين المعنيين، فقال: «السميع: بمعنى السامع، إلا أنه أبلغ في الصفة، وبناء فعيل: بناء المبالغة؛ كقولهم: عليم: من عالم، وقدير: من قادر، وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواء عنده الجهر والخفوت، والنطق والسكوت، وقد يكون السماع بمعنى القبول والإجابة»(٤).

وقال البيهقي: «السميع: من له سمع يدرك به المسموعات، والسمع له صفة قائمة بذاته»(٥).

(٧) القدوس:

ورد في موضعين من القرآن، الأول: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، والثاني: في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الجمعة: ١].

---

(١) انظر: شأن الدعاء (ص٥٩).
(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٥٠٧).
(٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٧).
(٤) شأن الدعاء (ص٥٩)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (١/ ١٩٩).
(٥) الاعتقاد للبيهقي (ص٥٩).

ومعناه: المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال.

قال البيهقي: «القدوس: هو الطاهر من العيوب، المنزه عن الأولاد والأنداد، وهذه صفة يستحقها بذاته»(١).

وقال ابن القيم: «القدوس: المنزه من كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير، هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به، وهذا قول أهل اللغة وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة ومنه بيت المقدس؛ لأنه مكان يتطهر فيه من الذنوب»(٢).

وقال ابن كثير: «(القدوس) أي: المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال»(٣).

(٨) السلام:

ورد اسم (السلام) في القرآن مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: كنا نقول في الصلاة: السلام على الله، السلام على فلان، فقال لنا النبي ﷺ ذات يوم: «**إن الله هو السلام، فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله** -إلى قوله: **الصالحين، فإذا قالها أصاب كلَّ عبد لله في السماء والأرض صالح، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ثم يتخير من الثناء ما شاء**»(٤).

ومعناه: السالم في ذاته وصفاته وأفعاله من كل نقص، المتضمن لإثبات كماله المطلق من كل وجه، والمنزه عن كل ما ينافي كماله، وبهذا المعنى قال أهل العلم.

---

(١) الاعتقاد للبيهقي (ص٥٩)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي (١/ ١٩٧).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص١٧٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ١١٥).

(٤) أخرجه البخاري (ح٦٣٢٨)، ومسلم (ح٤٠٢).

فذكر ابن القيم أنه تعالى: «أحق بهذا الاسم [السلام] من كل مسمًّى به؛ لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص من كل وجه»[(١)].

وقال البيهقي: «السلام: هو الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل آفة، وهذه صفة يستحقها بذاته، وقيل: هو الذي سلم المؤمنون من عقوبته»[(٢)].

وقال السعدي: «ومن أسمائه: القدوس السلام، أي: المعظم المنزه عن صفات النقص كلها وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال»[(٣)].

(٩) المؤمن:

ورد اسم الله (المؤمن) في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ومعناه: الذي أمَّن خلقه من أن يظلمهم، وقيل: معناه: المصدِّق الذي صدق وعده، وقيل: المصدِّق لعباده بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، كتصديقه لأنبيائه بالآيات، ولأوليائه بالكرامات، وكل هذه المعاني حق، ويدل عليها هذا الاسم ويتضمنها، وبها قال أهل التفسير.

قال ابن عباس: «أي: أمَّن خلقه من أن يظلمهم»[(٤)].

وقال الحليمي: «ومعناه: المصدِّق، لأنه إذا وعد صدَق وعدَه، ويحتمل المؤمِّن عباده -بما عرَّفهم من عدله ورحمته- من أن يظلمهم ويجور عليهم»[(٥)].

وقال ابن القيم: «ومن أسمائه تعالى: المؤمن وهو -في أحد التفسيرين- المصدق الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فهو الذي

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٣٥).

(٢) الاعتقاد، للبيهقي (ص٥٩)، وانظر: المقصد الأسنى (ص٦٩).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص٢٠٨-٢٠٩)، وانظر: شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، القحطاني (ص١٤٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٢).

صدق رسله وأنبياءه فيما بلغوا عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون بالدلائل التي دل بها على صدقهم قضاءً وخلقًا، فإنه سبحانه أخبر -وخبره الصدق، وقوله الحق- أنه لا بد أن يري العباد من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته رسله حق، فقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] أي: القرآن، فإنه هو المتقدم في قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ [فصلت: ٥٢]، ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، فشهد سبحانه لرسوله بقوله: أن ما جاء به حق، ووعده أن يري العباد من آياته الفعلية الخلقية ما يشهد بذلك أيضًا، ثم ذكر ما هو أعظم من ذلك وأجل، وهو شهادته سبحانه على كل شيء»[(١)].

(١٠) المهيمن:

ورد اسم الله: (المهيمن) في القرآن مرة واحدة، ومعناه: الرقيب على خلقه علمًا وتدبيرًا، الذي أحاط بكل شيء علمًا، قال ابن كثير: «قال ابن عباس وغير واحد: أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى: هو رقيب عليهم، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]، وقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الآية [الرعد: ٣٣]»[(٢)].

وقال السعدي: «المهيمن: المطلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علمًا»[(٣)].

❊ ❊ ❊

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٢-٤٣٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٢-٢٠٣).
(٣) تفسير السعدي (ص٩٤٧)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٥)، المقصد الأسنى، للغزالي (ص٧٢).

(١١) العزيز:

ورد اسم (العزيز) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٨﴾ [النمل: ٧٨].

قال ابن كثير في بيان معنى اسم الله (العزيز): «عزَّ كلَّ شيء فقهره وغلبه، فلا يمانع ولا يغالب، لعظمته وسلطانه، وهو الواحد القهار»(١).

فله سبحانه العزة كلها: عزة الامتناع، وعزة الغلبة، وعزة القوة، ولهذا قال ابن القيم:

وهو العزيز فلن يرام جنابه	أنى يرام جناب ذي السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم	يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفه	فالعزُّ حينئذ ثلاث معان(٢)

ويقول الشيخ السعدي: «العزيز الذي له العزة كلها؛ عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فممتنع أن ينالَه أحدٌ من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته، **فمعاني العزة الثلاثة كلها كاملة لله العظيم:**

١- عزة القوة الدال عليها من أسمائه: (القوي، المتين)، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت.

٢- وعزة الامتناع، فإنه هو الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع، المعطي المانع.

٣- وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله، خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٥٤).
(٢) نونية ابن القيم (ص٢٠٥).

متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به»(١).

(١٢) الجبار:

ورد اسم الله (الجبار) في قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نُزُلًا لأهل الجنة**»(٢). وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: رأيت رسول الله ﷺ، على المنبر وهو يقول: «**يأخذ الجبار عز وجل سماواته وأَرْضِيه بيديه**»(٣).

قال ابن القيم: «الجبار اسم من أسماء التعظيم كالمتكبر والملك والعظيم والقهار»(٤)، ومعناه: الذي قهر عباده، أو الذي جبر كسرهم.

قال الشيخ السعدي: «﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ الذي قهر جميع العباد، وأذعن له سائر الخلق، الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير»(٥).

قال ابن القيم:

وكذلك الجبار من أوصافه	والجبر في أوصافه نوعان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا	ذا كسرة فالجبر منه دان
والثاني جبر القهر بالعز الذي	لا ينبغي لسواه من إنسان
وله مسمى ثالث وهو العـ	ـلو فليس يدنو منه من إنسان

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي (ص٢١٥-٢١٦).
(٢) أخرجه البخاري (ح٦٥٢٠)، ومسلم (ح٢٧٩٢).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٧٨٨).
(٤) شفاء العليل (ص١٢١)، وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى (ص٣٤-٣٥)، تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٤)، المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٣-٢٠٤).
(٥) تفسير السعدي (ص٨٥٤)، وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي (ص١٧٧).

من قولهم جبارة للنخلة العليـ ـا التي فاتت لكل بنان[(١)]

(١٣) المتكبر:

وقد ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

وقال جل وعلا: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧].

وعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**»[(٢)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده، ويحركها، يقبل بها ويدبر: «**يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم**»، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: لَيَخِرَّنَّ به[(٣)].

وقال القرطبي: «(المتكبِّر) الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله، وقيل: المتكبر عن كل سوء، المتعظم عما لا يليق به... والكبرياء في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذم»[(٤)].

وقال ابن العربي: «المتكبِّر هو الذي انفرد بالكبرياء... وهو معنى الكبير»[(٥)].

(١) الكافية الشافية (ص٢٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٦٢٠).

(٣) أخرجه أحمد (٩/ ٣٠٤)، والنسائي في الكبرى (ح٧٦٤٩)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٤) تفسير القرطبي (١٨/ ٤٧)، وانظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٥)، شأن الدعاء (ص٤٨-٤٩).

(٥) عارضة الأحوذي (١٣/ ٣٥).

وقال السعدي: «المتكبِّر عن السوء والنقص والعيوب لعظمته وكبريائه»[(١)].

(١٤) الخالق:

من أسماء الله (الخالق) ولا يجوز هذا الاسم بالألف واللام لغير الله جل وعلا[(٢)]، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال جل وعلا: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣﴾ [فاطر: ٣]، وقال جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ [الحشر: ٢٤].

قال الخطابي: «الخالق: هو المبدع للخلق، والمخترع له على غير مثال سبق»[(٣)].

وقال ابن العربي: «الخالق هو المخرج من العدم إلى الوجود جميع المخلوقات المقدر لها صفاتها»[(٤)].

(١٥) البارئ:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ﴾ [الحشر: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤﴾ [البقرة: ٥٤].

قال الطبري: «البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته»[(٥)].

---

(١) تفسير السعدي (ص٩٤٦). (٢) انظر: تهذيب اللغة (٧/ ٢٦).

(٣) شأن الدعاء (ص٤٩)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩٣)، تفسير أسماء الله الحسنى (ص٣٥-٣٧).

(٤) عارضة الأحوذي (١٣/ ٣٥).

(٥) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٥)، وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج (ص٣٧)، المنهاج =

وقال ابن كثير: «البَرْء: هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدَّره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدَّر شيئًا ورتَّبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل»[(١)].

وقال ابن العربي: «البارئ: هو خالق الناس من البرا، وهو التراب»[(٢)].

(١٦) المصور:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

قال الخطابي: «المصور: هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها. فقال الله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الإنفطار: ٦ - ٨]»[(٣)].

وقال ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي إذا أراد شيئا قال له: كن، فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار، كقوله: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٨]، ولهذا قال: ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها»[(٤)].

وقال الغزالي: «قد يظن أن هذه الأسماء [يعني: الخالق والبارئ والمصور] مترادفة، وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع، ولا ينبغي أن يكون كذلك، بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى تقدير أولًا، وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيًا، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثًا، والله سبحانه وتعالى خالق من حيث إنه مقدِّر، وبارئ من حيث إنه مخترع موجد، ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب»[(٥)].

= في شعب الإيمان (١/ ١٩٢-١٩٣).

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠).
(٢) عارضة الأحوذي (١٣/ ٣٥).
(٣) شأن الدعاء (ص٥١).
(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٠).
(٥) المقصد الأسنى (ص٧٥)، وانظر: عارضة الأحوذي (١٣/ ٣٥).



المبحث التاسع

دراسة بعض صفات الله الواردة في الكتاب والسنة

۞ أولًا: صفة الحياة:

معناها: هي الحياة الكاملة الأبدية المتضمنة لجميع صفات الكمال.

نوعها: هي من الصفات الذاتية الثابتة لله جل وعلا.

أدلتها: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال جل وعلا: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، كان يقول: «**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»(١).

قال الإمام ابن القيم: «صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال»(٢).

موقف المخالفين؛ يقول الأشعري: «قال أكثر المعتزلة والخوارج وكثير من

(١) أخرجه مسلم (ح٢٧١٧).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٨٧)، وانظر: شرح الطحاوية (١/ ٨٩-٩٠).

المرجئة وبعض الزيدية: إن الله عالم قادر حي بنفسه، لا بعلم وقدرة وحياة، وأطلقوا أن لله علمًا بمعنى أنه عالم، وله قدرة بمعنى أنه قادر، ولم يطلقوا ذلك على الحياة، ولم يقولوا: له حياة»[(١)].

الرد عليهم:

إن ما قالوه فاسد ضرورة؛ لأنه لا يعقل تصور حي بلا حياة، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد علم أن من شرط العلم والقدرة: الحياة؛ فإن ما ليس بحي يمتنع أن يكون عالمًا؛ إذ الميت لا يكون عالمًا، والعلم بهذا ضروري... فتقدير عالم لا حياة به ممتنع بصريح العقل»[(٢)].

۞ ثانيًا: صفة اليدين:

معناها: «أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله»[(٣)]، ولا يجوز تأويل اليدين بالقدرة أو النعمة؛ لأنه صرف للكلام عن ظاهره بلا دليل، كما سيأتي.

نوعها: من الصفات الذاتية الخبرية الثابتة لله تعالى.

أدلتها: دل على ثبوتها الكتاب والسنة والإجماع:

❊ **أما الكتاب**، فقد قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال جل جلاله: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١﴾ [يس: ٧١].

❊ **وأما السنة**، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل،**

---

(١) مقالات الإسلاميين (ص١٦٤-١٦٥)، وانظر: شرح الأصول الخمسة (ص٢٠٠-٢٠١).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص٦٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦٣).

حتى تطلع الشمس من مغربها»[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك...**»[(٢)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا...**»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإثبات اليدين له موجود في التوراة وسائر النبوات، كما هو موجود في القرآن، فلم يكن في هذا شيء يخالف ما جاءت به الرسل، ولا ما يناقض العقل»[(٤)].

وقال ابن القيم: «ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة»[(٥)].

وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات اليدين لله تعالى كما تليق بجلاله، قال الإمام أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على... أن له تعالى يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه من غير أن يكونا جوارح[(٦)]، وأن يديه تعالى غير نعمته»[(٧)].

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٧٥٩).
(٢) أخرجه البخاري (ح٣٣٤٨)، ومسلم (ح٢٢٢).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٤٧٦)، ومسلم (ح١٩٣).
(٤) الجواب الصحيح (٤/ ٤١٣).
(٥) مختصر الصواعق المرسلة (ص٤٠٥).
(٦) لفظ الجوارح لفظ محدث لم يرد في الكتاب والسنة، والواجب: التوقف في لفظه والاستفصال عن معناه، فإن أريد بنفي الجوارح عن الله تعالى ما يماثل صفات المخلوقين فهو حق، وإن أريد به نفي صفة اليدين فهو باطل.
(٧) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص١٢٧).

الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين والتوفيق بينها:

وردت صفة اليدين في كتاب الله تعالى على ثلاثة أوجه:

«**الأول: الإفراد**، كقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١].

الثاني: التثنية، كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

الثالث: الجمع، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١].

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: الوجه الأول مفرد مضاف، فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر، وحينئذٍ لا ينافي التثنية على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان، فإذا حمل الجمع على أقله، فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلًا»(١).

الجمع بين حديث: «كلتا يديه يمين»، وحديث: «ثم يأخذهن بشماله»:

جاء في حديث عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»(٢).

وقد اختلف العلماء في إثبات الشمال لله تعالى، فممن أثبتها الإمام الدارمي(٣)، وممن نفاها الإمام ابن خزيمة(٤)، وقال الإمام ابن القيم: «ولما كان سبحانه موصوفًا بأن له يدين لم يكن فيهما شمال، بل كلتا يديه يمين

---

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد (ص٥٠).

(٢) أخرجه عبد بن حميد في المسند (ح٧٤٢)، وأبو يعلى في المسند (ح٥٥٥٨)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح غير الحسن بن حماد سجادة، وهو ثقة» (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٨١٠١).

(٣) انظر: النقض على المريسي (ص٢٦٧).

(٤) انظر: التوحيد، لابن خزيمة (١/ ١٥٩).

مباركة»[١].

وفي حديث عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن ﷻ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[٢]، فقد قال الشيخ ابن عثيمين: «وهذا يقتضي أنه ليس هناك يد يمين ويد شمال، ولكن إذا كانت لفظة (شمال) محفوظة؛ فهي عندي لا تنافي (كلتا يديه يمين)؛ لأن المعنى أن اليد الأخرى ليست كيد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليد اليمنى، فقال: (كلتا يديه يمين)؛ أي: ليس فيه نقص، ويؤيد هذا قوله في حديث آدم: «**اخترت يمين ربي، وكلتا يديه يمين مباركة**»[٣]، فلما كان الوهم يذهب إلى أن إثبات الشمال؛ يعني: النقص في هذه اليد دون الأخرى؛ قال: كلتا يديه يمين، ويؤيده أيضًا قوله: «**المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن**»، فإن المقصود بيان فضلهم ومرتبتهم، وأنهم على يمين الرحمن سبحانه»[٤].

وقال الشيخ ابن باز في الجمع بين الأحاديث: «كلها أحاديث صحيحة عند علماء السنة، وحديث ابن عمر مرفوع صحيح، وليس موقوفًا، وليس بينها اختلاف -بحمد الله- فالله سبحانه توصف يداه باليمين والشمال من حيث الاسم، كما في حديث ابن عمر، وكلتاهما يمين مباركة من حيث الشرف والفضل، كما في الأحاديث الصحيحة الأخرى»[٥].

موقف المخالفين: ذهب المعطلة إلى إنكار صفة اليدين لله تعالى وتأويلها بالقدرة أو بالنعمة، فقال المعتزلة: معنى قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]: «إن اليدين هنا بمعنى القوة»[٦]، وقالوا في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ

---

(١) أحكام أهل الذمة (١/ ٤١٦).
(٢) أخرجه مسلم (ح١٨٢٧).
(٣) أخرجه الترمذي (ح٣٣٦٨)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٥٢٠٩).
(٤) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ١١٢٢-١١٢٣).
(٥) مجموع فتاوى ابن باز (٢٥/ ١٢٦).
(٦) شرح الأصول الخمسة (ص٢٢٨).

مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]: «إن اليد هنا بمعنى: النعمة»[١].

وقال الأشاعرة: «اليد مجاز عن القدرة»[٢]، قال الإيجي: «أثبت الشيخ [يعني: الأشعري] صفتين ثبوتيتين زائدتين، وعليه السلف، وإليه ميل القاضي[٣] في بعض كتبه، وقال الأكثر: إنهما مجاز عن القدرة؛ فإنه شائع، وخلقته بيدي؛ أي: بقدرة كاملة»[٤].

الرد عليهم:

١- أنه صرف للكلام عن ظاهره بلا دليل، و«الأصل: الحقيقة، فدعوى المجاز مخالفة للأصل»[٥]، قال الأشعري: «فإن قال قائل: ما أنكرتم أن يكون قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾، وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ على المجاز؟ قيل له: حكم كلام الله تعالى أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة، ألا ترون أنه إذا كان ظاهر الكلام العموم، فإذا ورد بلفظ العموم، والمراد به: الخصوص، فليس هو على حقيقة الظاهر، وليس يجوز أن يعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة، كذلك قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ على ظاهره أو حقيقته من إثبات اليدين، ولا يجوز أن يعدل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادعاه خصومنا إلا بحجة»[٦].

٢- «أنه لو كان المراد بهما القوة لصح أن يُقال: إن الله خلق إبليس بيده ونحو ذلك، وهذا ممتنع، ولو كان جائزًا لاحتج به إبليس على ربه حين قال

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص٢٢٨).

(٢) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ١١٠)، وانظر: أساس التقديس في علم الكلام، للرازي (ص٩٨).

(٣) هو القاضي أبو بكر الباقلاني.

(٤) المواقف (ص٢٩٨).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٣٩١).

(٦) الإبانة عن أصول الديانة (ص١٣٩-١٤٠).

له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾»[(١)].

٣- «لو كان الله تعالى عنى بقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: القدرة؛ لم يكن لآدم ﷺ على إبليس مزية في ذلك، والله تعالى أراد أن يرى فضل آدم ﷺ عليه؛ إذ خلقه بيديه دونه، ولو كان خالقًا لإبليس بيده كما خلق آدم ﷺ بيده لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه... فلما أراد الله تعالى تفضيله عليه بذلك، وقال الله تعالى موبخًا له على استكباره على آدم ﷺ أن يسجد له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ﴾، دل على أنه ليس معنى الآية القدرة؛ إذ كان الله تعالى خُلق الأشياء جميعًا بقدرته، وإنما أراد إثبات يدين، ولم يشارك إبليس آدم ﷺ في أن خلق بهما»[(٢)].

٤- «أن اليد التي أضافها الله إلى نفسه وردت على وجوه تمنع أن يكون المراد بها النعمة، أو القوة فجاءت بلفظ اليد، والكف، وجاء إثبات الأصابع لله تعالى، والقبض، والهز، كقوله ﷺ: «**يقبض الله سماواته بيده، والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك**» وهذه الوجوه تمنع أن يكون المراد بهما النعمة، أو القوة»[(٣)]، قال الإمام ابن القيم: «إن اطراد لفظها في موارد الاستعمال، وتنوع ذلك وتصريف استعماله يمنع المجاز، ألا ترى إلى قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] فلو كان مجازًا في القدرة والنعمة لم يستعمل منه لفظ يمين»[(٤)].

٥- «أنه معنى تأباه اللغة في مثل هذا السياق الذي جاءت به مضافة إلى الله

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٠).
(٢) الإبانة عن أصول الديانة (ص١٣٢).
(٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٠).
(٤) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٣٩١).

تعالى»[١]، فـ«ليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: عملت كذا بيدي، ويعني به: النعمة، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهومًا في كلامها، ومعقولًا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني: النعمة؛ بطل أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾: النعمة»[٢].

٦- «أنه ورد إضافة اليد إلى الله بصيغة التثنية، ولم يرد في الكتاب والسنة ولا في موضع واحد إضافة النعمة والقوة إلى الله بصيغة التثنية، فكيف يفسر هذا بهذا؟!»[٣].

۞ ثالثًا: صفة الغضب:

معناها: هي صفة ثابتة لله تعالى في الكتاب والسنة تليق بجلال الله وعظمته.

نوعها: من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل.

أدلتها: قال جل وعلا: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه: ٨١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾ [النور: ٩]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة: ١٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**»[٤].

وجاء في حديث الشفاعة قول الأنبياء: «**إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم**

(١) فتح رب البرية (ص٦٩-٧٠).

(٢) الإبانة عن أصول الديانة (ص١٢٦-١٢٧).

(٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٠).

(٤) أخرجه البخاري (ح٧٤٠٤)، ومسلم (ح٢٧٥١).

يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»[(١)].

قال قوام السنة الأصبهاني: «قال علماؤنا: يوصف الله بالغضب، ولا يوصف بالغيظ، وقيل: الغيظ بمنزلة الحسرة، وقيل: إنا نغتاظ من أفعالنا، ولا نغضب منها»[(٢)].

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى»[(٣)]، قال الشارح: «مذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضا، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات»[(٤)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «أجمع السلف على ثبوت الغضب لله، فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو غضب حقيقي يليق بالله»[(٥)].

أقوال المخالفين:

قالت المعتزلة: غضب الله: إرادة الانتقام، قال الزمخشري: «فإن قلت: ما معنى غضب اللَّه؟ قلت: هو إرادة الانتقام من العصاة، وإنزال العقوبة بهم، وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده -نعوذ باللَّه من غضبه، ونسأله رضاه ورحمته»[(٦)]، وقالت الأشاعرة أيضًا: الغضب: إرادة الانتقام[(٧)]، قال الغزالي: «عبر بالغضب والرضا عن إرادة الثواب

(١) أخرجه البخاري (ح٤٧١٢)، ومسلم (ح١٩٤).
(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٩٠).
(٣) الطحاوية، مع شرح ابن أبي العز (٢/ ٦٨٤).
(٤) شرح الطحاوية (٢/ ٦٨٥).
(٥) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد (ص٥٥)، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٨٥).
(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٧).
(٧) انظر: تفسير الرازي (٣/ ٥٣٤).

والعقاب اللذين هما ثمرتا الغضب والرضا ومسبباه في العادة»[(١)].

الرد عليهم:

١- صرف صفة الغضب إلى معنى العقوبة أو إرادة العقوبة هو تحريف للفظ وصرف له عن ظاهره بلا دليل.

٢- أن الغضب الوارد في النصوص يتضمن إثبات غضب الله الذي هو صفة قائمة بذاته جل وعلا، كما يتضمن أثرها وهو عقوبته، والنصوص تفرق بينهما، كما يتبين في الوجه الثالث.

٣- أن الله جل وعلا فرق في كتابه بين غضبه وعقوبته، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح: ٦]، كما فرقت السنة بينهما، فعن عبد الله بن عمرو، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: «**باسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة، من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**»[(٢)]، ففرقت النصوص بين الغضب والعقوبة؛ لأن العطف بينهما يقتضي المغايرة.

٤- أن الغضب المختص بالله لا يماثل غضب المخلوقين، «فإن قالوا: الغضب هو غليان دم القلب لطلب الانتقام، والوجه هو ذو الأنف والشفتين واللسان والخد؛ أو نحو ذلك، قيل لهم: إن كنتم تريدون غضب العبد ووجه العبد فوِزانه أن يقال لكم: ولا يعقل بصر إلا ما كان بشحمة، ولا سمع إلا ما كان بصماخ، ولا كلام إلا ما كان بشفتين ولسان، ولا إرادة إلا ما كان

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص٣٩)، وانظر: تفسير الرازي (١/ ١٤١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١١/ ٢٩٥-٢٩٦)، والترمذي (ح٣٥٢٨) وحسنه.

لاجتلاب منفعة أو استدفاع مضرة، وأنتم[1] تثبتون للرب السمع والبصر والكلام والإرادة على خلاف صفات العبد؛ فإن كان ما تثبتونه مماثلًا لصفات العبد لزمكم التمثيل في الجميع، وإن كنتم تثبتونه على الوجه اللائق بجلال الله تعالى من غير مماثلة بصفات المخلوقات، فأثبتوا الجميع على هذا الوجه المحدود، ولا فرق بين صفة وصفة، فإن ما نفيتموه من الصفات يلزمكم فيه نظير ما أثبتموه؛ فإما أن تعطلوا الجميع وهو ممتنع، وإما أن تمثلوه بالمخلوقات وهو ممتنع، وإما أن تثبتوا الجميع على وجه يختص به لا يماثله فيه غيره»[2].

۞ رابعًا: صفة الاستواء:

معناه: قال الإمام ابن القيم: «لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق ومقيد.

فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف، مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤]، وهذا معناه: كمل وتم، يقال: استوى النبات واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بـ «إلى» كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]... وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بـ «إلى» في موضعين من كتابه: في «البقرة» في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، والثاني في «سورة فصلت»: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾

---

(١) الخطاب هنا موجه إلى الأشاعرة، أما المعتزلة فيقال في الرد عليهم: «لا فرق بين إثبات الأسماء وبين إثبات الصفات، فإنك إن قلت: إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهًا وتجسيمًا؛ لأنا لا نجد في الشاهد متصفًا بالصفات إلا ما هو جسم. قيل لك: ولا تجد في الشاهد ما هو مسمى بأنه حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا لجسم فانفِ الأسماء، بل وكل شيء لأنك لا تجده في الشاهد إلا لجسم» (التدمرية ص: ٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٥-٤٦)، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٨٦).

[فصلت: ١١]، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف. . .

والثاني: مقيد بـ «على» كقوله: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، وقوله: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩]، وهذا أيضًا معناه: العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو (مع) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه، نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى: ساواها»(١).

فمعنى (استوى على العرش): علا عليه علوًّا يليق بجلاله ويختص بعظمته، ولا يُعْلم كيفيته، وهو غير العلو العام الشامل لجميع المخلوقات.

أدلته:

استواء الله على عرشه ثابت في سبعة مواضع من القرآن، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقال جل وعلا: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] في «سورة الأعراف» و«يونس» و«الرعد» و«الفرقان» و«السجدة» و«الحديد»، كلها بهذا اللفظ.

وثبت أيضًا في السنة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ أخذ بيدي، قال: «**يا أبا هريرة، إن الله خلق السموات والأرضين وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش يوم السابع...**»(٢).

وأجمع على إثبات الاستواء سلف الأمة وأئمتها، قال الإمام أبو عمر الطلمنكي: «أجمع أهل السنة على أن الله تعالى على عرشه على الحقيقة، لا على المجاز»(٣).

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٣٧٢)، وانظر: نونية ابن القيم (ص٨٧).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (ح١١٣٢٨)، قال الشيخ الألباني: رجاله ثقات (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٧٢٦).

(٣) نقله عنه ابن القيم في: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٣٧٦)، =

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «أجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه، فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل»[(٢)].

مذاهب المخالفين:

ذهب المعطلة من المعتزلة والأشعرية وغيرهم إلى تأويل صفة الاستواء بالاستيلاء والقهر والغلبة، قال القاضي عبد الجبار المعتزلي في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]: «الاستواء هاهنا بمعنى: الاستيلاء والغلبة»[(٣)]. وقال الجويني الأشعري: «لم يمتنع حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة؛ إذ العرب تقول: استوى فلان على الممالك، إذا احتوى على مقاليد الملك، واستعلى على الرقاب»[(٤)].

الرد عليهم:

١- هذا التفسير للاستواء لم يفسره به أحد من السلف، لا من الصحابة، ولا من التابعين، وأول من عرف عنه هذا التفسير هم الجهمية والمعتزلة[(٥)].

٢- أنه يلزم عليه لوازم فاسدة، منها: أن الله تعالى كان له مغالب ينازعه في ملكه حتى استولى عليه؛ لأن «معنى الاستيلاء في اللغة: المغالبة، والله لا

= وانظر: التوحيد، لابن خزيمة (١/ ٢٣٣).

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ١٨٨).

(٢) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص٦٢).

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص٢٢٦)، وانظر: مقالات الإسلاميين (ص١٥٧).

(٤) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٤٠)، وانظر: غاية المرام في علم الكلام، الآمدي (ص١٤١)، أساس التقديس في علم الكلام، الرازي (ص١١٩).

(٥) انظر: التنبيهات السنية (ص١٢٩-١٣٠).

يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد»[(١)].

٣- أن الاستواء الوارد في النصوص خاص بالعرش، وأما الاستيلاء فهو عام يشمل جميع المخلوقات، فكيف يصح تفسير الاستواء به؟! قال الإمام الأشعري: «وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ أنه استولى وملك وقهر، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله ﷻ مستويًا على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء والأرض لله سبحانه قادر عليها... وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستويًا على العرش بمعنى: الاستيلاء -وهو تعالى مستوٍ على الأشياء كلها لكان مستويًا على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء»[(٢)].

٤- أنه صرف للكلام عن حقيقته وظاهره بغير دليل، وتبديل لكلام الله، قال الإمام ابن خزيمة: «نحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستوٍ على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولًا غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه، لا استوى، فبدلوا قولًا غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود كما أمروا أن يقولوا: حطة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جل وعلا»[(٣)]، وقال الإمام ابن عبد البر: «وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له؛ لأنه غير ظاهر في اللغة... ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز؛ إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجَّه كلام الله ﷻ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣١).
(٢) الإبانة عن أصول الديانة (ص١٠٨-١٠٩).
(٣) التوحيد، لابن خزيمة (١/ ٢٣٣).

التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدعٍ ما ثبت شيء من العبارات، وجلَّ الله ﷻ عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع. . . والاستقرار»(١).

٥- «أن الذين قالوا ذلك لم يقولوه نقلًا، فإنه مجاهرة بالكذب وإنما قالوه استنباطًا وحملًا منهم للفظة استوى على استولى، واستدلوا بقول الشاعر:

قد استوى بِشر على العراق   من غير سيف أو دم مهراق

وهذا البيت ليس من شعر العرب»(٢).

٦- «أن أهل اللغة لما سمعوا ذلك أنكروه غاية الإنكار، ولم يجعلوه من لغة العرب، قال ابن الأعرابي وقد سئل: هل يصح أن يكون استوى بمعنى: استولى؟ فقال: لا تعرف العرب ذلك، وهذا هو من أكابر أئمة اللغة»(٣).

٧- «أن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ، ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف»(٤).

٨- «أن هذا اللفظ قد اطرد في القرآن والسنة حيث ورد بلفظ الاستواء دون الاستيلاء، ولو كان معناه: استولى لكان استعماله في أكثر مورده كذلك، فإذا جاء موضع أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استولى؛ لأنه المألوف المعهود، وأما أن يأتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد، فيُدَّعَى صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه ففي غاية

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣١).
(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٣٧٢).
(٣) مختصر الصواعق (ص٣٧٢).
(٤) مختصر الصواعق (ص٣٧٣).

الفساد، ولم يقصده ويفعله من قصد البيان، هذا لو لم يكن في السياق ما يأتي حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك؟!»(١).

ووجوه إبطال قول هؤلاء المعطلة كثيرة جدًّا، فقد ذكر الإمام ابن القيم اثنين وأربعين وجهًا في الرد عليهم(٢).

۞ خامسًا: العلو:

معناه وأقسامه:

قال الشيخ ابن عثيمين: «**علو الله تعالى من صفاته الذاتية، وينقسم إلى قسمين: علو ذات، وعلو صفات:**

فأما علو الصفات، فمعناه: أنه ما من صفة كمال إلا ولله تعالى أعلاها وأكملها، سواء أكانت من صفات المجد والقهر، أم من صفات الجمال والقدر.

وأما علو الذات، فمعناه: أن الله بذاته فوق جميع خلقه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة»(٣).

أدلته:

دل على إثبات العلو لله تعالى: الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة:

أما الكتاب، فقد جاء فيه إثبات العلو على وجوه متعددة، منها(٤):

١- أنه تعالى أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ

(١) مختصر الصواعق (ص٣٧٣).
(٢) انظر: مختصر الصواعق (ص٣٧١) وما بعدها.
(٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٣٩).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٦٤-١٦٦).

أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع.

٢- وتارة يخبر بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها إليه، كقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

٣- وتارة يخبر بنزولها منه أو من عنده، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ١، ٢]، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [الجاثية: ١، ٢].

٤- وتارة يخبر بأنه العلي الأعلى، كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٥- وتارة يخبر بأنه في السماء، كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦، ١٧] فذكر السماء دون الأرض، ولم يعلق بذلك ألوهية أو غيرها، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

٦- وتارة يجعل بعض الخلق عنده دون بعض، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنبياء: ١٩]، ويخبر عمن عنده بالطاعة، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۝٢٠٦﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، فلو كان موجب العندية معنى عامًّا كدخولهم تحت قدرته ومشيئته وأمثال ذلك لكان كل مخلوق عنده، ولم يكن أحد مستكبرًا عن عبادته بل مسبحًا له ساجدًا، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك ردًّا على الكفار

المستكبرين عن عبادته.

ومن أدلة السنة:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً**»[(١)].

٢- عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، قال: كانت لي جارية ترعى غنمًا لي قِبَل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليَّ، قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتني بها**» فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها، فإنها مؤمنة**»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا يحصيها إلا الله تعالى»[(٣)].

«**وأما الإجماع:** فقد أجمع الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وأئمة أهل السنة على أن الله تعالى فوق سماواته على عرشه، وكلامهم مملوء بذلك نصًّا وظاهرًا. قال الأوزاعي: (كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات)[(٤)]. قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم النافي لصفات الله وعلوه؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف مذهب جهم»[(٥)].

و«**أما العقل، فإن كل عقل صريح يدل على وجوب علو الله بذاته فوق خلقه، من وجهين:**

الأول: أن العلو صفة كمال، والله تعالى قد وجب له الكمال المطلق من

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٣٥١)، ومسلم (ح١٠٦٤). (٢) أخرجه مسلم (ح٥٣٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ١٦٦). (٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٢١).

(٥) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٤٠-٤١).

جميع الوجوه، فلزم ثبوت العلو له تبارك وتعالى.

الثاني: أن العلو ضده السفل، والسفل صفة نقص، والله تعالى منزه عن جميع صفات النقص، فلزم تنزيهه عن السفل، وثبوت ضده له، وهو العلو.

وأما الفطرة: فإن الله تعالى فطر الخلق كلهم؛ العرب، والعجم حتى البهائم على الإيمان به وبعلوه، فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العلو، وارتفاع قلبه إلى السماء، لا يلتفت إلى غيره يمينًا، ولا شمالًا، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين والأهواء»[(١)].

ومن شواهد الاحتجاج بالفطرة على إثبات صفة العلو ما حكاه أبو جعفر بن أبي علي الهمداني الحافظ قال: «سمعت أبا المعالي الجويني وقد سئل عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فقال: كان الله ولا عرش، وجعل يتخبط في الكلام، فقلت: قد علمنا ما أشرت إليه، فهل عندك للضرورات من حيلة؟ فقال: ما تريد بهذا القول؟ وما تعني بهذه الإشارة؟ فقلت: ما قال عارف قط: يا رباه، إلا قبل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصدٌ لا يلتفت يمنة ولا يسرة يقصد الفوق، فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة؟ فنبِّئْنا نتخلصْ من الفوق والتحت، وبكيت وبكى الخلق، فضرب الأستاذ بكمه على السرير، وصاح: يا للحيرة، وخرق ما كان عليه وانخلع، وصارت قيامة في المسجد، ونزل ولم يجبني إلا: يا حبيبي الحيرة الحيرة والدهشة الدهشة، فسمعت بعد ذلك أصحابه يقولون: سمعناه يقول: حيرني الهمداني»[(٢)].

❋ ❋ ❋

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٤١-٤٢)، وانظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٢)، شرح الطحاوية (٢/ ٣٨٠).

(٢) العلو للعلي الغفار، للذهبي (ص٢٥٩)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٤٤).

مقالة المخالفين في صفة العلو:

خالف في صفة العلو طائفتان:

الطائفة الأولى: وهم الجهمية والأشعرية الذين يقولون: إن الله لا يوصف بالعلو ولا بالسفل، فلا يقال: فوق ولا تحت، حتى قالوا: ليس داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته(١).

الطائفة الثانية: وهم الحلولية والاتحادية الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، وهذا نتيجة للقول الأول؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا [يعني: نفيهم للعلو] هو الذي أوقع الاتحادية في قولهم: هو نفس الموجودات؛ إذ لم تجد قلوبهم موجودًا إلا هذه الموجودات؛ إذا لم يكن فوقها شيء آخر»(٢).

الرد عليهم:

١- الأدلة السابقة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة تبطل ما ذهب إليه هؤلاء المعطلة.

٢- أن قولهم: (لا داخل العالم ولا خارجه) هذا الوصف لا يوصف به إلا المعدوم؛ ولهذا قال محمود بن سُبكتكين لمن ادَّعى ذلك في الخالق: «ميِّز لنا بين هذا الرب الذي تثبته وبين المعدوم»(٣)، وهو يدل على بطلان هذا القول؛ لأننا نعرف بطلان الأقوال من بطلان لوازمها.

٣- مذهبهم يتضمن ما لا يليق بالله جل وعلا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القائلون بأنه في كل مكان هو عندهم في المخلوقات السفلية القذرة الخبيثة كما هو في المخلوقات العالية... وهؤلاء يفضلون عليه بعض المخلوقات؛ فإن في المخلوقات ما يوصف بالعلو دون السفول كالسموات، وما كان موصوفًا بالعلو دون السفول كان أفضل مما لا يوصف بالعلو، أو يوصف

---

(١) انظر: أبكار الأفكار في أصول الدين (٢/ ٤٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٩).

(٣) التدمرية (ص٦٠).

بالعلو والسفول»[١].

وقال الإمام ابن أبي العز في بيان اللوازم الباطلة على نفي العلو: «وهذا القول قد أفضى بقوم إلى القول بالحلول أو الاتحاد، وهو أقبح من كفر النصارى، فإن النصارى خصوه بالمسيح، وهؤلاء عموا جميع المخلوقات.

ومن فروع هذا التوحيد: أن فرعون وقومه كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة.

ومن فروعه: أن عُبَّاد الأصنام على الحق والصواب، وأنهم إنما عبدوا الله لا غيره.

ومن فروعه: أنه لا فرق في التحريم والتحليل بين الأم والأخت والأجنبية، ولا فرق بين الماء والخمر، والزنا والنكاح، والكل من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة.

ومن فروعه: أن الأنبياء ضيقوا على الناس، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا»[٢].

۞ سادسًا: صفة النزول:

معناها: هو نزوله جل وعلا إلى السماء الدنيا نزولًا يليق بكماله وجلاله ويختص بعظمته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق السلف على أن النزول فعل يفعله الرب، كما قال ذلك الأوزاعي، وحماد بن زيد، والفضيل ابن عياض، وأحمد بن حنبل، وغيرهم»[٣].

نوعها: هو من الصفات الفعلية الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله تعالى وحكمته، قال الشيخ ابن عثيمين: «ونزوله تعالى إلى السماء الدنيا من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيئته وحكمته، وهو نزول حقيقي يليق بجلاله

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٠٠-١٠٢)، وانظر: التدمرية (ص٨١).
(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٥).
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٣٤-٢٣٥).

وعظمته»[١].

أدلتها:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أحاديث النزول متواترة عن النبي ﷺ، رواها أكثر من عشرين نفسًا من الصحابة بمحضر بعضهم من بعض، والمستمع لها منهم يصدق المحدِّث بها ويقره، ولم ينكرها منهم أحد»[٣].

وقال الفضيل بن عياض: «ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؟ لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص]، فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه، وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع، كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف؟»[٤].

وقال الإمام الشافعي: «القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها، أهل الحديث الذين رأيتهم فأخذت عنهم، مثل سفيان، ومالك، وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»، وذكر شيئًا ثم قال: «وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء»[٥].

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح١١٤٥)، ومسلم (ح٧٥٨).

(٣) التسعينية (٣/ ٩١٤-٩١٥)، وانظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٢٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٦٢).

(٥) إثبات صفة العلو، ابن قدامة (ص١٨٠-١٨١).

وقال حنبل بن إسحاق: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ: «**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا**»، فقال أبو عبد الله: «نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد شيئًا منها إذا كانت بأسانيد صحاح، ولا نرد على رسول الله قوله ونعلم أن ما جاء به الرسول حق... ينزل كيف يشاء بعلمه وقدرته وعظمته، أحاط بكل شيء علمًا، لا يبلغ قدره واصف، ولا ينأى عنه هرب هارب»(١).

المخالفون في صفة النزول:

أنكر المعطلة صفة النزول الثابتة لله تعالى، وأولوا ما ورد في ذلك من نصوص بنزول رحمته أو نزول ملك من ملائكته، قال الرازي: «يحمل هذا النزول على نزول رحمته إلى الأرض»(٢).

وقال الكرماني: «النزول محال على الله؛ لأن حقيقته الحركة من جهة العلو إلى السفل، وقد دلت البراهين القاطعة على تنزيهه على ذلك، فليتأول ذلك بأن المراد نزول ملك الرحمة ونحوه، أو يفوض مع اعتقاد التنزيه»(٣).

الرد عليهم:

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على قولهم (النزول حقيقة في الحركة): «ينبغي أن يعرف أن لفظ الحركة والانتقال والتغير والتحول، ونحو ذلك، ألفاظ مجملة؛ فإن المتكلمين إنما يطلقون لفظ الحركة على الحركة المكانية، وهو انتقال الجسم من مكان إلى مكان بحيث يكون قد فرغ الحيز الأول وشغل الثاني، كحركة أجسامنا من حيز إلى حيز، وحركة الهواء والماء، والتراب والسحاب، من حيز إلى حيز، بحيث يفرغ الأول ويشغل

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٠٢).
(٢) أساس التقديس في علم الكلام (ص٨٨).
(٣) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ١٢٩).

الثاني، فأكثر المتكلمين لا يعرفون للحركة معنى إلا هذا، ومن هنا نفوا ما جاءت به النصوص من أنواع جنس الحركة؛ فإنهم ظنوا أن جميعها إنما تدل على هذا، وكذلك من أثبتها وفهم منها كلها هذا، كالذين فهموا من نزوله إلى السماء الدنيا أنه يبقى فوقه بعض مخلوقاته، فلا يكون هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، ولا يكون هو العلي الأعلى، ويلزمهم ألا يكون مستويًا على العرش بحال»[(١)].

«والذي يجب القطع به: أن الله ليس كمثله شيء في جميع ما يصف به نفسه، فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين في شيء من الأشياء فهو مخطئ قطعًا، كمن قال: إنه ينزل فيتحرك وينتقل، كما ينزل الإنسان من السطح إلى أسفل الدار، كقول من يقول: إنه يخلو منه العرش، فيكون نزوله تفريغًا لمكان وشغلًا لآخر، فهذا باطل يجب تنزيه الرب عنه»[(٢)].

٢- أن تأويلهم نزول الله تعالى بنزول أمره ورحمته أو ملك من ملائكته «**باطل لوجوه:**

الأول: أنه خلاف ظاهر الحديث؛ لأن النبي ﷺ أضاف النزول إلى الله، والأصل أن الشيء إنما يُضاف إلى من وقع منه أو قام به، فإذا صرف إلى غيره كان ذلك تحريفًا يُخالف الأصل.

الثاني: أن تفسيره بذلك يقتضي أن يكون في الكلام شيء محذوف، والأصل عدم الحذف.

الثالث: أن نزول أمره أو رحمته لا يختص بهذا الجزء من الليل، بل أمره ورحمته ينزلان كل وقت.

فإن قيل: المراد نزول أمر خاص، ورحمة خاصة، وهذا لا يلزم أن يكون كل وقت.

---

(١) شرح حديث النزول (ص١٧٩).

(٢) شرح حديث النزول (ص١٨٩).

فالجواب: أنه لو فرض صحة هذا التقدير والتأويل، فإن الحديث يدل على أن منتهى نزول هذا الشيء هو السماء الدنيا، وأي فائدة لنا في نزول رحمة إلى السماء الدنيا حتى يخبرنا النبي ﷺ عنها؟!

الرابع: أن الحديث دلَّ على أن الذي ينزل يقول: «**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»[(١)]، ولا يمكن أن يقول ذلك أحد سوى الله سبحانه وتعالى»[(٢)].

٣- «إن نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله ﷺ، رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفسًا من الصحابة، وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل موطن ومجمع، فكيف تكون حقيقته محالًا وباطلًا وهو ﷺ يتكلم بها دائمًا ويعيدها ويبديها مرة بعد مرة، ولا يقرن باللفظ ما يدل على مجازه بوجه ما، بل يأتي بما يدل على إرادة الحقيقة؟ كقوله: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: وعزتي وجلالي لا أسأل عن عبادي غيري**»، وقوله: «**من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له**»، وقوله: «**فيكون كذلك حتى يطلع الفجر ثم يعلو على كرسيه**»، فهذا كله بيان الإرادة الحقيقة، ومانع من حمله على المجاز»[(٣)].

۞ سابعًا: رؤية الله تعالى:

معناها: هو ما بينه النبي ﷺ في قوله: «إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩][(٤)].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٦٣-٦٤).
(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٤٤٤).
(٤) أخرجه البخاري (ح٥٥٤)، ومسلم (ح٦٣٣).

أدلتها: «رؤية الله سبحانه في الآخرة ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع السلف»(١)، وقد تنوعت الأدلة من القرآن على إثبات الرؤية، **ومن أظهرها ثلاثة أنواع:**

الأول: التصريح بالنظر، **والثاني:** نفي الإدراك، **والثالث:** حجب أعداء الله عن رؤية الله(٢).

النوع الأول: التصريح بالنظر:

١- ومن أدلة هذا النوع: قوله جل وعلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وذكر الإمام ابن أبي العز أنها من أظهر أدلة الرؤية(٣).

٢- ومنها قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥].

قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك رضي الله عنهما: هو النظر إلى وجه الله تعالى(٤).

٣- ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم** عز وجل»(٥).

ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أخر، معناها أن الزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى، وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم.

(١) شرح السفارينية (ص٥١٣).
(٢) انظر: شرح السفارينية (ص٥١٤).
(٣) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٠٨).
(٤) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٠).
(٥) أخرجه مسلم (ح١٨١).

النوع الثاني: نفي الإدراك:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، **والاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه:**

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل: إني لا أُرَى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعامًا فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح: أنه لا يؤكل، أما إذا كان طعامًا صح أن يقال: إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى، **يوضحه:**

الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرًّا، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالًا لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام. والكل عندهم سواء.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز؛ ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما. وبهذا يتبين أن من احتج بهذه الآية على نفي الرؤية فحجته داحضة، وأنه ما من مبطل يستدل بدليل صحيح صريح إلا وهو حجة عليه لا له[١].

٢- ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، والاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو: أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمرًا وجوديًّا، كمدحه بنفي السِّنة والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه، المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم، المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه، المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته؛ ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمرًا ثبوتيًّا، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإن المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢]، فلم ينفِ موسى الرؤية، وإنما نفى

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٣-٢١٤).

الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علمًا، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه[(١)].

النوع الثالث: حجب أعداء الله عن رؤيته:

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] احتج الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي، وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا[(٢)].

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه، الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن:

فمنها: حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك**»، الحديث[(٣)].

وحديث جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا عند النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة -يعني: البدر- فقال: «**إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٣-٢١٤).
(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٢).
(٣) أخرجه البخاري (ح٨٠٦)، ومسلم (ح١٨٢).

فافعلوا». ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩][(١)].

قال شيخنا عبد الرحمن البراك: «يعني: ترون ربكم رؤية كرؤيتكم للشمس والقمر، **ووجه الشبه بين الرؤيتين:**

أولًا: أنها رؤية بصرية لا علمية، ونفاة الرؤية يفسرون هذه الرؤية بالرؤية العلمية؛ أي: يزداد علمهم بالله يوم القيامة، لا أنهم يرونه بأبصارهم.

ثانيًا: أنهم يرونه في العلو كما يُرى القمران في العلو.

ثالثًا: أنها رؤية من غير إحاطة، فالمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة من غير إحاطة، كما أن الناس في الدنيا يرون الشمس والقمر من غير إحاطة»[(٢)].

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًّا، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها[(٣)].

وقد نقل الإجماع على ثبوت رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة جماعة من أهل العلم، منهم: الإمام أبو الحسن الأشعري، قال: «وقد رُوِي عن أصحاب رسول الله ﷺ أن الله تعالى تراه العيون في الآخرة، وما روى عن أحد منهم أن الله تعالى لا تراه العيون في الآخرة، فلما كانوا على هذا مجتمعين، وبه قائلين، وإن كانوا في رؤيته تعالى في الدنيا مختلفين، ثبتت في الآخرة إجماعًا»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة»[(٥)].

وقال ابن القيم: «إن الصحابة والتابعين، وجميع أهل السنة والحديث، والأئمة الأربعة، وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة»[(٦)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح الطحاوية (ص١١٦).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢١٥-٢١٨).

(٤) الإبانة (ص٥١).

(٥) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢).

(٦) مختصر الصواعق المرسلة (ص٤١٢).

المخالفون في الرؤية:

المخالفون في الرؤية طائفتان:

الطائفة الأولى: الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم من الزيدية والإباضية والرافضة ونحوهم الذين ينفون رؤية الله بالأبصار في الآخرة، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قال الزمخشري: «فالمعنى: أن الأبصار لا تتعلق به، ولا تدركه؛ لأنه متعالٍ أن يكون مبصَرًا في ذاته؛ لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلًا أو تابعًا، كالأجسام والهيئات»[١]، وقد سبق بيان دلالة الآية على إثبات الرؤية لله تعالى.

وأوَّلوا قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] **بتأويلات ثلاثة:**

١- أن النظر المذكور في الآية ليس معناه الرؤية، وإنما معناه: الانتظار، والمراد: وجوه يومئذٍ ناضرة، لثواب ربها منتظرة.

٢- أن (إلى) في الآية واحد (الآلاء) التي هي النِّعم، فكأنه قال: وجوه يومئذٍ ناضرة، آلاءَ ربها منتظرة، ونعمَه مترقبة[٢]، أو يكون تأويلها: منتظرة لرحمة الله، وناظرة إلى ثوابه ونعيمه في الجنة[٣].

٣- أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلانٍ ناظرٌ ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء، والمعنى: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم[٤].

وهذا باطل من وجوه ثلاثة:

الأول: أنه جل وعلا أضاف النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية،

---

(١) الكشاف (٢/ ٣٨٣).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٢٤٥-٢٤٦).

(٣) انظر: المختصر في أصول الدين، القاضي عبد الجبار (١/ ٢٢٠) ضمن رسائل العدل والتوحيد.

(٤) انظر: الكشاف (٦/ ٢٧٠).

وقد قرر أهل اللغة أن النظر إن عدي بـ «إلى» فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ﴾ [الأنعام: ٩٩]، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟! وإن عُدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣]، وإن عدي بـ «في» فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥][١].

الثاني: إخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقة موضوعه، صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله[٢].

الثالث: تفسير السلف للآية، فقد جاء تفسير الآية بذلك عن ابن عباس؛ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٣]، قال: تنظر إلى وجه ربها، وقال عكرمة: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢﴾ [القيامة: ٢٢]، قال: من النعيم، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾، قال: تنظر إلى ربها نظرًا، ثم حكى عن ابن عباس مثله[٣].

الطائفة الثانية: غلاة المتصوفة من الاتحادية والحلولية الذين يزعمون أن الله يرى في الدنيا عيانًا، كما يرى في الآخرة[٤].

الرد عليهم:

١- أن هذه الدعوى مخالفة للكتاب والسنة والإجماع:

❊ أما الكتاب فقد «ثبت بنص القرآن أن موسى قيل له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ وأن رؤية الله أعظم من إنزال كتاب من السماء كما قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء: ١٥٣]، فمن قال: إن أحدًا من الناس يراه؛ فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران ودعواه أعظم من دعوى من ادعى أن الله أنزل عليه كتابًا من السماء»[٥].

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٠٩).
(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٠٩).
(٣) انظر: زاد المسير (٨/ ٤٢٢).
(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (ص٢٨٨).
(٥) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٣٦).

❋ وأما السنة فقد ثبت عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**تعلَّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت**»[(١)]، قال أبو العباس القرطبي: «وهذا نص جليٌّ في أن الله تعالى لا يُرى في هذه الدار، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ أي: في الدنيا، ولقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾؛ أي: في الدنيا، ولقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآية [الشورى: ٥١]»[(٢)]، فـ«كل من ادعى أنه رأى ربه بعينيه قبل الموت فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اتفقوا جميعهم على أن أحدًا من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت»[(٣)].

❋ وأما الإجماع فـ«قد اتفق أئمة المسلمين على أن أحدًا من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ خاصة، مع أن جماهير الأئمة على أنه لم يره بعينه في الدنيا، وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ والصحابة وأئمة المسلمين»[(٤)].

وبهذا يتبين بطلان هذه المقالة ومخالفتها للكتاب والسنة والإجماع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضالٌّ مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة»[(٥)].

رؤية الله في المنام:

رؤية الله في المنام جائزة شرعًا وعقلًا، وتكون صفة الرؤية بحسب حال الرائي وصلاحه، ودليله ما جاء عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، قال: أحسبه في المنام، فقال: يا**

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٣١).
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٢٦٨).
(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٩).
(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٣٥).
(٥) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢).

محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟...»[١].

وقال الإمام سعيد بن عثمان الدارمي: «وإنما هذه الرؤية كانت في المنام، وفي المنام يمكن رؤية الله تعالى على كل حال وفي كل صورة»[٢].

وذكر البغوي أن «رؤية الله في المنام جائزة»[٣].

وقال ابن تيمية: «ومن رأى الله عز وجل في المنام فإنه يراه في صورة من الصور بحسب حال الرائي إن كان صالحًا رآه في صورة حسنة؛ ولهذا رآه النبي «في أحسن صورة»[٤]. وقال أيضًا: «وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه؛ فإذا كان إيمانه صحيحًا لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه»[٥]، وقال أيضًا: «وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به سبحانه وتعالى، وإنما ذلك بحسب حال الرائي، وصحة إيمانه وفساده، واستقامة حاله وانحرافه»[٦].

وقال الحافظ ابن حجر: «جوز أهل التعبير رؤية الباري عز وجل في المنام مطلقًا، ولم يجروا فيها الخلاف في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم»[٧].

ثامنًا: صفة المعية:

معناها: «المعية في اللغة: مطلق المقارنة والمصاحبة، لكن مقتضاها ولازمها يختلف باختلاف الإضافة وقرائن السياق والأحوال، فتارة تقتضي اختلاطًا؛ كما يقال: جعلت الماء مع اللبن، وتارة تقتضي تهديدًا وإنذارًا؛ كما يقول المؤدب للجاني: اذهب فأنا معك، وتارة تقتضي نصرًا وتأييدًا؛ كمن يقول

(١) أخرجه الترمذي (ح٣٢٣٣)، وأحمد في المسند (ح٣٤٨٤) وإسناده صحيح.
(٢) نقض الإمام أبي سعيد على بشر المريسي الجهمي العنيد (٢/ ٧٣٨).
(٣) شرح السنة (١٢/ ٢٢٧).
(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٥١).
(٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٠).
(٦) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٧).
(٧) فتح الباري (١٢/ ٣٨٧).

لمن يستغيث به: أنا معك، أنا معك؛ إلى غير ذلك من اللوازم والمقتضيات المختلفة باختلاف الإضافة والقرائن والأحوال»[(١)].

والمعية في الشرع نوعان:

١- معية عامة، **٢-** معية خاصة.

فالعامة هي: أن الله تعالى مع خلقه علمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا وسلطانًا وتدبيرًا، وغير ذلك من معاني ربوبيته، وهي المرادة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

والخاصة هي: أن الله تعالى مع عباده المؤمنين بالنصر والتأييد والتوفيق والتسديد والحفظ والإعانة، وهي المرادة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨][(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المعية معيتان: عامة وخاصة، فالأولى: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [النساء: ٢٨]، والثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ إلى غير ذلك من الآيات».

نوعها: قال الشيخ ابن عثيمين: «المعية العامة من الصفات الذاتية؛ لأن مقتضياتها ثابتة لله تعالى أزلًا وأبدًا، وأما المعية الخاصة فهي من الصفات الفعلية؛ لأن مقتضياتها تابعة لأسبابها، توجد بوجودها، وتنتفي بانتفائها»[(٣)].

أدلتها:

❊ من الأدلة على المعية العامة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، وقال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة: ٧]، وعن عبادة ابن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك**

(١) فتح رب البرية (ص٥٥-٥٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٢٢)، القواعد المثلى (ص٩٧).

(٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٥٨).

حيثما كنت»[١].

* ومن أدلة المعية الخاصة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقول النبي ﷺ لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه: «**لا تحزن إن الله معنا**»[٢].

الجمع بين نصوص العلو ونصوص المعية:

إن ما ذكر في الكتاب والسنة، من قربه ومعيته، لا ينافي ما ذُكِرَ من علوه وفوقيته؛ **وذلك لوجوه:**

الأول: «أنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عليٌّ في دنوه، قريب في علوه»[٣].

الثاني: أن «المعية لا تستلزم الاختلاط والحلول في المكان، فقد يكون الشيء عاليًا بذاته، وتضاف إليه المعية، كما يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، مع أن القمر في السماء، ولا يعد ذلك تناقضًا لا في اللفظ ولا في المعنى، فإن المخاطب يعرف معنى المعية هنا، وأنه لا يمكن أن يكون مقتضاها أن القمر في الأرض، فإذا جاز اجتماع العلو والمعية في حق المخلوق ففي حق الخالق أولى»[٤].

الثالث: «أنه لو فرض أن بين معنى العلو والمعية تناقضًا وتعارضًا في حق المخلوق، فإن ذلك لا يلزم في حق الخالق؛ لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع صفاته، فلا تقاس معيته بمعية خلقه، ولا تقتضي معيته لهم أن يكون مختلطًا بهم أو حالًّا في أمكنتهم لوجوب علوه بذاته؛ ولأنه لا يحيط به شيء

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٣٣٦)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وقال: تفرد به عثمان بن كثير، قلت: ولم أرَ من ذكره بثقة ولا جرح» (مجمع الزوائد ١/ ٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٦١٥)، ومسلم (ح٢٠٠٩).

(٣) العقيدة الواسطية (ص٨٥).

(٤) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٦٠-٦١).

من مخلوقاته، بل هو بكل شيء محيط»[١].

الرابع: «أن النصوص جمعت بينهما فيمتنع أن يكون اجتماعهما محالًا؛ لأن النصوص لا تدل على محال، ومن ظن دلالتها عليه فقد أخطأ فليعد النظر مرة بعد أخرى، مستعينًا بالله، سائلًا منه الهداية والتوفيق، باذلًا جهده في الوصول إلى معرفة الحق. فإن تبين له الحق فليحمد الله على ذلك، وإلا فليكلِ الأمر إلى عالمه وليقل: آمنا به كل من عند ربنا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم»[٢].

الخامس: «أن علماء الصحابة والتابعين... قالوا في تأويل هذه الآية[٣]: هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله»[٤]؛ لأن «العلم من لوازم المعية، ولازم اللفظ من معناه»[٥]، **ويدل على ذلك أمران:**

الأول: «أن الله تعالى ذكرها في «سورة المجادلة» بين عِلْمَين فقال في أول الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧]، وقال في آخرها: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١] فدل ذلك على أن المراد أنه يعلمهم ولا يخفى عليه شيء من أحوالهم»[٦].

الثاني: «أن الله تعالى ذكرها في «سورة الحديد» مقرونة باستوائه على عرشه الذي هو أعلى المخلوقات، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فدل

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٦٠-٦١).
(٢) المصدر السابق.
(٣) وهي قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].
(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣٩).
(٥) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٢٤٧).
(٦) المصدر السابق.

على أن المراد معية الإحاطة بهم علمًا وبصرًا، لا أنه معهم بذاته في كل مكان، وإلا لكان أول الآية وآخرها متناقضًا»[(١)].

تاسعًا: صفة الكلام:

معناه: أنه جل وعلا يتكلم إذا شاء بما شاء كيف شاء، وأن كلامه كسائر صفاته لا يماثل صفات المخلوقين، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم: إن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار، والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته، ليس ببائن عنه مخلوقًا، ولا يقولون: إنه صار متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا، ولا أن كلام الله تعالى من حيث هو هو حادث، بل ما زال متكلمًا إذا شاء، وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته»[(٢)]، وقال: «الصواب الذي عليه سلف الأمة وأئمتها أن الكلام اسم للحروف والمعاني جميعًا، فاللفظ والمعنى داخل في مسمى الكلام»[(٣)].

نوعه: «دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أن... كلامه صفة قائمة بذاته، وهي صفة ذات وفعل»[(٤)]، «فكلامه صفة ذات باعتبار جنسه، وصفة فعل باعتبار آحاده»[(٥)]، فـ«كلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد، ومعنى قديم النوع: أن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا ليس الكلام حادثًا منه بعد أن لم يكن، ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه أي: الكلام المعين المخصوص حادث؛ لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ٢٤٧).
(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٣)، وانظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٥).
(٣) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٦/ ٤٢٦).
(٤) مختصر الصواعق المرسلة (ص٥٠١).
(٥) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٥).

كيف شاء»(١).

أدلته: دل على إثبات صفة الكلام القرآن والسنة والإجماع والعقل:

❁ فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢]، «ففي الآية الأولى: إثبات أن الكلام يتعلق بمشيئته، وأن آحاده حادثة، وفي الآية الثانية: دليل على أنه بحرف؛ فإن مقول القول فيها حروف، وفي الآية الثالثة: دليل على أنه بصوت؛ إذ لا يعقل النداء والمناجاة إلا بصوت»(٢).

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٣ - ١٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال جلَّ وعلا: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ١٥]، وقال تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ﴾ [التوبة: ٦]، والآيات في ذلك كثيرةٌ جدًّا.

---

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد (ص٧٤).
(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٥).

❁ وأما السنة فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى**» ثلاثًا[١].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار...**»[٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل: إن الله قد أحب فلانًا فأحبَّه، فيحبه جبريل...**»[٣].

وغير ذلك من الأدلة الواردة في الكتاب والسنة، قال الإمام ابن القيم: «وقد تكرر في الكتاب والسنة تكرارًا مطَّردًا في محالِّه متنوعًا يمنع حمله على المجاز، فأخبر تعالى أنه نادى الأبوين في الجنة ونادى كليمه، وأنه ينادي عباده يوم القيامة، وقد ذكر سبحانه النداء في تسعة مواضع في القرآن أخبر فيها عن ندائه بنفسه، ولا حاجة إلى أن يقيد النداء بالصوت، فإنه بمعناه وحقيقته باتفاق أهل اللغة، فإذا انتفى الصوت انتفى النداء قطعًا، ولهذا جاء إيضاحه في الحديث الصحيح الذي بلغناه الصحابة والتابعون وتابعوهم وسائر الأمة تلقته بالقبول وتقييده بالصوت إيضاحًا وتأكيدًا كما قيد التكليم بالمصدر في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]»[٤]، وقال: «وكل ما في القرآن العظيم من ذكر كلامه وتكليمه وأمره ونهيه دال على أنه تكلم حقيقة لا مجازًا... وقد نوع الله تعالى هذه الصفة في إطلاقها عليه

(١) أخرجه البخاري (ح٦٦١٤)، ومسلم (ح٢٦٥٢).
(٢) أخرجه البخاري (ح٤٧٤١).
(٣) أخرجه البخاري (ح٧٤٨٥)، ومسلم (ح٢٦٣٧).
(٤) مختصر الصواعق المرسلة (ص٤٨٧).

تنويعًا يستحيل معه نفي حقائقها، بل ليس في الصفات الإلهية أظهر من صفة الكلام والعلو والفعل والقدرة، بل حقيقة الإرسال تبليغ كلام الرب تبارك وتعالى، وإذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفت حقيقة الرسالة والنبوة، والرب تبارك وتعالى يخلق بقوله وكلامه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: ٨٢]، فإذا انتفت حقيقة الكلام عنه انتفى الخلق، وقد عاب الله آلهة المشركين بأنها لا تُكَلَّم ولا تُكَلِّم عابديها ولا ترجع إليهم قولًا»[1].

مذاهب الناس في كلام الله تعالى:

اختلف الناس في كلام الله تعالى:

١- فمذهب الاتحادية القائلين بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود كلام الله: نظمه ونثره وحقه وباطله سحره وكفره والسب والشتم والهجر والفحش، وأضداده كله عين كلام الله تعالى القائم به.

٢- مذهب الفلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو، وهم الذين يحكي ابن سينا والفارابي والطوسي قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعَّال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه، ولهذه النفوس عندهم ثلاث قوى: قوة التصور وقوة التخيل وقوة التعبير، فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتتصور المعقول صورًا نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذان، وهو عندهم كلام الله ولا حقيقة له في الخارج.

٣- مذهب الجهمية والمعتزلة أن كلامه مخلوق، ومن بعض مخلوقاته، فلم يقم بذاته سبحانه.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص٤٩٣-٤٩٤).

٤- مذهب الكُلَّابية، أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يُسمَع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة.

٥- مذهب الأشعري ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء، وهذه الألفاظ عبارة عنه ولا يسميها حكاية، وهي خلق من المخلوقات، **وهو كقول الكلابية إلا أنهم يخالفونهم في شيئين:**

أحدهما: في معاني الكلام، فالكلابية يقولون: إنه أربعة معان، والأشعرية يقولون: إنه معنى واحد، فالخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي كل واحد منها هو عين الآخر، وليست أنواعًا للكلام، بل صفات له، بل التوراة والإنجيل، والقرآن كل واحد منها عين الآخر، لا تختلف إلا بالعبارة.

الثاني: أن الكلابية قالوا: إن الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله، وأما الأشعرية فقالوا: إنها عبارة عن كلام الله[(١)].

٦- مذهب الكرامية، وهو كقول أهل السنة إلا أنهم قالوا: إنه حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلمًا.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العبارة عن كلام الغيب، يقال لمن في نفسه معنى ثم يعبر عنه غيره، كما يعبِّر عما في نفس الأخرس من فهم مراده، والذين قالوا: (القرآن عبارة عن كلام الله) قصدوا هذا، وهذا باطل؛ بل القرآن العربي تكلم الله به؛ وجبريل بلَّغه عنه، وأما الحكاية فيراد بها ما يماثل الشيء، كما يقال: هذا يحاكي فلانًا، إذا كان يأتي بمثل قوله أو عمله» (مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٥٢)، وإنما عدل الأشعري عن الحكاية إلى العبارة؛ «لأن العبارة لا تشبه المعبر عنه؛ بخلاف الحكاية والمحكي» (مجموع الفتاوى ١٢/ ٣٧٨-٣٧٩)، «وقال [يعني الأشعري]: الحكاية إنما تكون مثل المحكي فهذا يناسب قول المعتزلة، وإنما يناسب قولنا أن نقول: هو عبارة عن كلام الله؛ لأن الكلام ليس من جنس العبارة» (مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٧٢).

٧- مذهب السالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات، ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضًا، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر[(١)].

الرد عليهم:

البراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها، وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل، **وبيان بطلانها من وجوه، منها:**

١- أن أقوالهم مخالفة لما ثبت بالكتاب والسنة، كما أنها خلاف إجماع السلف، فإنهم أثبتوا لله صفة الكلام، كما أثبتوا له سائر الصفات، فقالوا: «إنه متكلم إذا شاء بما شاء، وأن كلامه يسمع، وأن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه حقًّا، لا تأليف ملك ولا بشر، وأنه سبحانه الذي قاله بنفسه: ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف: ١]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى: ١، ٢]، ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١] وأن القرآن جميعه، حروفه ومعانيه نفس كلامه الذي تكلم به، وليس بمخلوق ولا بعضه قديمًا وهو المعنى، وبعضه مخلوق وهو الكلمات والحروف، ولا بعضه كلامه وبعضه كلام غيره، ولا ألفاظ القرآن وحروفه ترجمة ترجم بها جبرائيل أو محمد عليهما السلام عما قام بالرب من المعنى من غير أن يتكلم الله بها، بل القرآن جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، تكلم الله به حقيقة، والقرآن اسم لهذا النظم العربي الذي بلغه الرسول ﷺ عن جبرائيل عن رب العالمين»[(٢)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٣) وما بعدها، مختصر الصواعق المرسلة (ص٤٩٤-٤٩٩)، فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٦-٧٨).

(٢) المصدر السابق (ص٤٩٩-٥٠٠).

٢- أنه «محال قيام هذه الصفة بنفسها كما يقوله بعض المكابرين أنه خلق الكلام لا في محل، ومحال قيامها بغير الموصوف بها كما يقوله المكابر الآخر أنه خلق في محل فكان هو المتكلم به دون المحل»[١].

٣- أن «الكلام الحقيقي هو الذي يوجد بقدرة المتكلم وإرادته قائمًا به، لا يعقل غير هذا، وأما ما كان موجودًا بدون قدرته ومشيئته وإن سمع منه فإنه ليس بكلام له، وإنما هو مخلوق خلقه الله فيه، فلو كان ما قام بالرب تعالى من الكلام غير متعلق بمشيئته بل يتكلم بغير اختياره لم يكن هذا هو الكلام المعهود، بل هذا شيء آخر غير ما يعرفه العقل ويشهد به الشرع»[٢].

٤- «لو لم يكن هناك ألفاظ مسموعة حقيقة السمع لم يكن ثَمَّ صفة كلام البتة، ولو كان عاجزًا عن الكلام في الأزل لم يصر قادرًا عليه فيما لم يزل، فإنه إذا كانت حاله قبل وبعد سواء وهو لم يستفد صفة الكلام من غيره، فمن المستحيل أن تجدد له هذه الصفة بعد أن كان فاقدًا لها بالكلية»[٣].

عاشرًا: صفة العلم:

معناها: يعتقد أهل السنة والجماعة بأن الله تعالى متصف بالعلم، فهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون[٤].

نوعها: صفة ذاتية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أدلتها: دلَّ على إثبات العلم لله تعالى القرآن والسنة والعقل:

❊ أما القرآن فقد قال جلَّ وعلا: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ﴾ [سبأ: ٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله تعالى:

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٤٩٩).
(٢) المصدر السابق (ص٤٩٩). (٣) المصدر السابق (ص٤٩٩).
(٤) انظر: شرح الطحاوية (ص١٠٣)، معارج القبول (١/ ٢٣٧-٢٣٨).

﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ [فاطر: ١١]، وقوله ﷻ: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وغيرها من الآيات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ذكر الله علمه بما سيكون بعد أن يكون في بضعة عشر موضعًا في القرآن مع إخباره في مواضع أكثر من ذلك أنه يعلم ما يكون قبل أن يكون، وقد أخبر في القرآن من المستقبلات التي لم تكن بعدُ بما شاء الله، بل أخبر بذلك نبيَّه وغير نبيه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، بل هو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لو كان كيف كان يكون»[(١)].

* ومن السنة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: عاجل أمري وآجله- فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: في عاجل أمري وآجله- فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني**»، **قال: «ويسمي حاجته»**[(٢)].

وقال ﷺ: «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي...**» الحديث[(٣)].

أما الدليل العقلي على علمه تعالى، فمن وجوه، منها:

١- أنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل؛ لأن إيجاده الأشياء بإرادته،

---

(١) الرد على المنطقيين (ص٤٦٥-٤٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٣٨٢).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (ح١٢٢٩)، وصححه الألباني.

والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد: هو العلم بالمراد.

٢- أن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها؛ لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم.

٣- أن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال، فلو لم يكن الخالق عالمًا لزم أن يكون الممكن أكمل منه، وهو ممتنع.

٤- كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريًا منه بل هو أحق به.

٥- أن الله تعالى له المثل الأعلى، ولا يستوي هو والمخلوقات، لا في قياس تمثيلي، ولا في قياس شمولي، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق به أحق، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما فتنزيه الخالق عنه أَوْلَى(١).

۞ مذاهب المخالفين(٢):

الأول: مذهب الفلاسفة:

إن الله يعلم الكليات فقط، لا الجزئيات، قال الغزالي: «زعم [يعني: ابن سينا] أنه يعلم الأشياء كلها بنوع كلي لا يدخل تحت الزمان، ولا يعلم الجزئيات التي يوجب تجدد الإحاطة بها تغيرًا في ذات العالم»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما قول من قال من الفلاسفة: إنه لا يعلم إلا الكليات، فهذا من أخبث الأقوال وشرها، ولهذا لم يقل به أحد من طوائف الملة، وهؤلاء شر من المنكرين للعلم القديم، من القدرية وغيرهم»(٤).

وقال الغزالي: «هذه قاعدة اعتقدوها واستأصلوا بها الشرائع بالكلية؛ إذ

---

(١) انظر: شرح الأصفهانية (ص٦٠-٦١)، شرح الطحاوية (١/ ١٢٥-١٢٦).

(٢) نكتفي بذكر مذهبين مخالفين، وهما الفلاسفة والأشاعرة.

(٣) تهافت الفلاسفة (ص١٧٧).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٩٧).

مضمونها أن زيدًا مثلًا لو أطاع الله أو عصاه لم يكن الله عالـمًا بما يتجدد من أحواله؛ لأنه لا يعرف زيدًا بعينه، فإنه شخص، وأفعاله حادثة بعد أن لم تكن، وإذا لم يعرف الشخص لم يعرف أحواله وأفعاله، بل لا يعلم كفر زيد ولا إسلامه، وإنما يعلم كفر الإنسان وإسلامه مطلقًا كليًّا لا مخصوصًا بالأشخاص»(١).

وتَصَوُّرُ هذا المذهب كاف في بيان بطلانه، ونصوص القرآن تقرر إحاطة علم الله بكل المعلومات كليها وجزئيها، قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

الثاني: مذهب الأشاعرة:

إن علم الله تعالى معنى زائد قائم بذاته سبحانه، وقالوا: إن الله يعلم كل الحوادث بعلم قديم لا تجدد في أفراده، قال الآمدي: «مذهب أهل الحق أن الباري تعالى عالم بعلم واحد قائم بذاته قديم أزلي متعلق بجميع المتعلَّقات»(٢).

ويُرَدُّ عليهم بقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]، وغيرها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القرآن قد أخبر بأنه يعلم ما سيكون في غير موضع، بل أبلغ من ذلك أنه قدر مقادير الخلائق كلها وكتب ذلك قبل أن يخلقها، فقد علم ما سيخلقه علمًا مفصلًا، وكتب ذلك، وأخبر بما أخبر به من ذلك قبل أن يكون، وقد أخبر بعلمه المتقدم على وجوده، ثم لما خلقه علمه كائنًا مع علمه

(١) تهافت الفلاسفة (ص٢٠٧).
(٢) غاية المرام في علم الكلام (ص٧٦).

الذي تقدم أنه سيكون، فهذا هو الكمال، وبذلك جاء القرآن في غير موضع، بل وبإثبات رؤية الرب له بعد وجوده، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] فأخبر أنه سيرى أعمالهم»[(١)].

وقال أيضًا: «والله تعالى قد أخبر في كتابه بعلمه بما سيكون، كالأمور التي أخبر بها قبل كونها، فعلم أنه يعلم الأشياء قبل وجودها، وأخبر أنه إذا وُجِدَت عَلِمَها أيضًا، كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، وفي القرآن من هذا بضعة عشر موضعًا، وقد روي عن ابن عباس وغيره: إلا لنرى، وقال طائفة من المفسرين: إلا لنعلمه موجودًا»[(٢)].



(١) الرد على المنطقيين (ص٤٦٥).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ١٧٩).



المبحث العاشر

الإلحاد في أسماء الله وصفاته

معناه وصوره

۞ أولًا: معنى الإلحاد:

الإلحاد لغة: الميل والعدول عن الشيء، ومنه اللحد في القبر؛ لانحرافه إلى جهة القبلة، ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل[(١)].

وفي الاصطلاح: هو العدول بأسماء الله وصفاته وآياته عن الحق الثابت[(٢)].

۞ ثانيًا: صور الإلحاد:

تبين لنا من خلال التعريف أن الإلحاد يقعُ في صورتين:

الأولى: في الأسماء والصفات.

الثانية: في الآيات.

أما الأولى: الإلحاد في الأسماء والصفات، فأنواعه خمسة:

١- تسمية الأصنام أو غيرها بأسماء الله سبحانه، ومن ذلك تسمية المشركين اللات من الإله، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهًا، وهذا إلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة، ومنه إلحاد

(١) انظر: لسان العرب (٣/ ٣٨٨).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٦٩).

السبئية والبيانية والمختارية وغيرها في تسمية أئمتهم بأسماء الله، وكذلك الدروز والأغاخانية والبهرة والنصيرية وأمثالهم في عصرنا الذين أعطوا أئمتهم أسماء وأوصاف الخالق جل شأنه، بل اتخذوهم أربابًا من دون الله تعالى.

٢- تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له آبًا، وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته، أو العلة الفاعلة بالطبع، ونحو ذلك.

٣- وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول أخباث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: يد الله مغلولة، مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

٤- إلحاد التعطيل، كجحد الأسماء والصفات كما هو حال الجهمية، أو إثبات أسماء في الجملة وتعطيلها عن معانيها وجحد حقائقها كفعل المعتزلة الذين يطلقون اسم الحي والسميع والبصير، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلًا وشرعًا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، وأهل التعطيل من الجهمية وأفراخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، وكل من جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر.

٥- إلحاد التمثيل، كتشبيه صفاته سبحانه بصفات خلقه -كما مرَّ- فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة؛ فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبرأ الله رسوله وورثته القائمين بسنته من ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا عما أنزلت عليه لفظًا ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة

المخلوقات، فكان إثباتهم بريئًا من التمثيل، وتنزيههم خليًّا من التعطيل، لا كمَن شَبَّه حتى كأنه يعبد صنمًا، أو عَطَّل كأنه يعبد عدمًا.

٦- تسميته سبحانه بما لم يسمِّ به نفسه وإن كان من الأسماء المستحسنة في العقول؛ فإنه يعد من الإلحاد؛ لأن أسماء الله سبحانه توقيفية.

٧- وصف الله سبحانه بما لم يصف به نفسه ولو ساغ في العقول فإنه إلحاد؛ لأنه لا يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو بما وصفه به رسوله ﷺ؛ لأن صفاته تعالى توقيفية[(١)].

الثانية: الإلحاد في الآيات:

الآيات جمع آية، وهي في اللغة: العلامة.

وشرعًا: كل ما يدل على ذات الله وأسمائه وصفاته.

وهي نوعان: آيات شرعية، وآيات كونية:

❃ فالآيات الشرعية: هي ما جاءت به الرسل، قال ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر**»[(٢)].

❃ والآيات الكونية: هي المخلوقات، قال الله ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧].

الإلحاد في الآيات الشرعية:

يقع الإلحاد في الآيات الشرعية بأحد ثلاثة أشياء:

١- بتكذيبها، كفعل مشركي قريش الذين قالوا عن آيات الله بأنها ﴿أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

٢- بتحريفها، كحال الرافضة والجهمية وأضرابهم.

٣- بمخالفتها وعصيانها بترك مأمور، أو فعل محظور، كحال العصاة

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٩٨-٢٩٩)، القواعد المثلى (ص١٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح٤٩٨١)، ومسلم (ح١٥٢).

والفساق، وعلى هذا فالفساق ملحدون؛ لأنهم مائلون عما يجب عليهم في آيات الله الشرعية، وهذا يختلف عن مفهوم الإلحاد المتعارف عليه اليوم حيث يطلق على نفي وجود الله جل وعلا[(١)].

الإلحاد في الآيات الكونية:

وهو ثلاثة أنواع:

١- إنكار أن يكون الله هو الخالق لها، ومن ذلك خرافة ما يسمى بـ(التوالد الذاتي)[(٢)].

٢- إضافتها إلى غيره سبحانه، كالمجوس الثنوية القائلين بالأصلين (النور والظُّلْمة).

٣- اعتقاد أن لله تعالى فيها شريكًا أو معينًا، كالمشركين الذين ينسبون بعض التدبير إلى غير الله عز وجل[(٣)].



---

(١) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، لابن عثيمين (ص٢٢).

(٢) وقد سقطت هذه النظرية بالدليل العلمي القاطع والتجربة العلمية على يد العالم الفرنسي باستير، وقد سبق الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن شبهات الإلحاد المعاصر. وانظر: العقيدة في الله، لعمر الأشقر (ص٤٦-٤٧).

(٣) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، لابن عثيمين (ص٢٢).



المبحث الحادي عشر

ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات

للإيمان بأسماء الله وصفاته ثمرات جامعة لخيري الدنيا والآخرة، يقول العز بن عبد السلام: «اعلم أن معرفة الذات والصفات مثمرة لجميع الخيرات العاجلة والآجلة، ومعرفة كل صفة من الصفات يثمر حالًا عليَّة، وأقوالا سنيَّة، وأفعالًا رضية، ومراتب دنيوية، ودرجات أخروية.

فمثل معرفة الذات والصفات ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ - وهو معرفة الذات - ثابت بالحجة والبرهان، ﴿وَفَرْعُهَا﴾ -وهو معرفة الصفات- ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤] مجدًا وشرفًا، ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ﴾ من الأحوال والأقوال ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ﴾ [إبراهيم: ٢٥] وهو خالقها؛ إذ لا يحصل شيء من ثمارها إلا بإذنه وتوفيقه، منبت هذه الشجرة القلب الذي إن صلح بالمعرفة والأحوال صلح الجسد كله»[1].

ومن هذه الثمرات:

۞ أولًا: معرفة الله تعالى:

تحقيق معرفة الله تعالى يتم بمعرفة أسمائه وصفاته، قال قوام السنة الأصفهاني: «قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله تعالى على خلقه

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبد السلام (ص٢٠).

معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه، قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته»[(١)].

وقال ابن القيم: «لا يستقر للعبد قدم في المعرفة -بل ولا في الإيمان- حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله، ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتعرفها: هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان وثمرة شجرة الإحسان، فضلا عن أن يكون من أهل العرفان»[(٢)].

۞ ثانيًا: تحقيق العبودية:

بمعرفة الله من خلال أسمائه وصفاته يتحقق للعبد ثمار هذه المعرفة من محبته جل وعلا والخوف منه ورجائه والتوكل عليه، وهذا عين السعادة، **ومن ذلك:**

أ- فهم معاني أسمائه وصفاته وسيلة إلى معاملته بثمراتها، قال العز بن عبد السلام: «فهم معاني أسماء الله وسيلة إلى معاملته بثمراتها من: الخوف، والرجاء، والمهابة، والمحبة، والتوكل، وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات»[(٣)]، وقال أيضًا: «ذكر الله بأوصاف الجمال موجب للرحمة، وبأوصاف الكمال موجب للمهابة، وبالتوحد بالأفعال موجب للتوكل، وبسعة الرحمة موجب للرجاء، وبشدة النقمة موجب للخوف، والتفرد بالإنعام موجب للشكر»[(٤)].

ب- معرفة أسمائه وصفاته تدعو إلى محبته وخوفه ورجائه، يقول الشيخ السعدي: «معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته، وخوفه ورجائه، وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٣٣-١٣٤).
(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٢٤).
(٣) شجرة المعارف والأحوال (ص٦٧).
(٤) شجرة المعارف والأحوال (ص٧٤).

بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه في فهم معانيها»[(١)].

جـ- أكمل الناس عبودية هو المتعبد بجميع الأسماء والصفات الذي لا يحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، قال ابن القيم: «أكمل الناس عبودية المتعبِّد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع، أو عبودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم، أو التعبد بأسماء التودد، والبر، واللطف، والإحسان عن أسماء العدل، والجبروت، والعظمة، والكبرياء ونحو ذلك، وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها»[(٢)].

د- «لكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح، فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا، وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته

---

(١) تفسير السعدي (ص٣٥).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٢٠).

توجب له سعة الرجاء، وتثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه، وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها، وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات»[(١)].

۞ ثالثًا: زيادة الإيمان:

قال السعدي: «معرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها، ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان ورَوْحه، وأصله وغايته؛ فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه، وقوي يقينه، فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، وتكون معرفته سالمة من داء التعطيل ومن داء التمثيل اللذين ابتلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ، بل تكون المعرفة متلقاة من الكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه وقوة يقينه، وطمأنينة في أحواله»[(٢)].

۞ رابعًا: محبة الله:

إن الإيمان بأسماء الله وصفاته يورث المؤمن محبة الله ﷻ، «فكل اسم من أسمائه وصفة من صفاته يستدعي محبة خاصة، فإن أسماءه كلها حسنى وهي مشتقة من صفاته، وأفعاله دالة عليها، فهو المحبوب المحمود على كل

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٩٠)، وانظر: طريق الهجرتين (ص٤٣)، ومدارج السالكين (١/ ٤٢٠).

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص٧٢).

ما فعل وعلى كل ما أمر، إذ ليس في أفعاله عبث، وليس في أوامره سَفَهٌ، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة، وكل واحد من ذلك يستوجب الحمد والثناء والمحبة عليه... فأعرف خلقه به وأحبهم له ﷺ، يقول: «**لا أحصي ثناء عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك**»[١]، ولو شهد بقلبه صفة واحدة من أوصاف كماله لاستدعت منه المحبة التَّامة عليها، وهل مع المؤمنين محبة إلا من آثار صفات كماله؟ فإنهم لم يروه في هذه الدَّار، وإنما وصل إليهم العلم بآثار صفاته وآثار صنعه، فاستدلوا بما علموه على ما غاب عنهم، فلو شاهدوه ورأوا جلاله وجماله وكماله سبحانه وتعالى لكان لهم في حبه شأن آخر، وإنما تفاوتت منازلهم ومراتبهم في محبته على حسب تفاوت مراتبهم من معرفته والعلم به، فأعرفهم بالله أشد حبًّا له»[٢].

وقال ابن الجوزي: «وعلى قدر رؤية الصانع في المصنوع يقع الحب له، فإن قوي أوجب قلقًا وشوقًا، وإن مال بالعارف إلى مقام الهيبة أوجب خوفًا، وإن انحرف به إلى تلمح الكرم، أوجب رجاء قويًّا ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠]»[٣].

وقال ابن القيم: «ولما كان سبحانه يحب أسماءه وصفاته كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت لأن اتصافه بها ظلم، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه، لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من ربقة العبودية ومفارقته لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحدَّه»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (ح٤٨٦).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣١٨).

(٣) صيد الخاطر (ص٥٩).

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص١٢٩-١٣٠)

۞ خامسًا: خشيته سبحانه:

قال ابن القيم: «ومن علامات المعرفة الهيبة، فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، أي: العلماء به، وقال النبي ﷺ: «**أنا أعرفكم بالله، وأشدكم له خشية**»[(١)]، ومن عرف الله صَفَا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله، واستوحش من الناس، وأورثته المعرفة الحياء من الله، والتعظيم له، والإجلال، والمراقبة، والمحبة، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والرضا به، والتسليم لأمره»[(٢)].

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]؛ أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر»[(٣)].

ولهذا قال بعض السلف: «من كان بالله أعرف كان من الله أخوف»[(٤)].

۞ سادسًا: الرضا:

قال ابن الجوزي: «إن الرضا من جملة ثمرات المعرفة، فإذا عرفته رضيت بقضائه، وقد يجري في ضمن القضاء مرارات، يجد بعض طعمها الراضي، أما العارف فتقل عنده المرارة لقوة حلاوة المعرفة، فإذا ترقى بالمعرفة إلى المحبة، صارت مرارة الأقدار حلاوة»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦١٠١)، ومسلم (ح٢٣٥٦) عن عائشة رضي الله عنها صنع النبي ﷺ شيئًا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخطب فحمد الله، ثم قال: «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية**».

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص٤٠٦). (٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٨٢).

(٤) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٧٢٨). (٥) صيد الخاطر (ص١٠٩-١١٠).

۞ سابعًا: حصول الطمأنينة:

قال ابن القيم: «وحقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة أن تطمئن في باب معرفة أسمائه وصفاته ونعوت كماله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله فتتلقاه بالقَبول والتسليم والإذعان وانشراح الصدر له، وفرح القلب به؛ فإنه معرِّف من معرِّفات الرب سبحانه إلى عبده على لسان رسوله، فلا يزال القلب في أعظم القلق والاضطراب في هذا الباب حتى يخالط الإيمانُ بأسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه وتكلمه بالوحي بشاشة قلبه، فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش، فيطمئن إليه ويسكن إليه ويفرح به ويلين له قلبه ومفاصله، حتى كأنه شاهد الأمر كما أخبرت به الرسل، بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس في الظهيرة لعينه، فلو خالفه في ذلك مَن بَيْن شرق الأرض وغربها لم يلتفت إلى خلافهم، وقال إذا استوحش من الغربة: قد كان الصدِّيق الأكبر مطمئنًّا بالإيمان وحده، وجميع أهل الأرض يخالفه، وما نقص ذلك من طمأنينته شيئًا، فهذا أول درجات الطمأنينة، ثم لا يزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه، وهذا أمر لا نهاية له، فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان التي قام عليه بناؤه»[(١)].

۞ ثامنًا: حسن الظن بالله:

يقول ابن القيم: «وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا من عرف الله وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته، فمن قنط من رحمته وأيس من رَوحه، فقد ظن به ظن السوء، ومن جوز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوي بينهم وبين أعدائه، فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أن يترك خلقه سدًى معطلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسله، ولا ينزل

(١) الروح (ص٢٢١).

عليهم كتبه، بل يتركهم هَمَلًا كالأنعام، فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته، ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقد ظن به ظن السوء»(١).

۞ تاسعًا: السلامة من الحسد والكبر:

قال ابن القيم: «لو عرف ربه بصفات الكمال ونعوت الجلال وعرف نفسه بالنقائص والآفات لم يتكبر ولم يغضب لها ولم يحسد أحدًا على ما آتاه الله»(٢).

۞ عاشرًا: إحصاء الأسماء الحسنى أصل للعلم بكل معلوم:

العلم بأسماء الله وصفاته هو أساس العلم؛ لأن العلم يرجع إلى أصلين: الأول: العلم بفعله وخلقه، **والثاني:** العلم بأمره وشرعه، وهما مرتبطان بأسمائه الحسنى، قال ابن القيم: «إحصاءُ الأسماء الحسنى والعلمُ بها أصلٌ للعلم بكل معلوم؛ فإنَّ المعلومات سواه إمَّا أن تكون خلقًا له تعالى أو أمرًا، إمَّا علمٌ بما كوَّنه، أو علمٌ بما شرعه، ومصدرُ الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه، فالأمرُ كله مصدره عن أسمائه الحسنى، وهذا كله حسنٌ لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم والإحسان إليهم بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كلُّه مصلحةٌ وحكمةٌ ورحمةٌ ولطفٌ وإحسانٌ، إذ مصدرهُ أسماؤه الحسنى، وفعله كلُّه لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة، إذ مصدره أسماؤه الحسنى، فلا تفاوت في خلقه ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلًا ولا سدًى ولا عبثًا، وكما أَنَّ كل موجودٍ سواه فبإيجاده، فوجود من سواه تابعٌ لوجوده تَبَعَ المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلمُ به أصلٌ للعلم بكل ما سواه»(٣).

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٠٦). (٢) الفوائد (ص١٥٨).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٨٦-٢٨٧).

۞ حادي عشر: الاتصاف بمقتضيات صفاته سبحانه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن من أسمائه وصفاته ما يحمد العبد على الاتصاف به كالعلم والرحمة والحكمة وغير ذلك ومنها ما يذم العبد على الاتصاف به كالإلهية والتجبر والتكبر»[(١)].

وقال ابن القيم: «أحب الخلق إليه من اتصف بمقتضيات صفاته، فإنه كريم يحب الكريم من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان، وجميل يحب الجمال... وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعفوٌّ يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم، ولطيف يحبُّ اللطيف من عباده»[(٢)]. وقال أيضًا: «وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته، فهو عليم يحب كل عليم، جواد يحب كل جواد، وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال، عفوٌّ يحب العفو وأهلَه، حييٌّ يحب الحياء وأهله، بَرٌّ يحب الأبرار، شكورٌ يحب الشاكرين، صبورٌ يحب الصابرين، حليمٌ يحب أهل الحلم، فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة، والعفو والصفح خلق من يغفر له، ويتوب عليه ويعفو عنه، وقَدَّر عليه ما يقتضي وقوع المكروه والمبغوض له، ليترتب عليه المحبوبُ له المرضي له، فتوسطه كتوسط الأسباب المكروهة المفضية إلى المحبوب»[(٣)].

وقال الغزالي: «حظُّ العبد من اسم (الرحمن) أن يرحم عباد الله الغافلين، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله عز وجل بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإزراء[(٤)]، وأن يكون كل معصية تجري في العالم كمصيبة له في نفسه، فلا يألو جهدًا في إزالتها بقدر

---

(١) الصفدية (٢/ ٣٣٨).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص٣٤-٣٥). (٣) مدارج السالكين (١/ ٤٢٠-٤٢١).

(٤) **العصاة لنا فيهم نظران: الأول:** من جهة القدر، نرحمهم ونشفق عليهم.

الثاني: من جهة الشرع، يؤدبون بما يقتضيه الشرع. انظر: الحموية، لابن تيمية (ص٥٥٥).

وسعه رحمة لذلك العاصي؛ أن يتعرض لسخط الله ويستحقَّ البُعد من جواره»[(١)].

۞ ثاني عشر: دعاؤه بأسمائه الحسنى:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولا يتحقق الدعاء بها إلا بمعرفتها، قال ابن أبي العز: «قال ابن عقيل: قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، **وفي ذلك معان:**

أحدها: الوجود، فإن من ليس بموجود لا يدعى.

الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى»[(٢)].

قال ابن القيم: «والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها»[(٣)].

۞ ثالث عشر: الفوز بجنته جل وعلا:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»[(٤)]، ففي إحصاء هذه الأسماء[(٥)] الوصول لأعظم مطلوب وهو دخول الجنة.

(١) المقصد الأسنى (ص٦٤).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٧٨).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٢١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق بيان المراد بإحصائها.



المبحث الثاني عشر

أبرز الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة

في توحيد الأسماء والصفات والرد عليهم إجمالًا

أولًا: أهل التشبيه والتجسيم، وهم أصناف:

١- الرافضة:

نشأت بدعة التجسيم والتشبيه في الإسلام من قِبَل الرافضة، وأول من قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم الرافضي الذي تنسب له فرقة الهشامية[١]، وتبعهم آخرون من الرافضة كاليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي[٢]، والهشامية أتباع هشام بن سالم الجواليقي[٣]، قال الرازي: «كان بدوُّ ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض»[٤]، وقال أيضًا: «أول من أظهر هذه المقالة [الحلول] في الإسلام الروافض؛ فإنهم ادَّعوا الحلول في حق أئمتهم»[٥].

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (ص٣١-٢٣).
(٢) انظر: الفرق بين الفرق (ص٥٢-٥٣).
(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (ص٣٤).
(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٦٣-٦٤)، وانظر: التبصير في الدين (ص١١٩)، الملل والنحل (١/ ١٠٨، ١٧٣).
(٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٧٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأول من قال: إن الله جسم هشام بن الحكم الرافضي»(١).

وقال أيضًا: «هذه المقالات التي نقلت في التشبيه والتجسيم لم نر الناس نقلوها عن طائفة من المسلمين أعظم مما نقلوها عن قدماء الرافضة، ثم الرافضة حرموا الصواب في هذا الباب كما حرموه في غيره، فقدماؤهم يقولون بالتجسيم الذي هو قول غلاة المجسمة، ومتأخروهم يقولون بتعطيل الصفات موافقة لغلاة المعطلة من المعتزلة ونحوهم، فأقوال أئمتهم دائرة بين التعطيل والتمثيل، لم تعرف لهم مقالة متوسطة بين هذا وهذا»(٢).

٢- غلاة الصوفية:

وقع غلاة الصوفية في ضلالة التجسيم، وذلك في قولهم بالحلول والاتحاد، كما جاهر بعضهم بالقول بأن الله ذو أعضاء وجوارح على صورة الإنسان، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا، قال الأشعري: «وفي الأمة قوم ينتحلون النسك يزعمون أنه جائز على الله سبحانه الحلول في الأجسام، وإذا رأوا شيئًا يستحسنونه قالوا: لا ندري لعله ربنا، ومنهم من يقول: إنه يرى الله سبحانه في الدنيا على قدر الأعمال فمن كان عمله أحسن رأى معبوده أحسن، ومنهم من يجوِّز على الله سبحانه المعانقة والملامسة والمجالسة في الدنيا، وجوزوا مع ذلك على الله -تعالى عن قولهم- أن نلمسه، ومنهم من يزعم أن الله سبحانه ذو أعضاء وجوارح وأبعاض، لحم ودم على صورة الإنسان، له ما للإنسان من الجوارح، تعالى ربنا عن ذلك علوًّا كبيرًا»(٣).

وقال الرازي: «الخامسة [أي: من الصوفية] الحلولية، وهم طائفة من هؤلاء القوم الذين ذكرناهم يرون في أنفسهم أحوالًا عجيبة، وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر، فيتوهمون أنه قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد،

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٦).
(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٤٢-٢٤٣).
(٣) مقالات الإسلاميين (ص٢٨٨).

فيدعون دعاوى عظيمة»[(١)].

٣- الكرامية:

هم أتباع محمد بن كرام السجستاني، كان يبالغ في إثبات الصفات حتى ينتهي بها إلى التشبيه والتجسيم، قال البغدادي: «إن ابن كرام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته، والجهة التي منها يلاقي عرشه»[(٢)].

وقال الشهرستاني: «الكرَّامية أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، وإنما عددناه من الصفاتية؛ لأنه كان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه»[(٣)].

وقال المقريزي: «الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني وهم طوائف... وكلهم مجسمة»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هم [أي: الكرامية] متفقون على أنه سبحانه جسم، لكن يحكى عنهم نزاع في المراد بالجسم؛ هل المراد به أنه موجودٌ قائمٌ بنفسه، أو المراد به أنه مُرَكَّب؟ فالمشهور عن أبي الهيصم وغيره من نُظَّارهم أنه يفسر مراده بأنه موجود قائم بنفسه مشار إليه، لا بمعنى أنه مؤلَّف مُرَكَّب، وهؤلاء ممن اعترف نفاة الجسم بأنهم لا يكفرون؛ فإنهم لم يثبتوا معنًى فاسدًا في حق الله تعالى، لكن قالوا: إنهم أخطؤوا في تسمية كل ما هو قائم بنفسه، أو ما هو موجود جسمًا»[(٥)].

❊ ❊ ❊

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٧٣).
(٢) الفَرْق بين الفِرق (ص٢٠٣).
(٣) الملل والنحل (١/ ١٠٨).
(٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ١٧٦).
(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٢٨ - ٤٢٩).

الرد على أهل التمثيل:

هذه المقالات باطلة بنص القرآن، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، قال ابن أبي العز الحنفي: «اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله»(١)، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، قال ابن عباس: «يقول: هل تعلم للرب مثلًا أو شبيهًا»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الله سبحانه منزه عن أن يوصف بشيء من الصفات المختصة بالمخلوقين، وكل ما اختص بالمخلوق فهو صفة نقص، والله تعالى منزه عن كل نقص ومستحق لغاية الكمال، وليس له مثل في شيء من صفات الكمال، فهو منزه عن النقص مطلقًا، ومنزه في الكمال أن يكون له مثل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص]، فبين أنه أحد صمد، واسمه الأحد يتضمن نفي المثل، واسمه الصمد يتضمن جميع صفات الكمال»(٣).

وقال أيضًا: «الله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، فبين أنه لم يكن أحد كفوًا له، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ فأنكر أن يكون له سميٌّ، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ففيما أخبر به عن نفسه من تنزيهه عن الكفؤ والسمي والمثل والند وضرب الأمثال له بيان أن لا مثل له في صفاته ولا أفعاله»(٤).

---

(١) شرح الطحاوية (١/ ٥٧).
(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٥٨٥).
(٣) الصفدية (٢/ ٥٢٩).
(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٥).

۞ ثانيًا: أهل التعطيل:

١- الكُلَّابية:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن كُلَّاب وأتباعه: «هؤلاء معروفون بالصفاتية، مشهورون بمذهب الإثبات، لكن في أقوالهم شيء من أصول الجهمية»[(١)]، يعني من التعطيل، و«ابن كُلَّاب وأتباعه لم يثبتوا لله أفعالًا تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، بل ولا غير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته»[(٢)]، فنفوا الصفات الفعلية الاختيارية كالاستواء والمجيء والنزول وغيرها.

فقد «وافق ابن كُلَّاب السلف والأئمة في إثبات الصفات، ووافق الجهمية في نفي قيام الأفعال به تعالى وما يتعلق بمشيئته وقدرته، ولهذا وغيره تكلم الناس فيمن اتبعه كالقلانسي والأشعري ونحوهما، بأن في أقوالهم بقايا من الاعتزال»[(٣)].

ولا ريب «أن السلف والأئمة كانوا يثبتون لله تعالى ما يقوم به من الصفات والأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته، والجهمية تنكر هذا وهذا، فوافق ابن كلاب السلف على القول بقيام الصفات القديمة، وأنكر أن يقوم به شيء يتعلق بمشيئته وقدرته»[(٤)].

٢- الأشعرية:

قال الآمدي: «مذهب أهل الحق [الأشاعرة] أن الواجب بذاته مريد بإرادة، عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، وهذه كلها معان وجودية أزلية زائدة على الذات»[(٥)]، فاتفقوا

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٠٦)، وانظر: مقالات الإسلاميين (ص٥٤٦)، الملل والنحل (١/ ٩٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢٠).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٩٩).

(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٨).

(٥) غاية المرام في علم الكلام (ص٣٨)، وانظر: المواقف (ص٢٧٩).

على إثبات هذه الصفات السبع.

ثم اختلفوا فيما زاد عليها، قال الإيجي تحت عنوان (المقصد الثامن في صفات اختلف فيها): «هل لله تعالى صفة غير ما ذكرناه[(١)]، فمنعه بعض أصحابنا مقتصرًا على أنه لا دليل عليه فيجب نفيه، ولا يخفى ضعفه... وأثبت بعض صفاتٍ أخر»[(٢)]، ثم ذكر إحدى عشرة صفة اختلف فيها، وهي: البقاء، القِدَم، الاستواء، الوجه، اليد، العينان، القدَم، الإصبع، اليمين، التكوين[(٣)].

ومسألة الصفات بالنسبة للأشاعرة مما اضطربت فيها أقوالهم، «فهناك صفات اتفقوا على إثباتها، مثل الصفات السبع، وهناك صفات اتفقوا على تأويلها، مثل الصفات الاختيارية، وهناك صفات اختلفوا فيها: مثل الصفات الخبرية، ومثل العلو والاستواء، وهذا الاختلاف إما أن يكون بين متقدمي الأشاعرة ومتأخريهم، أو عند الفرد الواحد، حيث يميل مرة إلى الإثبات ومرة إلى التأويل، وإن كان الذي استقر عليه المذهب يغلب عليه التأويل»[(٤)].

٣- الماتريدية:

ومذهبهم في الصفات قريب من مذهب الأشاعرة، فهم يثبتون الصفات السبع التي أثبتها الأشاعرة، وزادوا عليها صفة التكوين، قال البياضي الماتريدي -في كتابه (إشارات المرام) أحد المصادر الماتريدية: «الصفات الثبوتية عندنا ثمانية: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، والتكوين»[(٥)].

❋ ❋ ❋

(١) أي: من الصفات السبع.
(٢) المواقف (ص٢٩٦).
(٣) انظر: المواقف (ص٢٩٦-٢٩٩).
(٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٠٢٩).
(٥) إشارات المرام من عبارات الإمام (ص١١٤)، وانظر: الفقه الأكبر (ص١٤-١٦)، بحر الكلام، لأبي المعين النسفي (ص١٠٤).

الرد عليهم من وجوه:

هذه الطوائف من الكلابية والأشعرية والماتريدية يقوم مذهبهم في باب الصفات على إثبات بعضها وتأويل الباقي، **والرد عليهم من وجوه:**

الوجه الأول: يقال لهم: أنتم متناقضون حيث فرقتم بين الصفات، فأثبتم بعضها ونفيتم حقائق أكثرها؛ إذ لا فرق بين ما نفيتم وما أثبتم؛ لأن القول في بعض الصفات كالقول في بعض، والتفريق بينها تفريق بين المتماثلات، والتفريق بين المتماثلات كالتسوية بين المختلفات؛ كلاهما باطل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تناقضهم فيما ذهبوا إليه: «فإن كان المخاطب ممن يقر بأن الله حي بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة. ويجعل ذلك كله حقيقة، وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته، فيجعل ذلك مجازًا، ويفسره إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات. قيل له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر، فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين، فكذلك محبته ورضاه وغضبه، وهذا هو التمثيل، وإن قلت: له إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به. قيل لك: وكذلك له محبة تليق به، وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به، وللمخلوق رضا وغضب يليق به.

وإن قال: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام. **قيل له:** والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة. **فإن قلت:** هذه إرادة المخلوق. **قيل لك:** وهذا غضب المخلوق.

وكذلك يلزم بالقول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته، إن نفى عنه الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك ما هو من خصائص المخلوقين، فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات. **وإن قال:** إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه. **قيل له:** وهكذا السمع والبصر

والكلام والعلم والقدرة»[(١)].

الوجه الثاني: يحتج على الأشعرية والكلابية والماتريدية بنفس حججهم على خصومهم من المعتزلة الذين ينفون جميع الصفات، فإذا قال المعتزلة لهم: ليس لله إرادة؛ لأن الإرادة لا تقوم إلا بالمخلوق، فيردون عليهم بقولهم: الإرادة الثابتة لله تعالى لا تماثل إرادة المخلوق، وهكذا يرد أهل السنة المثبتون لسائر الصفات على من أثبت بعضها ونفى الباقي، كالوجه واليدين والمحبة والرضا والغضب ونحو ذلك[(٢)].

الوجه الثالث: بطلان استدلالهم بنفس حجتهم على مخالفيهم، فإن قال الأشعري ومن سلك مسلكه: أنا غير متناقض، وإنما أثبت سبع صفات دون غيرها؛ لأن العقل قد دل عليها دون سواها، ووجه ذلك: أن إيجاد المخلوقات يدل على القدرة، وتخصيص بعضها بما يختص به يدل على الإرادة، وإحكامها يدل على العلم، وهذه الصفات (القدرة، والإرادة، والعلم) تدل على الحياة؛ لأنها لا تقوم إلا بحي، والحي إما أن يتصف بالكلام والسمع والبصر وهذه صفات كمال، أو بضدها وهو الخرس والصمم والعمى، وهذه صفات ممتنعة على الله تعالى، فوجب ثبوت الكلام، والسمع، والبصر.

فيرد على هذا الاستدلال من وجهين:

الأول: على سبيل التسليم بحجتهم، فيقال لهم: سلمنا أن العقل لم يدل إلا على هذه الصفات السبع، لكنه لا يدل على نفي ما عداها؛ لأنها ثبتت بدليل آخر، وهو الدليل السمعي؛ فإن مجرد عدم دلالة العقل على إثبات صفة لا يكفي دليلا على نفيها، بل لا بد من دليل على النفي؛ لأنه من المقرر أن النافي عليه الدليل، كما أن المثبت عليه الدليل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «عدم الدليل المعين [وهو الدليل العقلي] لا يستلزم عدم المدلول المعين [وهو إثبات سائر الصفات]، فهب أن ما سلكته من الدليل العقلي لا يثبت ذلك فإنه

---

(١) التدمرية (ص٣١-٣٣).

(٢) انظر: التدمرية (ص٣١-٣٣).

لا ينفيه، وليس لك أن تنفيه بغير دليل؛ لأن النافي عليه الدليل، كما على المثبت، والسمع قد دل عليه [أي: على بقية الصفات]، ولم يعارض ذلك معارض عقلي ولا سمعي، فيجب إثبات ما أثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم»[(١)].

الثاني: على سبيل المعارضة، وعدم التسليم بأن العقل لم يدل إلا على هذه الصفات السبع، فيقال لهم: «يمكن إثبات هذه الصفات [يعني الصفات التي لا يثبتها الأشعري] بنظير ما أثبتَّ به تلك [الصفات السبع] من العقليات، فيقال: نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة، كدلالة التخصيص على المشيئة، وإكرام الطائعين يدل على محبتهم، وعقاب الكفار يدل على بغضهم، كما قد ثبت بالشاهد والخبر من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه، والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته - وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة - تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على المشيئة وأولى، لقوة العلة الغائية، ولهذا كان ما في القرآن من بيان ما في مخلوقاته من النعم والحكم أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض المشيئة»[(٢)]، فثبتت صفة الرحمة والمحبة والبغض والحكمة بدليل عقلي، وبطل حصر الدليل العقلي بالصفات السبع دون غيرها.

الوجه الرابع: خطأ منهجهم، وذلك من ثلاثة أوجه:

الأول: «أن الرجوع إلى العقل في هذا الباب مخالف لما كان عليه سلف الأمة من الصحابة، والتابعين، وأئمة الأمة من بعدهم، فما منهم أحد رجع إلى العقل في ذلك، وإنما يرجعون إلى الكتاب والسنة، فيثبتون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسله إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا

(١) التدمرية (ص٣٣-٣٤).

(٢) التدمرية (ص٣٤-٣٥).

تعطيل، قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: «نصف الله بما وصف به نفسه، ولا نتعدى القرآن والحديث»[(١)].

الثاني: «أن الرجوع إلى العقل في هذا الباب مخالف للعقل؛ لأن هذا الباب من الأمور الغيبية التي ليس للعقل فيها مجال، وإنما تتلقى من السمع، فإن العقل لا يمكنه أن يدرك بالتفصيل ما يجب ويجوز ويمتنع في حق الله تعالى؛ فيكون تحكيم العقل في ذلك مخالفًا للعقل»[(٢)].

الثالث: «أن الرجوع في ذلك إلى العقل مستلزم للاختلاف والتناقض، فإن لكل واحد منهم عقلًا يرى وجوب الرجوع إليه كما هو الواقع في هؤلاء، فتجد أحدهم يثبت ما ينفيه الآخر، وربما يتناقض الواحد منهم فيثبت في مكان ما ينفيه أو ينفي نظيره في مكان آخر، فليس لهم قانون مستقيم يرجعون إليه»[(٣)].

٤- المعتزلة:

ينفي المعتزلة جميع معاني صفات الله تعالى، فهم يقولون: إنه حي عليم قدير، وينكرون اتصافه بالحياة والعلم والقدرة، قال ابن المرتضى: «أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدِثًا قديمًا قادرًا عالمًا حيًّا، لا لمعانٍ»[(٤)].

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن القول في الصفات كالقول في الأسماء، فلا فرق بين إثبات الأسماء وإثبات الصفات، فإن كان إثبات الصفات يستلزم التشبيه، فكذلك إثبات الأسماء، والتفريق بينهما تناقض، والتناقض دليل بطلان المذهب،

---

(١) تقريب التدمرية (ص٢٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تقريب التدمرية (ص٢٥-٢٦).

(٤) طبقات المعتزلة (ص٧)، وانظر: شرح الأصول الخمسة (ص١٩٥- ١٩٦) بتصرف، مقالات الإسلاميين (ص٤٨٣)، شرح الطحاوية (١/ ٢٤).

يقول الشيخ محمد بن عثيمين في تقرير هذا الوجه: «إن الله تعالى سمى نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات، فإن كان إثبات الصفات يستلزم التشبيه فإثبات الأسماء كذلك، وإن كان إثبات الأسماء لا يستلزم التشبيه فإثبات الصفات كذلك، والتفريق بين هذا وهذا تناقض، فإما أن يثبتوا الجميع فيوافقوا السلف، وإما أن ينفوا الجميع فيوافقوا غلاة الجهمية والباطنية، وإما أن يفرقوا فيقعوا في التناقض»[(١)].

الثاني: هذا القول معلوم الفساد بالضرورة؛ فإن إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج، وإنما الذهن قد يفرض المحال ويتخيله وهذا غاية التعطيل[(٢)].

الثالث: هذا القول قد أفضى بقوم إلى القول بالحلول أو الاتحاد، وهو أقبح من كفر النصارى، فإن النصارى خصوه بالمسيح، وهؤلاء عموا جميع المخلوقات[(٣)].

الرابع: أن كل ما يحتج به من نفى الصفات كالمعتزلة، يحتج به نافي الأسماء الحسنى كالجهمية، فما كان جوابًا للمعتزلة على الجهمية كان جوابًا من أهل السنة على المعتزلة[(٤)]، «فالحجة التي نفى بها المعتزلي الصفات يحتج بها الجهمي على نفي الأسماء، وما يرد به المعتزلي على الجهمي لنفيه الأسماء، يرد به أهل السنة والجماعة على المعتزلي لنفيه الصفات»[(٥)].

الخامس: «أن الله تعالى وصف أسماءه بأنها حسنى، وأمرنا بدعائه بها فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهذا يقتضي أن تكون دالة على معانٍ عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا، ولا يصح خلوها عنها، ولو

(١) تقريب التدمرية (ص٢٩)، وانظر: التدمرية (ص٣٥).
(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٥).
(٣) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٥).
(٤) انظر: التدمرية (ص٣٥).
(٥) شرح التدمرية، للشيخ عبد الرحمن البراك (ص١٥٦).

كانت أعلامًا محضة؛ لكانت غير دالة على معنى سوى تعيين المسمى، فضلًا عن أن تكون حسنى ووسيلة في الدعاء»[(١)].

السادس: أن الله تعالى أثبت لنفسه الصفات إجمالًا وتفصيلًا مع نفي المماثلة فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وهذا يدل على أن إثبات الصفات لا يستلزم التمثيل، ولو كان يستلزم التمثيل لكان كلام الله متناقضًا»[(٢)].

٥- الجهمية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «جهم كان ينكر أسماء الله تعالى، فلا يسميه شيئًا[(٣)] ولا حيًّا، ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز، قال: لأنه إذا سُمِّي باسم تسمى به المخلوق كان تشبيهًا»[(٤)].

وقال السمعاني: «كان يزعم أن الله ﷻ لا يوصف بأنه شيء، ولا بأنه حي عالم، ولا يوصف بما يجوز إطلاق بعضه على غيره، وزعم أن تسميته شيئًا، وتسمية غيره شيئًا توجب التشبيه بينه وبين غيره، وكذلك تسميته حيًّا وعالمًا، وتسمية غيره بذلك توجب التشبيه بينه وبين من سمي بذلك من المخلوقين، وأطلق عليه اسم القادر؛ لأنه لا يسمي أحدًا من المخلوقين قادرًا من أجل نفيه

---

(١) تقريب التدمرية (ص٢٩). (٢) المصدر السابق.

(٣) قد يصف الجهمية الله أنه شيء، لكنهم يقولون: لا كالأشياء، فتكون المحصلة نفي الذات= = بالكلية، قال الإمام أحمد: «وقلنا: هو شيء. فقالوا: هو شيء لا كالأشياء. فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء، فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء، ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العلانية». انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص٩٩).

(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣١١). وانظر: الإبانة عن أصول الديانة (ص١٤٣)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص١١٨، ١٢١، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٥)، الفرق بين الفرق (ص١٩٩)، الملل والنحل (١/ ٨٦)، درء تعارض العقل والنقل (٥/ ١٧٨)، التدمرية (ص١٨٣)، مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٢).

استطاعة العباد واكتسابهم، وفي هذا القول إبطال أكثر ما ورد به القرآن من أسماء الله تعالى؛ كالعليم، والحي، والبصير، والسميع، ونحو ذلك»[(١)].

الرد عليهم:

يقوم مذهب الجهمية على دعوى أن إثبات الأسماء والصفات يستلزم التشبيه، **والرد على هذه الشبهة من وجوه:**

الأول: «على فرض التسليم بأن هذه الأسماء والصفات يستلزم التشبيه بالموجودات، فيقال: ونفي الأسماء والصفات يستلزم التشبيه بالمعدومات، وهو أقبح من التشبيه بالموجودات»[(٢)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هؤلاء كلهم وقعوا من جنس التشبيه فيما هو شر مما فروا منه، فإنهم شبهوه بالممتنعات والمعدومات والجمادات فرارًا من تشبيههم -بزعمهم- له بالأحياء»[(٣)].

الثاني: «الجواب بالمنع، وهو أنه لا يلزم من اتفاق المسمَّيين في بعض الأسماء والصفات عند الإطلاق التشبيه الذي نفته الأدلة العقلية والنقلية، فالاتفاق في القدر المشترك والمعنى الكلي عند الإطلاق لم تنفه الأدلة، ولا يستلزم التشبيه، وإنما المنفي ما يستلزم اشتراكهما فيما يختص به الخالق أو المخلوق»[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذه الصفات الثابتة لله لا تثبت له على حد ما يثبت لمخلوق أصلًا، وهو ﷻ ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله»[(٥)].

الثالث: «لا فرق بين إثبات الذات وإثبات الصفات، فإذا لم يكن في إثبات الذات إثبات مماثلة للذوات لم يكن في إثبات الصفات إثبات مماثلة له في

---

(١) الأنساب (٣/ ٤٣٧-٤٣٨)، وانظر: الفرق بين الفرق (ص١٩٩)، الملل والنحل (١/ ٨٦).
(٢) شرح التدمرية، للبراك (ص١٢٧).
(٣) التدمرية (ص١٨٣-١٨٤).
(٤) شرح التدمرية، للبراك (ص١٢٨).
(٥) التدمرية (ص١٨٤).

ذلك»[(١)].

الرابع: أن نفي الأسماء والصفات يتضمن نفي الذات؛ لأنه لا يتصور وجود ذات مجردة من الأسماء والصفات[(٢)].

الخامس: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التحقيق: أن التجهم المحض، وهو نفي الأسماء والصفات كما يحكى عن جهم، والغالية من الملاحدة، ونحوهم ممن نفى أسماء الله الحسنى كفر بين، مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول، وأما نفي الصفات مع إثبات الأسماء كقول المعتزلة، فهو دون هذا، لكنه عظيم أيضًا»[(٣)].

٦- الفلاسفة:

يقوم مذهب الفلاسفة وأتباعهم على الأصول التالية[(٤)]:

١- أن الله جل وعلا موصوف بالسلوب[(٥)] والإضافات[(٦)]، دون صفات الإثبات، ومن المعلوم أن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض يوصف به المعدوم والممتنع.

٢- أنهم جعلوا الله تعالى هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وقد عُلم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن، لا فيما خرج عنه من

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٤٨).

(٣) النبوات (١/ ٥٧٨).

(٤) انظر: التدمرية (ص١٧)، الصفدية (٢/ ٦٦).
وانظر تفصيل مذهب الفلاسفة في: مقالات الإسلاميين (ص٤٨٥)، الملل والنحل (٢/ ١٨٣)، الرسالة النيروزية، لابن سينا (ص١٣٥)، ضمن تسع رسائل في الحكم، الشفا (قسم الإلهيات) (ص٣٥٤)، وانظر: النجاة (ص٢٤٩، ٢٥١)، آراء أهل المدينة الفاضلة، للفارابي (ص٣٥).

(٥) السلوب جمع سلب، وهو النفي، يعني أن مذهبهم يقوم على نفي أسماء الله وصفاته.

(٦) الإضافات جمع إضافة، ويعنون بها أن أسماء الله وصفاته مضافة إلى الله، من قبيل إضافة المخلوق إلى خالقه، «ولهذا يقول كثير منهم: إن هذه آيات الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول: آيات الصفات وأحاديث الصفات» (انظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٤١٢).

الموجودات، فيستلزم مذهبهم نفي وجود الله تعالى.

٣- أنهم جعلوا الصفة هي الموصوف، فجعلوا العلم عين العالم، وهذا باطل ضرورة، ولهذا وصف شيخ الإسلام هذا المذهب بأنه «مكابرة للقضايا البديهيات».

٤- أنهم جعلوا هذه الصفة هي الأخرى، فلم يميزوا بين العلم والقدرة والمشيئة جحدًا للعلوم الضروريات، فمن العلم الضروري التفريق بين العلم والقدرة، وهذا لا يحتاج إلى نظر واستدلال.

وبهذا يتبين بطلان مذهبهم.

٧- الإسماعيلية الباطنية:

وهم أكثر الطوائف نفيًا وتعطيلًا لأسماء الله وصفاته، يقول شيخهم إبراهيم الحامدي: «فهو سبحانه لا يدخل تحت اسم ولا صفة»[(١)].

وبلغ بهم الإلحاد في أسمائه وصفاته إلى أن قالوا ببطلان كونه أيسًا، يعني موجودًا، وإنما عبروا بهذا المصطلح -كما يرى بحق د. عبد الرحمن بدوي[(٢)]- حتى لا يصدموا مشاعر المسلمين، فاستعملوا كلمة (أيس) بدل (وجود)، وقالوا ببطلان كونه أيسًا[(٣)]، يعني موجودًا.

ويقول د. محمد كامل حسين -المتخصص في الدراسات الإسماعيلية[(٤)]: «تراهم قد جردوا الله سبحانه وتعالى... من الأسماء والصفات... فأسماء الله الحسنى التي نسبها لنفسه في القرآن الكريم لا تقال لله تعالى، بل جعلوها للعقل الكلي الذي تحدث عنه الفلاسفة، ووصفوا العقل الكلي بكل صفات الكمال على نحو ما ذكره الفلاسفة الأقدمون تمامًا، وصبغوا هذه الآراء

---

(١) كنز الولد (ص١٣-١٤)، وانظر: راحة العقل (ص١٣٥، ١٤٧).

(٢) انظر: مذاهب الإسلاميين (ص٩٦٦).

(٣) انظر: راحة العقل (ص١٣٢).

(٤) انظر: مقدمة كتاب طائفة الإسماعيلية، د. أحمد عزت عبد الكريم (ص: هـ).

والأقاويل القديمة بالصبغة الإسلامية»[١] .

وقال الشهرستاني: «إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج، فقالوا في الباري تعالى: إنا لا نقول: هو موجود، ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات»[٢] .

الرد عليهم:

أن هذا المذهب يكفي مجرد عرضه لمعرفة بطلانه، **ويكفي في بيان بطلانه أمران:**

١- أنهم وقعوا في شرٍّ مما فروا منه، ففروا من تشبيهه بالموجودات والمعدومات فشبهوه بالممتنعات؛ إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين، كلاهما من الممتنعات في بدائه العقول.

٢- أنهم خالفوا ما علم بالاضطرار من أن الموجود لا بد له من موجِد، واجب بذاته، غني عما سواه، قديم، أزلي، لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم، فوصفوه بما يمتنع وجوده، فضلًا عن الوجوب أو الوجود أو القِدَم[٣] .



(١) طائفة الإسماعيلية (ص١٥٧-١٥٨).

(٢) الملل والنحل (١/ ١٩٢-١٩٣).

(٣) انظر: التدمرية (ص١٦-١٧).



ملخص الفصل الثالث

❑ **توحيد الأسماء والصفات:** هو إفراد الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا الواردة في الكتاب والسنة؛ لا شريك له في ذلك، ولا مثيل، والاسم: ما دل على الذات والصفة. والصفة: هي ما يقوم بالذات من نعوت الكمال.

❑ **دل على إثبات توحيد الأسماء والصفات لله تعالى القرآن والسنة والعقل والفطرة:** أما القرآن فقد دل على أسماء الله وصفاته بأربعة أنواع: ١- الإثبات المجمل، ٢- الإثبات المفصل، ٣- النفي المجمل، ٤- النفي المفصل. وأما السنة فأحاديث كثيرة جدًّا، ودلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة من ثلاثة أوجه: ١- التصريح بالصفة، ٢- تضمن الاسم لها، ٣- التصريح بفعل أو وصف دال عليها. وأما العقل فقد دل على إثبات صفات الله تعالى على سبيل الإجمال، ووجه الاستدلال بالعقل: أنه لا يتصور إثبات ذات مجردة عن الصفات. وأما الفطرة فإن الله جل جلاله قد أودع في الفطر التي لم تتنجس بالتعطيل والجحود: أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته، وأنه الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص، ولأن كل كمال في المخلوق فالخالق أولى به؛ لأنه يمتنع أن يكون فاعل الكمال عاريًا منه.

❑ **منهج أهل السنة في باب أسماء الله وصفاته إجمالًا كما يلي:** ١- وصف الله ﷻ بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ٢- لا ينفون ما وصف الله به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ٣- ما لم يرد فيه نص -كالجسم والعرض والجوهر- يتوقفون فيه؛ فلا يثبتون لعدم ورود الدليل المثبت، ولا ينفون لعدم الدليل النافي، ويستفصلون عن المعنى.

❑ **قواعد أهل السنة في أسماء الله تعالى:** ١- أسماء الله تعالى كلها حسنى،

٢- أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، ٣- أسماء الله تعالى توقيفية، ٤- أسماء الله غير محصورة بعدد معين، ٥- اتفاق الأسماء لا يوجب تماثل المسمَّيات، ٦- باب الأفعال والإخبار عن الله أوسع من باب الأسماء، ٧- أسماء الله تعالى منها ما يطلق عليه مفردًا ومقترنًا بغيره، ومنها ما لا يطلق عليه إلا مقترنًا بغيره، ٨- دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام، ٩- أسماء الله تعالى قد تدل على وصف متعدٍّ، وقد تدل على وصف لازم.

❑ **قواعد أهل السنة في صفات الله تعالى:** ١- صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ٢- صفات الله تعالى توقيفية، ٣- باب الصفات أوسع من باب الأسماء، ٤- انقسام الصفات إلى ثبوتية وسلبية متضمنة لكمال ضدها، ٥- التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي، ٦- انقسام الصفات الثبوتية إلى ذاتية وفعلية، ٧- الصفات الفعلية تنقسم إلى صفات فعلية لازمة، وصفات فعلية متعدية، ٨- القول في بعض الصفات كالقول في بعض، ٩- القول في الصفات كالقول في الذات، ١٠- الواجب إثبات الصفات على ظاهرها اللائق بالله تعالى، ١١- الصفات معلومة لنا باعتبار المعنى مجهولة الكيفية.

❑ **التحريف:** تغيير ألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير معانيها، وهو قسمان: تحريف لفظي: كمحاولة بعض المبتدعة قراءة قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، بنصب لفظ الجلالة، وذلك لنفي صفة الكلام عن الله سبحانه، وتحريف معنوي: وهو إبقاء اللفظ كما كان وصرف معناه عن المراد به، مثل تأويل الاستواء بالاستيلاء، واليد بالنعمة، وهو محرم؛ لأنه تغيير لكلام الله تعالى، وقول على الله بلا علم، ويكون على مراتب: فقد يكون كفرًا، وقد يكون فسقًا، وقد يكون معصية، وقد يكون خطأً.

❑ **التعطيل:** هو نفي صفاته سبحانه وإنكار قيامها بذاته جل شأنه، وهو

أقسام؛ **الأول:** إنكار الأسماء والصفات كمذهب جهم. **والثاني:** إنكار الصفات وإثبات الأسماء في الجملة، كطريقة أهل الاعتزال. **والثالث:** إثبات الأسماء وبعض الصفات، وتأويل الباقي، كمذهب الكُلَّابية والأشاعرة والماتريدية. **والرابع:** وصف الله بسلب النقيضين، وهو مذهب الباطنية والملاحدة الذين قالوا: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت. والتعطيل قد يكون كفرًا ناقضًا لأصل التوحيد إن كان تكذيبًا، وإن كان تأويلًا فيجري فيه حكم التأويل.

❑ **التكييف:** هو اعتقاد أن صفات الله تعالى على كيفية كذا، أو يُسأل عنها بكيف، ولأهل السُّنة في جواب من يسأل عن كيفية صفةٍ من صفات الله جوابان: **الأول:** جواب الإمام مالك وغيره: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. **الثاني:** أن يقال: كيف هو؟ فكما أننا لا نعلم كيفية ذاته، فكذلك لا نعلم كيفية صفاته؛ لأن القول في الصفات كالقول في الذات؛ فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فكما أن ذاته لا تماثل الذوات ولا نعلم كيفيتها، فكذلك صفاته سبحانه لا تماثل صفات سائر الذوات ولا نعلم كيفيتها أيضًا، والتكييف حرام؛ لأنه من القول على الله بلا علم، لأن الله أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفيتها، أخبرنا أنه استوى على العرش، ولم يخبرنا كيف استوى، وهكذا.

❑ **التمثيل:** هو إثبات مثيل لله عز وجل في ذاته أو صفاته. وهو قسمان: **الأول:** تشبيه المخلوق بالخالق، وهو إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق من الصفات أو الأفعال أو الحقوق. فالصفات، كحال غلاة الصوفية مع من يسمونهم الأولياء وحال الرافضة مع أئمتهم. والأفعال: كفعل من أشرك في الربوبية، كالمانوية والثنوية والفلاسفة، والحقوق: كاعتقاد المشركين بأصنامهم حيث عبدوها مع الله تعالى، ومن سلك مسلكهم من غلاة الصوفية

والرافضة. **الثاني:** تشبيه الخالق بالمخلوق، كمقالة الهشامية وأمثالهم، وهو كفرٌ؛ لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

❑ **التأويل اصطلاحًا يطلق على ثلاثة معان:** ١- صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به وهو اصطلاح المتأخرين، ٢- التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح مفسري القرآن، ٣- الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، وهو ينقسم إلى صحيح وفاسد.

❑ **التفويض هو:** صرف اللفظ عن ظاهره، مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد منه، بل يترك ويفوَّض علمه إلى الله تعالى، وقد يراد بالتفويض: تفويض الكيفية، وهذا حق، **ويدل على بطلان هذا المذهب ما يلي:** ١- الآيات التي تأمرنا بتدبر القرآن، ٢- تناقضهم، فقولهم: لم يرد إثبات صفة خارجية له يناقض التفويض؛ لأن حقيقة التفويض أن لا يحكم المفوض بنفي ولا إثبات، ٣- بطلان نسبة هذا القول إلى السلف؛ فإن اعتقاد أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ النصوص بغير إثبات معناها، اعتقاد باطل كذب على السلف.

❑ اختلف أهل العلم في المراد بالإحصاء، **وخلاصة ما قالوا في معناه:** ١- حفظها. ٢- التصديق بها. ٣- معرفة معانيها. ٤- العمل بمقتضاها، واختار طائفة من المحققين المعنى الأول، وهو الراجح.

❑ **أسماء الله الحسنى كثيرة جدًّا، ومنها:** ١- الله: ومعناه: المألوه المعبود الذي لا يستحق العبادةَ سواه. ٢، ٣- الرحمن، الرحيم، وهما اسمان مشتقَّان من الرحمة على وجه المبالغة. ٤- الحي: ومعناه: الذي له الحياة الدائمة المستلزمة لجميع صفات الكمال، لم يسبقها عدم، ولا يلحقها زوال، ولا نقص فيها بأي وجه من الوجوه. ٥- القيوم: ومعناه: الذي قام بنفسه، والمقيم لغيره من جميع المخلوقات خلقا ورزقًا وتدبيرًا. ٦- السميع:

ومعناه: المدرك للأصوات التي يدركها المخلوقون. ٧- القدوس: ومعناه: المنزه عن النقائص، الموصوف بصفات الكمال. ٨- السلام: ومعناه: السالم في ذاته وصفاته وأفعاله من كل نقص، المتضمن لإثبات كماله المطلق من كل وجه، والمنزه عن كل ما ينافي كماله. ٩- المؤمن: ومعناه: المصدق الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فهو الذي صدق رسله وأنبياءه فيما بلغوا عنه. ١٠- المهيمن: ومعناه: الرقيب على خلقه علمًا وتدبيرًا، الذي أحاط بكل شيء علمًا. ١١- العزيز: ومعناه: الذي عزَّ كلَّ شيء فقهره وغلبه، فلا يمانع ولا يغالب، لعظمته وسلطانه. ١٢- الجبار: ومعناه: الذي قهر جميع العباد، وأذعن له سائر الخلق، والذي يجبر الكسير، ويغني الفقير. ١٣- المتكبر: ومعناه: الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله، وقيل: المتكبر عن كل سوء المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم. ١٤- الخالق: ومعناه: المخرج من العدم إلى الوجود جميع المخلوقات. ١٥- البارئ: ومعناه: الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته. ١٦- المصور: ومعناه: الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها.

❑ **من صفات الله تعالى الثابتة له:** صفة الحياة، واليدين، والغضب، والاستواء، والعلو، والنزول، والرؤية، والمعية، والكلام، والعلم، وكلها ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع على الوجه اللائق بكماله وجلاله.

❑ **الإلحاد:** هو العدول بأسماء الله وصفاته وآياته عن الحق الثابت؛ كتسمية الأصنام أو غيرها بأسماء الله سبحانه، أو تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له آبًا، أو وصفه بما يتقدس عنه من النقائص، كقول اليهود: إنه فقير، أو إلحاد التعطيل، كجحد الجهمية للأسماء والصفات، أو إثبات أسماء في الجملة وتعطيلها عن معانيها وجحد حقائقها كفعل المعتزلة الذين يقولون: سميع بلا سمع وبصير بلا بصر، أو إلحاد التمثيل، كتشبيه صفاته سبحانه بصفات خلقه.

❑ **من آثار الإيمان بأسماء الله وصفاته:** كمال معرفته سبحانه، وتحقيق كمال العبودية، وزيادة الإيمان، ومحبة الله، وخشيته سبحانه، والرضا، وحصول الطمأنينة، وحسن الظن بالله، والسلامة من الحسد والكبر، والفوز بجنته جل وعلا، ومعرفة أن إحصاء الأسماء الحسنى أصل للعلم بكل معلوم، والاتصاف بمقتضيات صفاته سبحانه، ودعاؤه بأسمائه الحسنى.

❑ **الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات يجمعها طائفتان:**

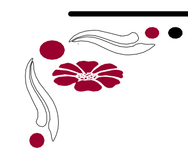
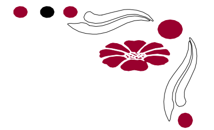
الأولى: أهل التشبيه والتجسيم، وهم أصناف:

١- الرافضة. ٢- غلاة الصوفية. ٣- الكرامية.

والثانية: أهل التعطيل. وهم أصناف:

١- الكُلَّابية. ٢- الأشعرية. ٣- الماتريدية. ٤- المعتزلة. ٥- الجهمية. ٦- الفلاسفة. ٧- الإسماعيلية الباطنية.



أسئلة تطبيقيـة

س١: عرف توحيد الأسماء والصفات، وما الفرق بين الاسم والصفة؟

س٢: لدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه. اذكرها مع التمثيل.

س٣: اذكر منهج أهل السنة في باب الأسماء والصفات إجمالًا.

س٤: أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية يتوقف في إثباتها على ما جاء في الكتاب والسنة، اذكر الأدلة على ذلك.

س٥: الصفات الثابتة لله تعالى تنقسم إلى ذاتية وفعلية، والفعلية تنقسم إلى صفات فعلية لازمة، وصفات فعلية متعدية. اشرح ذلك مع التمثيل.

س٦: اختلف العلماء في معنى إحصاء الأسماء الحسنى. اشرح ذلك مع الترجيح.

س٧: من المخالفات المنهجية لتوحيد الأسماء والصفات: (التحريف)، عرف به لغة واصطلاحًا، موضحًا أقسامه وأمثلته، وما هو حكمه شرعًا؟

س٨: عرف التعطيل لغة واصطلاحًا، موضحًا أقسامه وأمثلته، وما هو حكمه شرعًا؟

س٩: عرف التكييف لغة واصطلاحًا، مبينًا طريقة أهل السُّنة في جواب من يسأل عن الكيفية، وما حكم التكييف شرعًا؟

س١٠: عرف التمثيل لغة واصطلاحًا، وما أقسامه؟ وما حكمه شرعًا؟ موضحًا تاريخ مقالة التمثيل، وهل للممثلة وجود اليوم؟

س١١: عرف الإلحاد لغة واصطلاحًا، موضحًا أهم أقسامه.

س١٢: من المخالفين لأهل السنة والجماعة في باب الصفات: (المعتزلة – الأشاعرة – الماتريدية). اذكر مقالة كل فرقة منهم، موضحًا الفرق بينها،

وكيف ترد عليهم؟

س١٣: من الصفات الثابتة لله تعالى: صفة اليدين. ما الدليل عليها من الكتاب والسنة، موضحًا الأوجه التي وردت عليها في الكتاب والسنة، وكيف توفق بينها؟ وما هي أقوال المخالفين لأهل السنة في صفة اليدين، وكيف ترد عليهم؟

س١٤: عرف صفة العلو، وما الدليل عليها من الكتاب والسنة؟ وبين دلالة العقل والفطرة على إثباتها، موضحًا مقالة المخالفين في صفة العلو، وكيف ترد عليهم؟

س١٥: رؤية الله سبحانه في الآخرة ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع السلف. اشرح ذلك.

س١٦: اذكر خمسة من آثار الإيمان بأسماء الله وصفاته.

س١٧: استدل على ما يلي:

١- أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف.

٢- باب الأفعال والإخبار عن الله أوسع من باب الأسماء.

٣- أسماء الله غير محصورة بعدد معين.

٤- القول بأن المراد بيد الله تعالى مجاز في النعمة أو القدرة قول باطل.

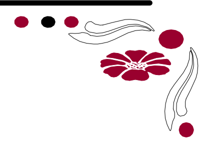
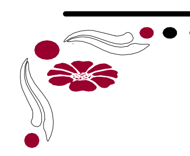
٥- تأويل الاستواء على العرش بالاستيلاء باطل لغة وشرعًا.

٦- القول بأن معنى صفة النزول هو نزول أمره، أو رحمته، أو ملك من ملائكته، قول باطل.





فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة